

في اللغة والأدب

وهو كامل أبى العباس المبرد

بذل فى تهذيبه بالتقسيم والترتيب وعمل الفهارس المطولة

السيد محمد أبو العباس

أستاذ الأدب بدار العلوم العليا

جهدا عنيفا دون أن ينقص منه شيئاً أو يغير فى جوهر عبارته حرفا

أو يخل فى تهذيبه بغرض رامه أبو العباس فى كامله

فجاء فى جزأين وذيل

مثلا عاليا فيما تتقبله كتبنا القديمة من جهود حتى

تلائم روح العصر وتقبل الافادة فى قليل الزمن

وحسب القراء

تعرفا لمدى هذا التهذيب وقيمته مالقى من حسن تقدير الأدباء

والعلماء والصحف والمجلات وهاتان من ذلك كلمتا

فضيلة الأستاذ الاسكندرى — ومجلة المقتطف الغراء

نسوقهما بين يدى التهذيب

الجزء الاول

ثمن الجزأين معا ٣٠ ص

كلمة مجلة المقتطف

تهذيب الكامل فى اللغة والأدب

يعلم المتأدبون عموما وذوو الدراية منهم خصوصا أن كتاب الكامل فى اللغة والأدب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (أحد فحول الأدب وأئمة اللغة فى القرن الثالث الهجرى) من أرفع كتب الأدب مقاما وأسماها مكانا وأقومها مادة وأعجبها أسلوبا ذلك لأن مصنفه كان علما فى اللغة فقيها فى الأدب راوية فى السير إماما فى النحو والتصريف فجاء كامله مجموعة فريدة فى بابها يتيمة فى نظامها يجد فيها اللغوى مايوسع متن لغته والأديب مايرقى أسلوبه ويلطف ذوقه والمؤرخ سعة اطلاع وكبير دراية والنحوى الصرفى تحقيقا لنقط خلاف وتفصيلا لمظان اجمال .

غير أنهم يعلمون مع ذلك أنه صدر عن مؤلفه خاليا من فهارس وعناوين تسعف الناشد بغالته وتقر على الباحث ثمين وقته ثم مختلطا بعضه ببعض اختلاطا يبعد الاستفادة بقدر مايقرب السآمة شأن كثير من الكتب القديمة التى أصبحت فى حاجة الى تبويب حتى تلائم زمننا والحرص على لحظاته وتشاكل أفكارنا وقد عودنا أخذ كل شىء سائغا سهلا وما لدولاب الأدب يقف وقد تحركت أفلاك كل شىء ويجمد على حال وقد تنقلت الأمور فى أطوار واذا صح العذر لورثة العرب إذا تخلفوا عن الغربيين فيما ليس لآبائهم فيه مجهود وباع فانه لعار عليهم ونقص فيهم ألا يدركوهم فى تهذيب أدبهم ويتشبهوا بهم فى ترقية لغتهم ببذل مجهود فى بعث ماورثوه وانه لكثير والعمل على إحسان عرضه بصنيع مايتطلبه ذلك من ترتيب وتهذيب كما هو صنيع حضرة الأستاذ الفاضل السباعى بيومى فى كتاب الكامل لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد المذكور

فقد أخرجه حضرته فى شكل طريف وزفه الى المتأدبين فى سفر قشيب دعاه (تهذيب الكامل فى اللغة والأدب) وما ذلك إلا لأنه عناه فى أدبنا ماعنانا فأراد ضرب مثل حى وتقديم نموذج حسن بما صنع فى كتاب الكامل الذى أعجبه منه مارأى من نفاسة درره وكريم لآلئه ثم ساءه فيه مابه من تهويش

وسوء نظام جعله يجيء كما قال عنه فى مقدمة تهذيبه (أشبه شيء بعقد خانه سلكه فانتثرت جواهره انتثارا ذهب بجميل روائها وان لم يشن نفاستها)فكان فى تهذيبه اياه كمن أحسن تشخيص الداء وأجاد وصف الدواء إذ أجرى فيه من التقسيم والتبويب والتنظيم والترتيب ماهذبه تهذيبا متقنا وأخرجه مخرجا حسنا وهاهوذا بعض مابذل فى ذلك من جهد وقدم به للادب من خدمه

نظر الى ماورد فى الكامل من أصول كان يأتى بها أبو العباس فشطرها شطرين أصولا منثورة خص بها جزء تهذيبه الأول وأخرى منظومة أودعها جزأه الثانى فجاء التهذيب جزأين متميزين الأول فى المنثور والثانى فى المنظوم ثم نظر فى جزء المنثور فقسمه أربعة أبواب جمع فى أولها الخطب والوصايا والمواعظ وفى الثانى الكتب والعهود والرسائل وفى الثالث الحكم والامثال والجوامع وفى الرابع وهو واسع النطاق النوادر والاخبار والحوادث ولم يقف عند هذا الحد وقد كان كافيا بل نسق كل باب تنسيقا آخر جميلا فساق مشتملات البابين الأولين مرتبة ترتيبا تاريخيا وجعل باب الحكم عشر فقر الأولى فى جوامع الكلم والثانية فى الأدب والعقل والثالثة فى الحلم والعفو والرابعة فى المروءة والسؤدد والخامسة فى حسن الخلق والسادسة فى المجالس والسابعة فى العيش الناعم والثامنة فى قيد النعم بالشكر وقيد العلم بالكتاب والتاسعة فى الزمان والسلطان والعاشرة فى الامثال المشروحة ثم الباب الرابع جعله تسعة فصول الأول فى أخبار الخوارج وجعلها لسعتها أربع نبذ ـ على عهد على بن أبى طالب على عهد معاوية وابنه يزيد ، على عهد عبد الله بن الزبير إذ ادعى الخلافة ، ثم على عهد عبد الملك بن مروان وفيه ضعفت شوكتهم والثانى فى الموالى الثالث فى الشعراء والرابع فى المغنين والخامس فى الأجواد والسادس فى الجازعين والمتجلدين والسابع فى القضاة والثامن فى تكاذيب الاعراب والتاسع هو الاخير فى المتفرقات

أما الجزء الثانى فقد قسمه ستة أبواب وأتبعها ذيلا باب التشبيه والوصف باب الغزل والشوق وباب الحماسة والفخر وباب المدح والهجاء وباب التأبين الرثاء ثم باب الادب والحكمه بقى الذيل وهو مارأى لحرصه على عدم الإخلال

بغرض رامه المبرد أن يودعه من أبواب الاصل كل باب لم يتمش مع تقسيم التهذيب لتنوع مشتملاته ولم يقبل توزيع تلك المشتملات لجامعة أرا ها أبو العباس وقد كان ذلك فى أربعة من أبواب الاصل أحدها فى أشعار مولدة حكيمة وثانيها فى مقطعات موجزة حسنة وثالثها فى طرائف من حسن الكلام ورابعها باب جامع تناول من كل شىء شيئا الى ما أحدثه فى أبواب هذا الجزء من تنسيق وتقريب على النحو الذى فصلناه قبلا فى أبواب الجزء الاول.

الى هنا وقد كان يصح أن نكتفى لولا مايجول بخاطر كل عارف بالكامل من القاء هذا السؤال (ماذا صنع المهذب فيما كان يأتى به أبو العباس من مستطرد مخالف فى نوعه نوع ماورد معه كشعر يأتى مع نثر أو نثر يأتى مع شعر أو نوع من المنثور أو المنظوم يأتى مع آخر منهما ؟ أنقله إلى الأبواب التى عقدها أم أبقاه مع الذى ورد معه أم ماذا فعل فيه ؟) والجواب أن الاستاذ لم يفصل المستطرد اليه عما ورد معه وانما بينه فى الفهرس بيانين أحدهما ان كل عنوان فى الفهرس معه استطراد وضع فى نهايته رقما بين قوسين وأمام هذا الرقم فى هامش الفهرس عنون لتلك الاشياء التى أتت استطرادا والثانى أنه عقب انتهائه من فهرس كل باب بذكر ماورد منه فى الاصل مستقلا أتبعه بفهرس مكمل بين فيه ماورد من هذا الباب تابعا لغيره بطريق الاستطراد مع إبقائه مكانه . هذا الى أنه ذيل الفهرس العام لكل جزء بفهرس خاص بين فيه ماأتى خلال الشروح من شذرات لغوية أو نحوية أو صرفية أو ماشابه ذلك مماليس له باب خاص فى التهذيب

ذلك مجمل ماصنع الاستاذ فى تهذيب الكامل غير تارك منه شيئا ولا مغير فى جوهر عبارته حرفا وإن المطلع على ماوضع من عناوين وفهارس تبلغ المائة والعشرين صفحة ليعرف تفاصيل ذلك كما يعرف أن هذا العمل خير جميل يحفظه له الادب ويجله من أجله ذووه .

فبارك الله له فيما بذل من مجهود أدبى فى التهذيب وآخر مالى فى الطبع وألهم رجال العلم والأدب العمل على معونته وتشجيعه بالاقبال على اقتناء تهذيبه وماعنه على حضراتهم بكثير .

كلمة الاستاذ الاسكندرى

تهذيب كامل المبرد

مافتىء أدباء العربية منذ أحد عشر قرنا يعتبرون كتاب الكامل لأبى العباس المبرد من أفضل أمهات كتب الادب ، وقل بليغ كاتبا كان أو شاعرا ظهر فى طوال هذا الدهر لم يكن لهذا الكتاب أثر فى تنشئته وتخريجه وقل مؤلف فى الأدب لم يستمد نفائس مختاراته وأخباره أو يراجعه للتثبت من بعض مباحثه إلا أن طريقة تأليفه كأكثر كتب الأوائل من أئمة الادب كانت تقييدا لما يمليه الامام على تلاميذه ومايسوق الى ذكره الاستطراد والحوار ولذلك اختلط فيه مباحث النحو والبيان واللغة بمباحث الأدب والتاريخ واشتبك فيه الهزل بالجد وكانت هذه الطريقة مرغوبا فيها قديما لما كان لها من الترويح على نفس القارىء وتجديد نشاطه لاستقصاء الكتب ولا تزال مومومقة ممن لايقصد من القراءة الا السلوة ورفع السأم

أما المؤلفون والمراجعون والمتخيرون ومن يؤثر بالتحصيل بعض المباحث دون بعض فكانت هذه الطريقة صادفة لهم عن الاستفادة من الكتاب وزادهم صدوفا كثرة ماتستوجبه الحياة العصرية من العمل الكثير والاقتصاد فى الزمن والصحة اللذين هما كل رأس مال الادباء والمعلمين فى عصرنا هذا ولذا لم يكن لهم غنى عن صورة للكامل مبوبة مرتبه ، وإذ لم يقم أحد من السالفين بذلك طفق كثير ومنهم العاجز كاتب هذه الاسطر ينشئون له فهارس على حسب ماإليه يقصدون ومنه يبتغون كما طبع فى أوربة بفهرس جاء غير جامع على أن مابذله كل أديب من عمره فى ذلك لم يعد نفعه خويصة نفسه وماطبع فى أوربة على نقصه باد أو كاد

والآن قيض الله أحد فضلائنا الاستاذ السباعى بيومى فبوبه تبويباه فصلا ورتبه ترتيبا حسنا وطبعه طبعة ذات فهارس مطولة فأصبح سهل التناول والمراجعة لكل من ذكرنا آنفا ويلتحق بهم طائفة الطلبة من مدارس المعلمين لأن مصيرهم الى المراجعة والاختيار والتأليف

ومن ذلك تعرف قيمة العمل العظيم والبذل الكثير الذى أنفق به الاستاذ كثيرا من عمره وماله لخدمة طائفته وتحبيب الأدب الى شباننا الذين لايروقهم الكتاب الا مفصلا ولا يتعاطون الادب الا سائغا

أكثر الله فى مشيختنا من أمثاله وعقل عن عمله النافع ألسنة الحاسدين العيابين الذين يقولون ولا يفعلون .



في اللغة والأدب

عمل

علي بن ابراهيم السنباطي

المتخرج في مدرسة دار العلوم

الجزء الاول في المنثور

قال العلامة ابن خلدون في مقدمته عن كتاب الكامل ما نصه
وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه
أربعة دواوين وهي «كتاب الكامل للمبرد» وأدب الكاتب لابن
قتيبة. وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي
القالي البغدادي. وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اهـ»

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م ﴾

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

---

(١) كل عنوان أمامه رقم يكون أبو العباس قد استطرد فيه الى ما ينبغى التنبيه عليه ولذا رأينا بيان هذا المستطرد اليه أمام رقم يماثل الرقم المذكور بهامش الفهرس .

(٢) فضائل قريش ومكة والبيت الحرام .

(٣) مادة نضد . النسبة الى أذربيجان . شرح الأمثال « مرعى ولا كالسعدان ، فتى ولا كمالك : ماء ولا كصداء » مدحة أبي على البصير لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وآله .

(٤) تخفيف الهمز . شيء عن الردة ومنع الزكاة . شعر الحطيئة وقيس بن

عاصم فى ذلك . ابدال الظاهر من المضمر . المنصوب على الاختصاص

(١) مادة سام . صرف حسان ومنعه هجو شاعر لبنى غامد . مادة اسف . التقاء الساكنين فى الشعر .

(٢) قوله لبناته واحدى نسائه فى مرض موته . تعزية رجل من ثقيف وابن همام السلولى ليزيد ابنه فيه مع تهنئته بالخلافة .

(٣) سرعة الجواب على البديهة من قيس العنبرى لعثمان ومن سيدنا على لقائل .

(٤) محاورة بينه وبين أعرابى من أزد شنوأة أثناء هذه الخطبة .

(١) كلمة لاع والقلب المكانى فى اسم الفاعل منها .

(٢) فَعول بمعنى فاعل وبمعنى مفعول . قول ورقة بن نوفل عن رسول الله وقد بلغه خطبته لخديجة بنت خويلد

(٣) أخذ النفاق من نافقاء اليربوع وأسماء جحرة اليربوع . رثاء ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير

(٤) ارسال الحجاج عرار بن عرار برأس ابن الاشعث الى عبد الملك وما كان بين عبد الملك وعرار فى ذلك . شهامة عبدالملك وتعففه عن النساء فى الحرب . كتاب ابن الاشعث قبيل قتله الى عبدالملك ورد عبدالملك عليه . مادة بهر . زجر الخيل . مراكب النساء وأول من اتخذ المحامل . تفسير القرء . لو ولولا واستعمالهما . فصاحة يحيى بن يعمر ولحن الحجاج ويزيد بن المهلب . مواضع تثنية لفظ التأنيث دون لفظ التذكير .

(٥) حكمة لعلى فى هذا المعنى . حديث لرسول الله فيه أيضا . معانى الكلمات ذَوَار ، ذُوّار ، دَوَّار .

(٦) المثل « عش ولا تغتر » وتوافق خاطرين فى استعماله .

---

(١) نعى عمر على معاوية تشاغله عن الناس بالحمامات . حكم الالف المقصورة فى التثنية وخروج مالا واحد له من لفظه عن القياس

(٢) بعض ماقيل فى المعنى « ليس من المروءة استمراء المعذرة »

(٣) حكم وأمثال وردت فى معناها للحسن ورسول الله وابن السماك وأويس القرنى وبعض العرب . تفسير مادة وغل

(٤) حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه . حكم الواو والياء قبل تاء التأنيث.

باب الكتب والعهود والرسائل

(١) امتناع أسماء الاستفهام من أن يعمل فيها ماقبلها

(٢) أبيات للخنساء فى التأسى . مثل الحق والباطل . أشعار مأثورة فى معنى « ان التخلق يأتى دونه الخلق »

(٣) أمثال كثيرة فى معنى « تجاوز الامر قدره » أبيات فى الصيد للوليد

ابن يزيد بن عبد الملك ومعاتبة بين على وعثمان

(١) أبيات تمثل بها معاوية فى توقع الغلب على على . أبيات لابن جعيل ذيل بها معاوية كتابه الى على . أبيات للنجاشى ذيل بها على رده على معاوية . العطف على منصوب ان ونحوها بالنصب والرفع . معانى الكلمات الدين ، الشؤون ، الهوى والهواء . اعراب التركيب «ما أنت وكذا » وما يشبهه

باب الحكم والامثال والجوامع

أولا — جوامع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الفزع ووجها استعماله فى كلام العرب . قولهم قرع لهذا الامر ظنبوبه

(٢) السميدع . الثرّة والثرثارة . مادة فهق واستعمالها على الحقيقة والمجاز

(١) ماكان يفعله شعبة بن الحجاج أو سماك بن حرب اذا كانت له الى أمير حاجة
(٢) الكفء ومرادفه . بين الفرزدق ورجل من الحبطات تزوج فى بنى دارم .

(١) أجود العرب وشاعرها وفارسها . قول ابن العباس لبعض اليمانية .

(٢) قولهم لاتحكم حكم الصبى بأهله .

(٣) شعر الشماخ الذى ارتفع به عرابة مع شرحه وذكر ما أخذ عليه فيه وسبب قوله اياه

(٤) مدحة دعبل الخزاعى لمعاذ بن جبل ونسبته الى السؤدد ومعه أحاديث كثيرة لمناسبات

(١) الجدا والجداء مدحة خفاف بن ندبة لابى بكر الصديق . حديث رؤبة فى وصف أكلة أكلها . أسماء الزق . مافعلت هند بأبى سفيان اذ دخل عليها مسلما . أسماء السحاب اذا ركب بعضه بعضا

(٢) اللف والنشر المرتب

(٣) ابدال التاء من المعتل فى الافتعال وغيره

(٤) مدح شاعر له . هجو آخر لقوم من بنى مخزوم أساءوا عشرته وضربه المثل بالقعقاع وفيه هجو أبى جهل . بين الاحوص ورجل من بنى مخزوم وفيه هجوه أبا جهل أيضا . هجو الاخطل للانصار ــ وعمل النعمان بن بشير مع معاوية فى هــذا . قول الاحنف بن قيس فى محافظة العرب

على قوميتها وشرحه شرحا تضمن حكما كثيرة تتفق معه

(١) حكمة حكيم وقول للمهلب وشعر لآخر ولزهير ولرؤبة ولآخر ولاشجع بن منصور فيما يتفق وقول الطائى . مضرب المثل « أينما أذهب ألق سعدا »

---

(١) حكم فاء المثال فى المضارع

(٢) ذكر معه بيت للنابغة الجعدى وآخر لاعرابى وأبيات لبعض الفتاك

باب النوادر والاخبار والحوادث

وفيه تسعة فصول

الفصل الاول فى الخوارج وهو أربع نبذ

الاولى فى خلافة على كرم الله وجهه

(١) تفسير الضئضئ وأبيات جرير فى مدح الحكم بن أيوب الثقفى

(٢) بين عمر وأعرابى أصاب فى الحرم وحكم ذلك شرعا . رأى واصل بن عطاء فى عقيدة بشار بن برد وهجو بشار له . فصاحة واصل واجتنابه الراء على كثرة دورانها . النسب الى حروراء . أبيات للصلتان العبدى فى الخوارج وفيها أبيات حكيمة

(٣) الرأى الدبرى والرأى المبيت .

(٤) خطبة للمستورد التميمي فى الخوارج ليتجمعوا

(٥) زيادة كلمة أو حذف كلمة فى الشعر . تلقيب على بأبى تراب وسببه ثم تلقيبه

(١) جواب الحسن لمعاوية وقد طلب منه أن يتولى قتال الخوارج
(٢) حكم المستورد التميمى ووصاياه وأبيات للعباس بن الاحنف فى معنى بعضها
(٣) استعمال العرب كلمة لا أبالك واستعمالهم ذو بمعنى الذى وشرح ذلك

(١) فصاحة ابن زياد وتعشقه جيد الكلام على ارتضاخه لكنة فارسية وأبيات لابن ربيعة فى الغزل

(٢) شدة هذه الحرب وأثر الاحنف بن قيس فى اطفاء لهيبها بتحمله الديات بعد تثبيته الصلح وذكر استعانته بشيخ من البادية لايعرفه ثم أقوال الشعراء فى هذه الحرب . زجر الطير وتطير لهبى على عمر وأشعار فى ذلك وفيه معنى دية المشعرة . استعمال التغليب فى التثنية

(١) سبب هذه التسمية وارجاع النسب فيها الى قواعده المعروفة. رمى بعض الشعراء لهذه الفرق بالضلال

(٢) تفسير كثير من آى القرآن مع الاستشهاد على معانى المفردات بفصيح اللغة والشعر

(٣) مراثى الخوارج لابن الازرق ومن قتل معه وذكر مدعى قتله وخبره مع امرأة . شعر قطرى فى يوم دولاب . حكم فُعَل وحكم الاسم المنقول من الاعجمية من حيث الصرف وعدمه . اختصاص أدوات الشرط بالافعال .

(٤) بعض ماقيل من الشعر فى حارثة بن بدر هجوا أومدحا . رعدوأرعد .

---

(١) مفاخرة أبناء المهلب بهذه المنقبة وأشعار حفيد له فيها . تدبير المهلب للمال وكيف كان ذلك قبل أن يجبى .

(٢) كتاب المهلب الى الحـارث القبـاع بهزيـمة الخوارج الي الاهواز ورد الحارث عليه

(٣) خطبتان للمهلب فى جيشه. وصف يوم سولاف شعرا . النعت بالمصدر وحكمه . استعمال كائن بدل كأين . سعة الحيلة عند المهلب فى استعمال الخدع الحربية وما كان يتقوله لذلك على علم بجوازه شرعا .

(٤) وصف يوم سلى وسليرى شعرا قتل أخوى ابن الماحوز لرسول المهلب برأس أخيهما الى الوالى وعمل الحجاج معهم جزاء ذلك بعد . كتاب المهلب الى الحارث بعد قتل ابن الماحوز ورد الحارث عليه .

(٥) خطبة الزبير بن على فى الخوارج عقب مبايعتهم له . بعض ماقيل من الشعر فى المهلب مدحا أو عتابا .

(١) كتاب المصعب الى المغيرة بن المهلب بتوليته مكان ابيه . الكلام على لام الاستغاثة ولام الاضافة بسعة واطالة .

(٢) قتل عمر بن عبيد الله فى هذه الوقائع وعمل أبيه بعد قتله ثم كتابه الى مصعب بهزيمته لهم واستشهاد ابنه هذا

(٣) فرار حوشب بن يزيد عن أبيه وأمه وتعيير الشعراء له بذلك مع ضرب المثل بشهامة عيسى بن مصعب الذى قتل بين يدى أبيه بعد

(٤) بعض أشعار فى ذلك . حكم عين الثلاثى المضعف . حكم الاسم الاعجمى اذا سمى به . أحوال لولا .

(١) قتل الحارث بن عميرة الهمدانى للزبير بن على ومدحة الاعشى له فى ذلك

(٢) كلمة عن فيروز حصين وما كان بينه وبين الحجاج .

(٣) قتل الخوارج لابنة المنذر بن الجارود زوج خالد بعد سبيهم لها . بعض ماقيل شعرا فى تعييل رأى خالد لتوليته أخاه وترك المهلب . عمر القنا مع ابن عمه وقد فر بزوجيه . القلب المكانى . حذف نون من . كتاب عبد الملك الى خالد بعزله

(٤) كتاب عبد الملك الى أخيه بشر بتوليته المهلب قتال الخوارج

(١) كتاب الحجاج الى المهلب فى ذلك ورد المهلب عليه . ضرب المهلب للركب من الحديد اصلاح المغيرة ذات البين بين أبيه وبين عتاب بن ورقاء . معانى العقيقة . أشعار مأثورة فى كثير مما تقدم

(٢) شل الخوارج لسرح المهاب واسترداد بنيه له منهم وذكر بعض ما قيل شعرا فى ذلك

(٣) قيس الخشنى واستحياؤه من خارجية نازلته . معاتبة بشر بن المغيرة لبنى عمه . قول ابن المنجب السدوسى لغلامه شعرا ذكر فيه جملة من أبطال الخوارج مع التعريف بهؤلاء الابطال وبخاصة عبيد بن هلال وماله من شعر وتخريج تبعته فيه الشعراء

(٤) أزاذ مردبن الهربذ والحجاج . شكوى بعض الشعراء للمغيرة بن المهلب وصاحبه الرقاد

(١) أشعار الصلت بن مرة الخارجى فى اختلاف الخوارج وتحرقه على ذلك

(٢) كتاب من الحجاج الى قطرى ثم رد قطرى عليه . آخر منه الى المهلب ورد المهلب عليه . خطبة لعبد ربه فى قومه

(٣) تفقد المهلب لجيشه ومعرفته أنساب الشعراء بشعرهم . تعيير بعض الشعراء لرسل الحجاج بالجبن . خطبة أخرى لعبد ربه

(٤) فراسة المهلب فى كشف دسيسة للخوارج وجهوا لقتله وقتله اياهم . كتاب المهلب الى الحجاج بانقضاء أمر القوم ورد الحجاج عليه

(٥) بنو المهلب وفروسيتهم . مدائح الشعراء للمهلب . مايضاف الى الافعال من أسماء الزمان وغيرها .

---

(١) تخفيف المشدد فى الشعر . السوى والسواء ومعانيهما . مصرع زيد بن على وابراهيم بن محمد . أولاد درزة وابن فرتنى و بنو غبراء

(٢) تأييد بعض الشعراء لبنى العباس دون العلويين بأن الوراثة لبنى الاعمام لا بنى البنات

(١) رؤيا حسان النبطى الحجاج وخوفه منه فى نومـه . الجحاف بن حكيم والاخطل فى مجلس عبد الملك .

(٢) معها مثلها من الحجاج الى الوليد بن عبد الملك .

(٣) تعريف الـكلام غير الجارى على نظم واحد . تحريك السا كن أو نقل حركة الاعراب عليه فى الشعر. الجوارة فى الصوت وعدم التفاوت فى الاقوال والافعال وحكايات فى ذلك .

(٤) قتـل ابن المنذر بن الجارود لعمر بن يزيد الاسدى وعمل هشام بن عبد الملك فى ذلك مع ذكر كلمة عن سؤدد عمر ورثاء الفرزدق له .

(٥) ابو دلامة يداعب المنصور وهو فى جنازة بنت عم له .

---

(١) وضع المصدر موضع اسمى الفاعل والمفعول ومجيئه على وزنهما ثم حلولهما محله .

(٢) القاب المكاني وكثرته

---

(١) الاشتغال وأحكامه

(٢) مدح الشماخ لعرابة بن أوس ومدح ابن قيس الرقيات لعبد الله بن جعفر ولعبد الملك بن مروان ثم مدح موسى شهوات لحمزة بن عبد الله بن الزبير

---

(١) تفسير الفل وذكر الخبر فى تقول الحجاج بن علاط السلمى على قريش حتى أخذ أمواله بمشورة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) وصف عمرو بن العاص خروج الروح ذكر استعمال العرب للفعلين فاظ وفاض فى معنى مات

(٣) ماكان مبلغ بر ابنه به

(٤) رثاء الفرزدق له

(١) بين خالد وسليمان بن على وبينه وبين الفرزدق . أخذ الحيطة قبل الكلام.

(٢) أنفة عقيل بن علفة ورده تزويج الهجناء من أولاد عبد الملك وكذا رده ابراهيم بن هشام . خطبة ابراهيم هذا حفصة بنت عمران وما كان يقوله فى أخيها لذلك . جميل العذرى وجميل الجمحى . لهو العظماء بالشعر اذا خلوا . قتل جميل الجمحى لأخى أبى خراش وقول أبى خراش فى ذلك.

(١) أكرم الناس رديفا وأشرفهم حليفا . هجو عيينة بن حصن لولد يعصر وحطة منزلتهم فى العرب

(٢) بين معاوية واعرابى وبينه وبين الاحنف بن قيس فى الكذب .

(٣) أبواب الثلاثى المجرد وضوابطها

(٢) معنى التمزين والخلاف فيه

(١) حكم واو المثال فى المضارع

(٢) نخلة مالك بن العجلان وجد أبى جبلة الملك لها . رأى المهلب بن أبى صفرة فى أشجع الناس

(٣) وصاة رجل من بنى ضبة لبنى تميم بصلة الرحم

(٤) بعض ألوان الاطعمة . جرير وجاريته والفرزدق . فرسان العرب ونعى الرواة عليهم سقطاتهم

(٥) بين الكلبي وخالد القسرى عن أبيه فى التقوى وغيرها . عقيلة أبى خالد.

. عن رسول الله وعلى فى التقوى

(١) عهد على فى هذا الوقف . كتاب معاوية الى والى المدينة أن يخطب أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر من ابنه يزيد وتزويج الحسين لها من ابن عمها ومنحها البغيبغات مهرا ومكثها فى أيدى بنيها حتى ردها المأمون الى الوقف وعوضهم منها .

(٢) حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التواضع .

(٣) معايب النطق وشرحها بتوسع . الموازنة بين اليزيدين . حاجة اللسان الى التمرين . أفصح العرب . يوم الخندمة وما قيل فيه . المرتضخون لكنات أعجمية

(٤) أيد محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير . طول قيس بن سعد ووصفه له

. شجاعتـه وجوده . كتاب معاويه اليـه وشهامتـه فى الرد عليه .
الموصوفون بالطول والجمال

(١) العير والنفير وأصل المثل «لا فى العير ولا فى النفير» نفى رسول الله للحكم ابن أبى العاصى ورد عثمان له

(٢) استعمال العرب الطيب الا فى الصيد والحرب . ابنـة هانئ بن قبيصة ووصفها لزوجيها

(٣) وصف الازواج . أنواع الماشية ووصف كل . صيغه فُعل فى الجمع صحيحة ومعتله. قلب الواو والياء ألفا. تمثل الحجاج فى المهلب . الاستعمال المجازى للصمم والعمى والبكم . المثل « أحمق من راعى ضأن ثمانين» . من لا ينبغى أن يشاوروا

(٤) سعيد بن العاصى فى عظمته وكبريائه

(٥) قولهم ألقى فى روعه وما فى معناه

(٦) منزلة بنى دارم فى العرب ممنى شام ومدح على بن جبلة للحسن بن سهل.

(١) نساء الحجاج بن يوسف ونزول ليلى على احداهن

(٢) أشعار الفرزدق فى تعزيته الحجاج عن ابنه وأخيه . اعراب جمع المذكر السالم وملحقاته وكيفيه النسب اليه .

(٣) كتاب الحجاج الى الوليد فى مال أخيه محمد بن يوسف ورد الوليد عليه ثم كتابه الى عبد الملك فى عطسة . رأى معاويه فى الخديعة .

(٤) مالا يجوز من الساكنين فى الشعر .

(٥) بين الحجاج ورجل من الخوارج . بن عمر بن الخطاب وأبى مريم الحنفى وذكر كلمة عنه وعن أبى مريم السلولى

(٦) عظيما القريتين وتفسير قول الله فيهما . رقى ورقىَ ورقاً

الصفحة	الموضوع	العنوان

الصفحة	الموضوع	العنوان
١٨٠	٣	مقتل المنتشر بن وهب
١٨٥	٤	مقتل مالك بن نويرة وما كان بين أخيه متمم وبين أبى بكر وعمر
١٩٠	٥	تقدم الخنساء وليلى الاخيلية فى الشعر مع التعريف ببعض الفضليات والاشراف من النساء . مقتل معاوية أخيها والاخذ بثأره . جرح أخيها صخر وخبره فى مرضه . صدار الخنساء وما قيل فيه
١٩٨	٦	خبر الوليد بن عقبة مع لبيد وابنته فى نذر لبيد
٢٠٨	٧	أولية الفرزدق وشرف أجداده . منام فاطمة الانمارية وتفسيره وفود أوس بن حارثة وحاتم الطائى على عمرو بن هند . منزلة أوس هذا لدى النعمان بن المنذر
٢١٧	١٠	مقتل ابنى مسمع
٢٢٧	٢٨	تصفح على للقتلى يوم الجمل وقوله اذ رأى طلحة فيهم
٢٣٠	٣٠	تربص أربد أخى لبيد وعامر بن الطفيل لقتل رسول الله وما كان لهما من دعائه عليهما • بين رجل وبين معن بن زائدة فى مرض معن
٢٣٢	٣١	عقل هشام أخى ذى الرمة وبعض ما أثر عنه
٢٣٢	٣٢	عزة على بن الحسن بن على وعلى بن عبد الله بن العباس . ماورد عن الشعراء وغيرهم فى الاعتزاز بالعشيرة . اشتداد المهاجاة بين عبدالرحمن ابن الحكم وعبد الرحمن بن حسان وتأديب مروان بن الحكم لهما . ماأثر من البداهة الشعرية عن عبد الرحمن بن حسان وابنة لابن الرقاع العاملى . عراقة بيت حسان وبيت آل حفصة فى الشعر
٢٣٦	٣٧	منزلة ابن مناذر فى الشعر ورأى أبى العباس فى هذا
٢٤٣	٢	بين معاوية وابنة الاشعث بن قيس وبين عمر وابنة هرم بن سنان فى ان المال يفنى والثناء يبقى
٢٤٤	٣	خبر العروس التى نصت على زوجين فى ليلتين ولاء وانجابها فى

الصفحة	الموضوع	العنوان
		عيسى بن مصعب خبر المصعب مع ابنه عيسى هذا وزوجه سكينة بنت الحسين قبيل مقتله ثم قتل عيسى ابنه معـه . هشام بن المغيرة والتأريخ بموته . وضع عمر للتاريخ الهجرى . التعريف بام قريش . ماورد فى المعنى أكرم لتكرم
٢٥٤	٤	مقتل يزيد بن المهلب وعبد الرحمن الاشعث وموازنة يزيد بينهما
٢٥٥	٩	استهتار حارثة بن بدر بالشراب وخبره فى هذا مع زياد وابنه عبيدالله الحاق زياد بن أبيه بأبى سفيان ومنزلة أبى سفيان جاهلية واسلاما
٢٥٨	١٠	زجر العرب الطير وما ورد فيه
٢٦٦	٢١	حسن الاجابة على البديهة لاعرابيين سئلا عن الخضاب .
٢٧٠	٣٤	ماورد فى اعفاء اللحى واحفاء الشوارب خاصة ثم فى تقصير الشعر أو اطالته عامة عن رسول الله ومسلمة بن عبد الملك وغيرهما
		ثالثا — فى ذيل الجزء الثانى
٢٧٤	٥	حكايات فى الصفح وكرم العفو عن رجل من قريش وأبى بكر وابن مسعود والشعبى والحسن بن على
٢٨٧	٢٩	تتويـج هوذة بن على ووفادته على كسرى
٢٩٠	٣٦	منزلة ابراهيم السواق فى الشعر وبعض ما أثر عنه
٢٩٤	٤١	محمد بن حرب بن قبيصة الهلالى وصحبة جده لرسول الله
٣٠٦	٨	بين ابن أبى عتيق وابرهيم بن هشام
٣٠٨	٩	وصف عمرو بن العاص لعبد الملك بن مروان
٣٠٨	١٠	كلمة عن ابن ميادة الشاعر
٣١٣	١٦	بيوتات العرب فى الجاهلية .
٣١٨	١	محبة الحجاج لزياد العتكى بعد بغضه اياه وسبب ذلك
٣٢٠	١٤	قول شمعل التغلبى وقد رماه عبد الملك بالجزر نخدش وهشم

الصفحة الموضوع العنوان

﴿ بيان ما لم يلحق بباب مما ورد فى هذا الجزء تابعاً لغيره ﴾

وهو لا يكاد يجاوز الشذرات النحوية والصرفية واللغوية .

الصفحة	الموضوع	العنوان
٣٢	٣٦	حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه حكم الواو والياء قبل تاء التأنيث
٣٤	١	امتناع اسماء الاستفهام من أن يعمل فيها ما قبلها
٣٨	٤	عطف الجملة على منصوب ان ونحوها بالنصب والرفع . تفسير مادة دان. معنى الشؤون . الكلام على الهوى والهواء . اعراب التركيب « ما انت وزيدا » ونحوه
٦٢	٣	الكلام على الجدا والجداء . اسماء الزق . اسماء السحاب اذ اركب بعضه بعضاً .
٦٤	٥	اللف والنشر المرتب
٦٤	٢	ابدال التاء من المعتل فى الافتعال وغيره
٧٠	٥	حكم فاء المثال فى المضارع .
٧٣	١	تفسير الضئضئ .
٧٦	٢	النسب الى حروراء وأصله
٨٢	٣	الرأى الدبرى والرأى المبيت
٨٦	٥	زيادة كلمة فى الشعر أو حذفها منه
٩٦	٥	استعمال العرب كلمتى لا أبالك . استعمالها ذو اسم موصول .
١١٣	٣	استعمال التغليب فى التثنية والجمع
١٢٠	٨	كيف يكون النسب الى المضاف والجمع وشرح ذلك بسعة
١٢٩	١٠	حكم فُعل والاسم المنقول من الاعجمية فى المنع من الصرف . اختصاص أدوات الشرط بالافعال .
١٣٣	١١	تحقيق القول فى رعد وأرعد
١٣٨	١٤	النعت بالمصدر . استعمال كلمة كائن فى مكان كأين
١٤٨	١٧	الكلام على لام الاستغاثة ولام الاضافة
١٥٨	٢٠	حركة عين الثلاثى المضعف . حكم الاسم الاعجمي اذا سمي به . أحكام لولا .

الصفحة	الموضوع	العنوان
١٦٣	٢	القلب المكانى . حذف نون من ونحوها
١٧٨	٥	تسكين المتحرك للتخفيف . الفرق بين أو وأم فى المعنى والاستعمال
١٩٠	٦	المصدر الموصوف به . أوصاف غير المستعد للحرب . المجاز العقلى
١٩٦	٨	العقيقة ومعانيها وما يتصل بذلك
٢١٤	١٦	مايضاف الى الافعال من أسماء الزمان وغيرها
٢١٨	٥	تخفيف المشدد فى الشعر . السوى والسواء ومعانيهما . أولاد درزة وابن فرتنى وبنو غبراء والكناية بها
٢٢٩	٧	الكلام الجارى على غير نظم تحريك الساكن أو نقل حركة الاعراب عليه فى الشعر . مدح الجهارة فى الصوت وذم التماوت
٢٣٣	١٢	التبادل فى الاستعمال بين المصدر وبين اسمى الفاعل والمفعول
٢٣٦	٣	القلب المكانى وكثرته .
٢٤٢	١٦	الاشتغال وأحكامه .
٢٥٣	١	شرح مادتى فاظ وفاض بمعنى مات .
٢٥٨	١٣	الاقواء فى الشعر
٢٦٠	٣	الجملة المحكية . تحويل المخاطبة . حذف المبتدا أو الفعل . ماجمع من فاعل على فواعل سماعا .
٢٦٥	٧	صفة الحازم والاحمق عن الحسن .
٢٧٧	١٩	أبواب الثلاثى المجرد وضوابط كل باب بسعة
٢٧٩	٢١	معنى التزين وما أخذ منه
٢٨٠	٢٢	حكم واو المثال فى المضارع .
٢٨٥	٥	بعض ألوان الاطعمة
٢٩٢	١٠	شرح معايب المنطق بافاضة مع ذكر حاجة اللسان الى التمرين والتعريف ببعض من ارتضخوا لكنة أعجمية وبيان أفصح القبائل .

﴿ انتهى ﴾



صواب ماوقع فى هذا الجزء من خطأ مطبعي

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	٢٥	راه	رواه	١٠٢	١١	« بياض »	٨
١٢	٣	أحدا	أحدكما	١٢٣	٤	ابن	أبى
١٢	١٦	ألا	لا	١٢٣	١٦	واحدهما	واحدها
١٣	٢	الحوائيم	الحواتيم	١٢٦	٢٢	فزادة	فزارة
١٤	٦	فهجاء	فهجاه	١٢٨	٢٤	انشاء	ان شاء
١٦	٢٢	فقال	فقالْ	١٦٠	١١	نجرن	نجران
٣٥	١٤	أس	آس	١٦٣	٢٢	فسيعملون	فسيعلمون
٤١	٧	كرأ	قرأ	١٦٥	١٣	فصرت	فسرت
٤٢	٧	فلذلك استهلت	فلذلك يقال استهلت	١٦٩	١	عل	على
				١٧٩	١٢	المربع	المرتع
٤٣	٨	الهزلى	الهذلى	١٨٠	١	قائما	فانى
٥٢	٤	مستظر	مستظهر	١٨٢	٢٠	الطبرسى	الطبرى
٦١	٢	مل	من	١٨٧	١٦	فمدنان	فمدنانى
٧٠	٢٢	فاستأذنى	فاستأدنى	٢٠٢	١٤	يتحنى	ينحنى
٧٢	٢٢	أبى الموت	أبالموت	٢١٢	١٧	أطواه	أطواء
٧٢	٢٤	مسروع	مصروع	٢٦٥	٥	« بياض »	٦
٧٥	٣	وانتض	وانتضى	٢٧٥	١٤	ين	ابن
٧٨	٧	وان يجورا	وان يحورا	٢٨١	٢	النبهان	التيهان
٨٠	١٨	يقلب	يغلب	٢٨١	٢٣	اهجمهم	اهجهم
٨٥	١٧	علىّ	على	٢٨٥	١٣	تأخذه	تأخذ
٨٩	١٠	الىّ	الى	٢٨٩	١٧	احسنست	أحسنت
٩١	١٣	طبَ	طبّ	٣١٦	١٣	يا أمير المؤمنين	والله ياأمير المؤمنين
٩٥	١٦	قطيفة بن	قطيعة من				



تهذيب الكامل

فى اللغة والأدب

عمل

السباعى بيومى

المتخرج فى مدرسة دار العلوم

الجزء الاول فى المنثور

قال العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن كتاب الكامل مانصه « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهى « كتاب الكامل للمبرد » وأدب الكاتب لابن قتيبة . وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابى على القالى البغدادى . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه »

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م ﴾

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعـد فقد قرأت فى كثير من كتب الأدب ودواوين اللغـة فعلمت ما يعلمه كل قارئ فيها أن كتاب الكامل لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد من أغزرها مادة وأجلها نفعا وأكثرها شرحاً لنفسه بنفسه غير أنه قدر صدر عن مؤلفه خالياً من فهرس يرشد القارئ الى مراميه ومختلطا بعضه ببعض اختلاطا يبعد الاستفادة ويقرب السآمة فجاء أشبه شئ بعقد خانه سلكه فانتثرت جواهره انتثارا ذهب بجميل رُوائها وان لم يشن بنفاستها لذا رأيت من زمن مضى أن أجعله سُلوانتى وقت فراغى حتى أرده الى أبواب مرتبة يحوى كل منها طائفة متناسبة من أنواع الكلام وضروب القول غير تارك منه شيئا دون الملم به ولا مغير فى جوهر عبارته حرفا ولا فاصل ما ورد بطريق الاستطراد لقرابة قريبة عما ورد معه (١) هذا الى اخراج ما به من تعليقات لأبى الحسن عن الصلب الى الهامش مع بعض زيادات لى . وقد وفقت بسداد من الله الى ما أردت وتم ذلك فى كتاب دعوته « تهذيب الكامل فى اللغة والأدب » وأخرجته فى جزأين يشمل أحدهما ماورد فى جزأى الاصل من منثور وفيه أربعة أبواب باب الخطب والوصايا والمواعظ وباب الكتب والعهود والرسائل وباب الحكم والأمثال والجوامع ثم باب النوادر والاخبار والحوادث وبخاصة أخبار الخوارج مرتبة ترتيبا يقرب فهمه ويسهل تناوله ، ويشمل الآخر ما ورد فيهما من منظوم وفيه ستة أبواب وذيل باب التشبيه والوصف وباب الغزل والشوق وباب الحماسة

---

(١) ولذلك كملنا فهرس كل باب بما ورد منه تابعاً بطريق الاستطراد مع ابقائه مكانه السباعى

والفخر وباب المدح والهجاء وباب التأبين والرثاء ثم باب الادب والحكمة . أما الذيل فقد أودعته من أبواب الاصل كل باب جمع أمرين أحدهما عدم تمشيه مع التهذيب كما تمشى بعض الابواب لتنوع أغراضه والثانى عدم قبوله توزيع مختاراته كما هى الحال فى معظم الابواب لجامعة أرادها أبو العباس وقد كان ذاك فى أربعة من أبواب الاصل أحدها فى أشعار مختارة من أشعار المولدين الحكيمة المستحسنة التى يحتاج اليها للتمثل لانها أشكل بالدهر ويستعار من ألفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب وثانيها فى مقطّعات مختارة لجودة مبانيها وحلاوة معانيها وحسن اختصارها وثالثها فى طرائف من حسَن الكلام وجيد الشعر وسائر الامثال ومأثور الاخبار والرابع باب جامع ذكر فيه أبو العباس من كل شىء شيئا

هذا ما اليه قصدت فى الترتيب والتهذيب عدا أشياء أخر وما أكثرها فى تنسيق كل باب على حدته قد عهدت بالتوقيف عليها الى كل عارف بالكامل ومطلع على فهرس تهذيبه وها هو ذا الكتاب مصدراً بمقدمة أصله وتاليا بعضه بعضاً على حسب ما ذكرت آنفا وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

السباعى بيومى

مقدمة الأصل(١)

الحمد لله حمدا كثيراً يبلغ رضاه ويوجب مزيده ويجير من سَخَطه وصلى الله على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلاة تامة زاكية تؤدى حقه وتزلفه عند ربه قال أبو العباس هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام

---

(١) مكتوب بالاصل قبل هذه المقدمة . بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر قال حدثنا أبو الحسن على بن سليمان الاخفش قراءة عليه قال قرئ لى هذا الكتاب على ابى العباس محمد بن يزيد المبرد . السباعى

منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة والنية فيه أن تفسر كل ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحاً شافياً حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً وعن أن يرجع الى أحد فى تفسيره مستغنياً وبالله التوفيق والحول والقوة واليه مفزعنا فى درك كل طلبة والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد برضاه وقول صادق يرفعه عمل صالح انه على كل شيء قدير

« باب الخطب والوصايا والمواعظ »

١ خطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تزوجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها فقال . الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراماً وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح عليه براً وفضلا وكرماً وعقلا ومجداً ونبلا (١) وان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلى

وهذه الخطبة من أقصد خطب الجاهلية وكان يقال يكفيك من قريش أنها أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسباً ومن بيت الله بيتاً ويقال ان دار أسد بن عبد العزى كان يقال لها رضيع الكعبة وذلك أنها كانت تفيء عليها الكعبة صباحاً وتفيء على الكعبة عشياً وان كان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمى بنعله فى منزله فتصلح له فاذا عاد فى الطواف رمى بها اليه وفى ذلك يقول القائل

لهاشم وزهير فضل مكرمة بحيث حلت نجوم الكبش والاسد

---

(١) موقع من بعد محمد موقع أخبار لاصفات بدليل العطف فى قوله وله فى خديجة السباعى

مجاور البيت والاركان بينهما مادونهم فى جوار البيت من أحد
وقال آخر .

سمين قريش مانع منك لحمه وغث قريش حيث كان سمين
وقال آخر .

واذا ما أصبته من قريش هاشمياً أصبت قصد الطريق
وقال حرب بن أمية لأبى مطر الحضرمى يدعوه الى حلفه و نزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح فتكنف كالندامى من قريش
وتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش
وتسكن بلدة عزت قديماً وتأمن أن يزورك رب جيش

وصلاح اسم من أسماء مكة وكانت مكة بلدا لقاحا واللقاح الذى ليس فى سلطان ملك وكانت لا تغزى تعظيما لها حتى كان أمر الفجار وانما سمى الفجار لفجورهم اذ قاتلوا فى الحرم

٢ وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم فان العبد بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه وأجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار .

٣ ومن وصاياه عليه الصلاة والسلام اجتنبوا القعود على الطرقات الا أن تضمنوا أربعا رد السلام وغض الابصار وارشاد الضال وعون الضعيف (١)

٤ ومما يؤثر من الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب (٢) رضى الله عنه فى

---

(١) الكتاب مفعم بكلامه صلى الله عليه وسلم مزين بأقواله فى مواضع زينة السماء الدنيا بالكواكب السباعى (٢) قال أبو الحسن قد روينا هذه الخطبة التى عزاها الى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح اه وأقول ولهذا أوردتها مع كلام أبى بكر فى التهذيب السباعى

أول خطبة خطبها حدثنا العتبي قال لم أر أقل منها فى اللفظ ولا أكثر فى المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انه والله مافيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه ثم نزل . وانما حسن هذا القول مع مايستحقه من قبل الاختيار بما عضده به من الفعل المشاكل له .

٥ ومما يؤثر من حكيم الاخبار وبارع الآداب ما حدثنا به عن عبد الرحمن ابن عوف وهو أنه قال دخلت يوماً على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى علته التى مات فيها فقلت له أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما انى على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجعى انى وليت أموركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم أنفه أن يكون له الامر من دونه والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربى كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والذى نفسى بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ياهادى الطريق جرت انما هو والله الفجر أو البجر فقلت خفض عليك ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يهيضك الى ما بك فوالله مازلت صالحا مصلحاً لا تأسى على شىء فاتك من أمر الدنيا ولقد تخليت بالامر وحدك فما رأيت الا خيرا .

قوله نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهى الوسادة وما ينضد من المتاع قال الراجز .

وقربت خدامها الوسائدا حتى اذا ما علوا النضائدا سبحت ربى قائما وقاعدا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد والمعنى واحد وانما هو ما نضد فى البيت من متاع قال النابغة . ورفعته الى السجفين فالنضـد . ويقال نضدت المتاع اذا ضممت بعضه الى بعض فهذا أصله قال الله تبارك وتعالى (لها طلع نضيد) وقال الله عز وجل (فى سدر مخضود وطلح منضود) ويقال نضدت اللبن على الميت وقوله على الصوف الاذربى فهذا منسوب الى أذربيجان وكذلك تقول العرب قال الشماخ

تذكرتها وهناً وقد حال دونها   قرى أذربيجان المسالح والجال (١)

وقوله على حسك السعدان فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الابل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد فى غيره فمن أمثال العرب مرعى ولا كالسعدان تفضيلا له قال النابغة

الواهب المائة الابكار زينها   سعدان تُوضح فى أوبارها اللبد

ويروى فى بعض الحديث أنه يؤمر بالكافر يوم القيامة فيسحب على السعدان والله أعلم بذلك (٢) وقوله انما هو والله الفجر أو البجر يقول ان انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك وان خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا وتحييرها أهلها وقوله يهيضك مأخوذ من قولهم هيض العظم اذا جبر ثم أصابه شيء يُعنته فآذاه فكسره ثانية أو لم يكسره وأكثر ما يستعمل فى كسره ثانية ويقال عظم مهيض وجناح مهيض فى هذا المعنى ثم يشتق لغير ذلك وأصله ما ذكرت لك فمن ذلك قول عمر

---

(١) المسالح جمع مسلحة وهى الثغر لانها تكون محصنة بالسلاح والجال معان منها ناحية البحر والجبل كالجول والجيل   السباعى

(٢) قال أبو الحسن السعدان نبت كثير الشوك كما ذكر أبو العباس ولا ساق له انما هو منفرش على وجه الأرض حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى عن ابن الاعرابى قال قيل لرجل من أهل البادية وخرج عنها أترجع الى البادية فقال أما مادام السعدان مستلقياً فلا يريد أنه لا يرجع الى البادية أبداً كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً وقال أبو على البصير واسمه الفضل بن جعفر وان لم يكن بحجة ولكنه أجاد فذكرنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به يمدح عبيد الله بن يحيى بن خاقان وآله فقال .

يا وزراء السلطان * أنتم وآل خاقان   كبعض ما روينا * فى سالفات الأزمان

ماء ولا كصداء * مرعى ولا كالسعدان

وهذه الأمثال ثلاثة منها قولهم مرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك وماء

ابن عبد العزيز رحمه الله لما كسر يزيد بن المهلب سجنه وهرب فكتب اليه لو علمت أنك تبقى ما فعلت ولكنك مسموم ولم أكن لأضع يدى فى يد ابن عاتكة (١) فقال عمر اللهم انه قد هاضنى فهضه فهذا معناه وقوله فكلكم ورم أنفه يقول امتلأ من ذلك غضباً وذكر أنفه دون السائر كما يقال فلان شامخ بأنفه يريد رافع رأسه وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر

* ولا يهاج اذا ما أنفه ورما * أى لا يكلم عند الغضب ويقال للمائل برأسه كبراً متشاوس وثانى عطفه وثانى جيده انما هذا كله من الكبرياء قال الله عز وجل ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله وقال الشماخ (٢)

نبئت أن ربيعاً أن رعى ابلا يهدى الى خناه ثانى الجيد

وقوله أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من برئت من المرض وبرأت كلاهما يقال فمن قال برئت قال أبرأ يافتى لاغير ومن قال برأت قال فى المضارع أبرأ وأبرؤ يافتى مثل فرغ يفرَغ ويفرُغ والآية تقرأ على وجهين سنفرَغ لكم أيها الثقلان وسنفرُغ والمصدر فيهما البرء يا فتى .

٦ وحدثنى محمد بن ابراهيم الهاشمى فى اسناد ذكره قال بلغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوماً يفضلونه على أبى بكر الصديق رحمه الله فوثب مغضباً حتى صعد

ولا كصداء تضرب هذه الأمثال للشيء الذى فيه فضل وغيره أفضل منه كقولهم ما من طامة الا فوقها طامة أى ما من داهية الا وفوقها داهية ويقال طما الماء وطم اذا ارتفع وزاد ومالك الذى ذكروا هو مالك بن نويرة أخو متمم بن نويرة وصداء يمد وبعضهم يقول صدى فيضم أوله فيقصر فأما أبو العباس محمد بن يزيد فانه قال لم أسمع من أصحابنا الا صدءاء يافتى وهو اسم لماء معرفة وهما همزتان بينهما ألف والألف لا تكون الا ساكنة كأنك قلت صدعاع يا هذا

(١) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز ولا يعلم أحد أعرق فى الخلافة منه

(٢) يهجو الربيع بين علياء السلمى

المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انى سأخبركم عنى وعن أبى بكر انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم ان قلنا له ياخليفة رسول الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر أوكلكم رأيه على هذا فقلنا نعم فقال والله لان أخِر من السماء فتخطفنى الطير أحب الى من أن يكون رأيي هذا ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت أيها الناس أأن كثر أعداؤكم وقل عدوكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين ثم نزل فجاهد فى الله حق جهاده حتى أذعنت العرب بالحق . قوله كم من فئة فهى الجماعة وهى مهموزة وتخفيف الهمز فى غير هذا الموضع أن تقلب الهمزة ياء وان كانت قبلها ضمة وهى مفتوحة قلبتها واواً نحو جؤن تقول جون (١) وقوله لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه على خلاف ما تتأوله العامة ولقول العامة وجه قد يجوز فأما الصحيح فان المصدق (٢) اذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل أخذ عقالا واذا أخذ الثمن قيل أخذ نقداً قال الشاعر

أتانا أبو الخطاب يضرب طبله ... فرد ولم يأخذ عقالا ولا نقدا (٣)

والذى تقوله العامة تأويله لو منعونى ما يساوى عقالا فضلا عن غيره وهذا

(١) الجؤنه الحقة يجعل فيها الحلى

(٢) هو آخذ الصدقات أما معطيها فهو المتصدق السباعى

(٣) كانت الأمراء اذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول

أوجه والأول هو الصحيح لأنه ليس عليهم عقال يعقل به البعير فيطلبه فيمنعه ولكن مجازه فى قول العامة ما ذكرنا ومن كلام العرب أتانا بجفنة يقعد عليها ثلاثة أى لو قعد عليها ثلاثة لصلح وكان ارتداد من ارتد من العرب أن قالوا نقيم الصلاة ولا نؤتى الزكاة فمن ذلك قول الحطيئة

ألا كل أرماح قصار أذلة ... فداء لارماح نصبن على الغمر
فباست بنى عبس وأستاه طيئ ... وباست بنى دُودان حاشا بنى نصر
أبوا غير ضرب يُجثم الهام وقعه ... وطعن كافواه المزفتة الحمر (١)
أطعنا رسول الله اذ كان بيننا ... فيا لهفتا ما بال دين أبي بكر
أيورثها بكراً اذا مات بعده ... فتلك وبيت الله قاصمة الظهر
فقوموا ولا تعطوا اللئام مقادة ... وقوموا ولو كان القيام على الجمر
فدى لبنى نصر طريفى وتالدى ... عشية ذادوا بالرماح أبا بكر (٢)

قوله يُجثم الهام وقعه انما هو مثل يقال جثم الطائر كما يقال برك الجمل وربض البعير . وكان قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر عاملا على صدقات بنى سعد فقسم ما كان فى يده من أموال الصدقات على بنى منقر وقال

فمن مبلغ عنى قريشا رسالة ... اذا ما أتتهـا محكمات الودائع
حبوت بما صدقت فى العام منقرا ... وأيأست منها كل أطلس طامع

وقوله فأجمع رأينا كلنا اصحاب محمد فأنما خفض كلا على أنه توكيد لاسمائهم المضمرة والظاهر لا يكون بدلا من المضمر الذى يعنى به المتكلم نفسه أو يعنى به المخاطب لا يجوز ان تقول مررت بى زيد لأن هذه الياء لا يشركه فيها شريك فتحتاج الى التبيين وكذلك لا يجوز ضربتك زيدا لان المخاطب منفرد بهذه الكاف فأما الهاء نحو مررت به عبد الله فيجوز لأنا نحتاج الى أن يعرفنا مبينا من صاحب

(١) المزفتة المطلية بالزفت وهو القطران يعنى الابل وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزقاق

(٢) قوله ذادوا بالرماح أبا بكر كذب انما خرجوا على الابل فقعقعوا لهـا بالشنان فنفرت وفرت .

الماء لانها ليست للذى يخاطبه فلا ينكر نفسه وانما يحدث به عن غائب فيحتاج الى البيان وقوله اصحاب محمد اختصاص وينتصب بفعل مضمر وهو أعنى ليبين من هؤلاء الجماعة كما ينشد . نحن بنى ضبة أصحابُ الجمل . أراد نحن أصحاب الجمل ثم بين من هم لان هذا قد كان يقع على من دون بنى ضبة معه وعلى من فوقها الى مضر ونزار ومعد ومن بعدهم وكذلك نحن العربَ أقرى الناس لضيف ونحن الصعاليكَ لاطاقة بنا على المروءة ويختار فى هذا الشعر (١)

انا بنى منقر قوم ذوو حسب فينا سراة بنى سعد وناديها

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم .

٧ ومن وصاياه قوله علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً وروّوهم مايجمل من الشعر وفى حديث آخر وخير الخلق للمرأة المغزل

٨ ولما احتضر قيس بن عاصم قال لبنيه يا بَنيّ احفظوا عنى ثلاثا فلا أحد أنصح لكم منى اذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم بحفظ المال فأنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم والمسألة فانها أخر كسب الرجل (٢)

٩ وتحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه انتهى اليه ان خيلا لمعاويه وردت الانبار فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى اتى النخيلة واتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيمى الخسف وديث بالصغار وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم فوالذى نفسى بيده ما غزى قوم قط فى عقر دارهم الا ذلوا فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات

---

(١) الاشارة للاختصاص وكلمة الشعر نائب فاعل فهى الواقع عليها الاختيار لانه لم يسبق شعر يختار منه ذلك البيت وهو لعمرو بن الاهتم السباعى

(٢) أخر بقصر الهمزة لاغير ومن رواه بالمد اخطأ ومعنى أخر أدنى وأرذل .

هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء والذى نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنزع أحجالهما ورُعُثهما ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم أحداً فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا ما كان عندى فيه ملوما بل كان به عندى جديرا يا عجبا كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الأحزان من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون اذا قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا أوان قُرّ وصِرّ وان قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هذه حمارّة القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الأحلام ويا عقول ربات الحجال والله لقد أفسدتم على رأيى بالعصيان ولقد ملأتم جوفى غيظا حتى قالت قريش ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا رأى له فى الحرب لله درهم ومن ذا يكون أعلم بها منى أو أشد لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع يقولها ثلاثا فقام اليه رجل ومعه أخوه (١) فقال يا أمير المؤمنين أنا واخي هذا كما قال الله تعالى (رب انى ألا أملك الا نفسى) وأخى فمرنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد ثم نزل (قال أبو العباس) قوله سيمى الخسف قال هكذا حدثونا وأظنه سيم الخسف يا هذا من قول الله عز وجل « يسومونكم سوء العذاب » ومعنى قوله سيمى الخسف تأويله علامته هذا أصل ذا قال الله عز وجل « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » وقال عز وجل « يعرف المجرمون بسيماهم » وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل مسومين قال معلمين واشتقاقه من السيمى التى ذكرنا ومن قال مسوّمين فانما أراد مرسلين من الابل السائمة أى المرسلة فى مراعيها وانما أخذ هذا من التفسير وقال المفسرون فى قوله تعالى والخيل المسومة القولين جميعا من العلامة

---

(١) الرجل وأخوه يعرفان بابنى عفيف من الأنصار .

والارسال وأما قوله عز وجل (من سجيل منضود مسومة عند ربك) فلم يقولوا فيه الا قولا واحداً قالوا معلمة وكان عليها أمثال الخواتيم ومن قال سيمى قصر ويقال فى هذا المعنى سيمياء ممدودا قال الشاعر (١)

غلام رماه الله بالحسن يافعا　　له سيمياء لا تشق على البصر (٢)

وقوله وقتلوا حسان بن حسان من أخذ حسانا من الحسن صرفه لأن وزنه فعال فالنون منه فى موضع الدال من حماد ومن أخذه من الحس لم يصرفه لأنه حينئذ فعلان فلاينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة لانه ليست له فُعلى فهو بمنزلة سعدان وسرحان وقوله وديث بالصغار تأويل ذلك يقال للبعير اذا ذللته الرياضة بعير مديث أى مذلل وقوله فى عقر دارهم أى فى أصل دارهم والعقر الأصل ومن ثم قيل لفلان عقار أى أصل مال ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (من باع دارا أو عقارا فلم يردد ثمنه فى مثله فذلك مال قمن ألا يبارك له فيه) وقوله قمن يريد خايق ويقال أيضاً قمين وقمن (٣) ويقال للرجل اذا اتخذ ضيعة أو داراً تأثل فلان أى اتخذ أصل مال وقوله وتوا كلتم انما هو مشتق من وكلت الأمر اليك ووكلته أنت الىَّ أى لم يتوله واحدمنا دون صاحبه ولكن أحال به كل واحد منا على الآخر ومن ذلك قول الحطيئه

فلأيا قصرت الطرف عنهم بجَسرة　　أمون اذا واكلتها لا تواكل

وقوله واتخذتموه وراءكم ظهريا أى رميتم به وراء ظهوركم أى لم تلتفتوا اليه ويقال فى المثل لا تجعل حاجتى منك بظهر أى لا تطرحها غير ناظر اليها وقوله حتى شنت عليكم الغارات يقول صبت يقال شننت الماء على رأسه أى صببته وشننت الشراب فى الاناء أى صببته ومن كلام العرب فلما لقى فلان فلاناً شنه السيف أى صبه عليه صبا وقوله هذا أخو غامد فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية من بنى غامد بن نصر بن الأزد بن الغوث وفى هذه القبيلة يقول القائل

---

(١) وهو ابن عنقاء الفزارى فى عميلة الفزارى

(٢) كأن الثريا علقت فى جبينه　　وفى انفه الشعرى وفى خده القمر

(٣) قال أبو الحسن من قال قمَن لم يثن ولم يجمع ومن قال قمِن وقمين ثنى وجمع

ألا هل أتاها على نأيها   بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتى فارس   فردكم فارس واحد (١)
فليت لنا بارتباط الخيو   ل ضأنا لها حالب قاعد

وقوله فتنتزع أحجالهما يعنى الخلاخيل واحدها حجل (٢) ومن هذا قيل للدابة مُحجّل ويقال للقيد حجل لانه يقع فى ذلك الموضع قال جرير يعير الفرزدق حين قيد نفسه وأقسم ألا يحله حتى يحفظ القرآن وكان جرير هاجى البعيث فهجاء الفرزدق معونة للبعيث وذبا عن عشيرته قال .

ولما التقى القين العراقى باسته   فرغت الى العبد المقيد فى الحجل (٣)

ومعنى فرغت عمدت قال الله عز وجل (سنفرغ لكم أيها الثقلان) أى سنعمد (٤) وقوله ورُعْثُهما الواحدة رَعثه وجمعها رعاث وجمع الجمع رعث وهى الشنوف وقوله ثم انصرفوا موفورين من الوفر أى لم يُنْذَل أحد منهم بان زأ فى بدن ولا مال يقال فلان موفور وفلان ذو وفر أى ذو مال ويكون موفوراً فى بدنه اذا ذكر ما أصيب به غيره فى بدنه قال حاتم الطائى

وقد علم الأقوام لو أن حاتما   أراد ثراء المال كان له وفر

ويروى أمسى له وفر وقوله لم يكلم أحد منهم كلما يقول لم يخدش أحد منهم خدشا وكل جرح صغر أو كبر فهو كلم قال جرير

تواصت من تكرمها قريش   برد الخيل دامية الكلوم

وقوله مات من دون هذا أسفا يقول تحسراً فهذا موضع ذا وقد يكون الأسف الغضب قال الله عز وجل (فلما آسفونا انتقمنا منهم) والأسيف يكون الأجير ويكون الأسير فقد قيل فى بيت الاعشى

---

(١) هو ربيعة بن مكَدم (٢) بالكسر والفتح وكابل وطِمرّ السباعى
(٣) يعنى بقوله ولما التقى القين العراقى باسته البعيث وسماه القين لانه من رهط الفرزدق . (٤) تميم تقول فرَغ يفرَغ فراغا وأهل العالية وهم قريش ومن ولاها يقولون فرِغ يفرُغ فروغاً

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما يضم الى كشحيه كفا مخضبا

المشهور أنه من التأسف بقطع يده وقيل بل هو أسير قد كبلت يده ويقال قد جرحها الغل والقول الاول هو المجتمع عليه ويقال فى معنى أسيف عسيف أيضاً وقوله من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم يقول من تعاونهم وتظاهرهم وقوله وفشلكم عن حقكم يقال فشل فلان عن كذا اذا هابه فنكل عنه وامتنع من المضى فيه وقوله قلتم هذا أوان قُرّ و صِرّ فالصر شدة البرد قال الله عز وجل (كمثل ريح فيها صر) وقوله هذه حمارّة القيظ فالقيظ الصيف وحمارته اشتداد حره واحتدامه وحمارة مما لا يجوز ان يحتج عليه ببيت شعر لان كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع فى وزن الشعر الا فى ضرب منه يقال له المتقارب فانه جوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله

فذاك القصاص وكان التقا ص حتما وفرضا على المسلمينا

ولو قال وكان القصاص فرضا كان أجود وأحسن ولكن قد أجازوا هذا فى هذه العروض ولا نظير له فى غيرها من الأعاريض وقوله ياطغام الأحلام فمجاز الطغام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده وكانوا يقولون طغام أهل الشأم كما قال (١) . فما فضل اللبيب على الطغام . وقوله ويا عقول ربات الحجال ينسبهم الى ضعف النساء وهو السائر فى كلام العرب قال الله تعالى يذكر البنات (أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين)

١٠ وقال فى خطبة له أيها الناس اتقوا الله الذى ان قلتم سمع وان أضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان هربتم منه أدرككم وان أقمتم أخذكم.

١١ وقال له رجل وهو فى خطبة يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال. ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن

١٢ ويروى عن الشعبى أنه قال قال عبد الله بن العباس قال لى أبى يابنى انى أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار فاحفظ

---

(١) اذا ما كان مثلهم رجاما

عنى ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تغتب عنده مسلما ولا تفشين له سراً قال فقلت يا أبه كل واحدة منها خير من ألف فقال كل واحدة منها خير من عشرة آلاف

١٣ وقال العتبى خطب الناس معاوية بن أبي سفيان فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس انى من زرع قد استحصد ولن يأتيكم بعدى الا من أنا خير منه كما لم يكن قبلى الا من هو خير منى

وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته قلبننى ففعلن فقال انكن لتقلبنه حوّلا قلّبا ان وقى كبّة النار ثم قال متمثلا

لا يبعدن ربيعة بن مكدم ۝ وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال لابنة قرظة ابكينى فقالت

ألا ابكيه ألا ابكيه ۝ ألا كل الفتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته انك قد فجعت بخير الآباء وأعطيت جميع الأشياء فاصبر على الرزيئة واحمد الله على حسن العطية فلا أعطى أحد كما أعطيت ولا رزئ كما رزئت فقام ابن همام السلولى فانشده شعراً كأنما فاوضه الثقفى فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة ۝ واشكر بلاء الذى بالملك أصفاكا
أصبحت تملك هذا الخلق كلهم ۝ فأنت ترعاهم والله يرعاكا
ما ان رزى أحد فى الناس تعلمه ۝ كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف ۝ اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

الحول معناه ذو الحيلة والقلب الذى يقلب الأمور ظهرا لبطن وقوله اذ وقى كبة النار فكبة النار معظمها وكذلك كبة الحرب ويقال لقيته فى كبة القوم ويروى عن بعض الفرسان انه طعن رجلا فى حرب فقال طعنته فى الكبة فوضعت رمحى فى اللبّة وأخرجته من السبّة والسّبة الدبر

١٤ وحدثت أن صَبْرة بن شَيْمان الحُدانى دخل على معاوية والوفود عنده فتكلموا فأكثروا فقام صبرة فقال يا أمير المؤمنين انا حى فعال ولسنا بحى مقال

ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم فقال صدقت

١٥ وحدثت أن أبا بكر رضى الله عنه ولى يزيد بن أبى سفيان ربعا من أرباع الشأم فرقى المنبر فتكلم فأرتج عليه فاستأنف فأرتج عليه فقطع الخطبة فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال هن مخرجاتى من الشأم استحسانا لكلامه وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لعامر بن قيس العنبرى ورآه ظاهر الاعرابية أين ربك فقال بالمرصاد وقال قائل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض فقال على أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان

١٦ وذكر العتبى أن عتبة خطب الناس بمصر عن موجدة فقال ياحاملى ألأم أنوف ركبت بين أعين انى قلمت أظفارى عنكم ليلين مسى لكم وسألتكم صلاحكم اذا كان فسادكم باقياً عليكم فأما اذ أبيتم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فأن حسمت أدواءكم والا فأن السيف من ورائكم فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم ومن موعظة منا صمت عنها آذانكم ولست أبخل بالعقوبة اذا جدتم بالمعصية ولا أويسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التى هى أبر وأتقى ثم نزل

١٧ وذكر العتبى أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القصر قال خطب الناس بالموسم عتبة فى سنة احدى وأربعين وعهد الناس حديث بالفتنة فاستفتح ثم قال . أيها الناس انا قد ولينا هذا الموضع الذى يضاعف الله فيه للمحسن الأجر وعلى المسىء الوزر فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمن حتفه فى أمنيته اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم واياكم ولو فقد اتعبت من كان قبلكم ولن تريح من بعدكم فاسألوا الله أن يعين كلا على كل - فنعق به أعرابي من مؤخر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد قال فيا أخاه قال قد أسمعت فقل قال والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسنا فان كان الاحسان لكم فما أحقكم باستتمامه وان كان لنا فما

أحقكم بمكافأتنا . رجل من بنى عامر يمت اليكم بالعمومة ويختص اليكم بالخؤولة وقد وطئه زمان وكثرة عيال وفيه أجر وعنده شكر فقال عتبة أستعيذ بالله منك وأستعينه عليك قد أمرت لك بغناك فليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك

١٨ وذكر العتبي أو غيره أن داود بن على بن عبد الله بن العباس خطب الناس فى أول موسم ملكه بنو العباس بمكة فقال (١) شكراً شكراً انا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ولا لنبنى فيكم قصراً أظن عدو الله أن لن نقدر عليه ان روخى له من خطامه حتى عثر فى فضل زمامه فالآن حيث أخذ القوس باريها وعادت النبل الى النَّزَعة ورجع الملك فى نصابه من أهل بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن فى فرشنا أمن الاسود والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية وأومأ بيده الى الكعبة لانهيج منكم أحداً .

١٩ وحدثنى مسعود بن بشر فى اسناد ذكره قال قال زياد لحاجبه انى وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربعة عزلتك عن هذا المنادى اذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه وعن طارق الليل فشر ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته وعن رسول صاحب الثغر فان ابطاء ساعة يفسد تدبير سنة وعن هذا الطباخ اذا فرغ من طعامه

٢٠ وروى أنه لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب بن الزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه أتانا خبر قتل المصعب فسررنا به واكتأبنا له فأما السرور فلما قدر له من الشهادة وحيز له من الثواب وأما الكآبة فلوعة يجدها الحميم عند فراق حميمه وانا والله ما نموت حبجا كميتة آل أبي العاصي انما نموت والله قتلا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف فان يهلك المصعب فان فى آل الزبير منه خلفاً قوله حبجاً يقال حبج بطنه إذا انتفخ وكذلك حبط والمقعص المقتول واللوعة الحرقة يقال لاع يلاع لوعة يافتى فهو لائع ويقال لاع يافتي على على القلب وأنشد أبو زيد

(١) أتينا بهذه بعد تلك وان تأخرت عنها تاريخاً لتشابه المقتضى فى كل السباعى

ولا فرح بخير ان أتاه ولا جزع من الحدثان لاعى

٢١ وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر أيها الناس اقدعوا هذه الانفس فانها أسأل شيء اذا أعطيت وأمنع شيء اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاماً وزماماً فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فانى رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه

قوله اقدعوا يقول امنعوا يقال قدعته عن كذا أى منعته عنه ومنه قول الشماخ

اذا ما استافهن ضربن منه مكان الرمح من أنف القدوع

قوله استافهن يعنى حمارا يستاف أتنا يقول يرحنه اذا اشتمهن والسوف الشم وقوله مكان الرمح من أنف القدوع يريد بالقدوع المقدوع وهذا من الأضداد يقال طريق ركوب اذا كان يركب ورجل ركوب للدواب اذا كان يركبها ويقال ناقة رغوث اذا كانت ترضع وحوار رغوث اذا كان يرضع ومثل هذا كثير يقال شاة حلوب اذ كانت تحلب ورجل حلوب اذا كان يحلب الشاة والقدوع هاهنا البعير الذى يقدع وهو أن يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريماً فيضرب أنفه بالرمح حتى يرجع يقال قدعته وقدعت أنفه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ذكر ذلك لورقة بن نوفل فقال محمد بن عبد الله يخطب خديجة بنت خويلد الفحل لا يقدع أنفه

٢٢ وكان الحجاج يقول ان امرأ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه أو يستغفر من ذنبه أو يفكر فى معاده لجدير أن تطول حسرته يوم القيامة

٢٣ وخطب الحجاج ذات يوم جمعة فلما توسط كلامه سمع تكبيراً عالياً من ناحية السوق فقطع خطبته التى كان فيها ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشقاق ويا أهل النفاق وسيئ الأخلاق يا بنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الاماء انى لأسمع تكبيراً ما يراد الله به انما يراد به الشيطان وان مثلى ومثلكم قول ابن براقة الهمدانى .

وكنت اذا قوم رمونى رميتهم فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكى وصارماً وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ثم نزل فصلى بهم

قوله يا أهل الشقاق فالمشاقة المعاداة وأصله ان يركب ما يشق عليه ويُركب منه مثل ذلك والنفاق ان يسر خلاف ما يبدى هذا أصله وانما أخذ من النافقاء وهو أحد أبواب جحرة اليربوع وذلك انه أخفاها فانما يظهر من غيره وللجحره أربعة أبواب النافقاء والراهطاء والداماء والسابياء وكلها ممدودة ويقال للسابياء القاصعاء وانما قيل له السابياء لأنه لا ينفذه فيبقى بينه وبين انفاذه هنة من الأرض رقيقة وأخذ من سابياء الولد وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها الولد من بطن أمه قال الأخطل يضرب ذلك مثلا ليربوع بن حنظلة لأنه سمى باليربوع

تُسَدُّ القاصعاء عليك حتى تنفق أو تموت بها هزالا

والعرب تزعم انه ليس من ضب الاوفى جحره عقرب فهو لا يأكل ولد العقرب وهى لا تضربه فهى مسالمة له وهو مسالم لها وأنشد

وأخدع من ضب اذا خاف حارشاً أعد له عند الذنابة عقربا (١)

وقوله بنو اللكيعة يريد اللئيمة وسيأتى تفسير هذا فى موضعه (٢) قال ابن قيس الرقيات يذكر قتل مصعب بن الزبير

ان الرزية يوم مسـ كن والمصيبة والفجيعه

---

(١) كلها بالمد ويقال بالقصر ويقال أيضا فيها على وزن فُعله نفقه ورهطه ودمه وقصعه وحكى ابن القوطية فى المقصور والممدود له الرُهَطاء كالراهطاء والنفقاء كالنافقاء والقصعاء كالقاصعاء وحكى أيضا زيادة فقال العانقاء جحر الأرنب واليربوع والغابياء أيضاً من جحرة اليربوع وأما قول ابي العباس فى السابياء فهو مما قد رد عليه فيه وقد تبعه ابن ولاد وكلاهما غير مصيب وانما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو الفقء وليس يخرج الولد فيه وقال الكميت

وفقأً فيها الغيث من سابيائه دوالح وافقن النجوم البواجسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء وانما الجلدة التى يكون فيها الولد الغرس وقد تبع ابن القوطية أبا العباس فى السابياء فى أنه من أسماء جحرة اليربوع وذلك غلط

(٢) تتضح المواضع التى ورد فيها مما ذكر بهامش الفهرس السباعى

بابن الحوارى الذى لم يعده أهل الوقيعه
غدرت به مضر العرا ق وأمكنت منه ربيعه
فأصبت وترك ياربيـــع وكنت سامعة مطيعه
يالهف لو كانت له بالطف يوم الطف شيعه
أو لم يخونوا عهده أهل العراق بنوا اللكيعه
لوجدتموه حين يغضـ ب لا يعرج بالمضيعه

وقوله عبيد العصا يريد أنهم لا ينقادون الا بالادلال كما قال ابن مفرغ الحميرى

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

وقال جرير يهجو التيم

ألا انما تيم لعمرو ومالك عبيد العصا لم يرج عتقا قطينها

٢٤ وخطب الناس عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمربد عند ظهور أمر الحجاج عليه فقال أيها الناس انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقي من ذنب الوزغة تضرب به يميناً وشمالا فلا تلبث أن تموت فسمعه رجل من بنى قشير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعه فقال قبح الله هذا يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعدهم الغرور .

وروت الرواة أن الحجاج لما أخذ رأس ابن الأشعث وجه به الى عبد الملك ابن مروان مع عِرار بن عمرو بن شأس الأسدى وكان أسود دميما فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر الوقيعة الا أنباه به عرار فى أصح لفظ وأشبع قول وأجزأ اختصار فشفاه من الخبر وملأ أذنه صوابا وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حيث رآه فقال عبد الملك متمثلا

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد لعمرى عرارا بالهوان فقد ظلم
وان عرارا ان يكن غير واضح فاني أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال عرار أتعرفنى يا أمير المؤمنين قال لا قال فأنا والله عرار فزاده فى سروره وأضعف له الجائزة

وكتب صاحب اليمن الى عبد الملك بن مروان فى وقت محاربته ابن الأشعث

انى قد وجهت الى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها قط فلما دخل بها عليه رأى وجها جميلا وخلقاً نبيلا ما فألقى اليها قضيباً كان فى يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسما بهره فلما هم بها أعلمه الآذن ان رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحى الجارية فأعطاه كتاباً من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها .

سائل مجاور جرم هل جنيت لها　　ضرباً يزيّل بين الجيرة الخلُط
وهل سموت بجرار له لجب　　جم الصواهل بين الجم والفرط
وهل تركت نساء الحى ضاحية　　فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وتحتها (١)

قتل الملوك وصار تحت لوائه　　شجر العُرا وعرا عر الأقوام

قال فكتب اليه عبد الملك كتاباً وجعل فى طيه جواباً لابن الأشعث

ما بال من أسعى لأجبر عظمه　　حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى
أظن خطوب الدهر بينى وبينهم　　ستحملهم منى على مركب وعر
وانى واياهم كمن نبه القطا　　ولو لم تنبه باتت الطير لا تسرى
أناة وحلما وانتظاراً بهم غدا　　فما انا بالوانى ولا الضرع الغمر

وينشد بالفانى ثم بات يقلب كف الجارية ويقول ما أفدت فائدة أحب الى منك فتقول فما بالك يا أمير المؤمنين وما يمنعك فقال يمنعنى ما قاله الأخطل لأنى ان خرجت منه كنت ألأم العرب

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم　　دون النساء ولو باتت باطهار

فما اليك سبيل أو يحكم الله بينى وبين عدو الرحمن بن الأشعث فلم يقر بها حتى قتل عبد الرحمن .

قوله فرأى منها جسما بهره يقال بهر الليل اذا سد الأفق بظلمته وبهر القمر اذا ملأ الأرض ببهائه ومن ثم قيل للقمر الباهر أنشدنى المازنى لرجل من بنى الحارث بن كعب

---

(١) بيت آخر على غير الروى من الابيات الأول وهو

والقمر الباهر السماء لقد زرنا هلالا بجحفل لجب
تسمع زجر الكماة بينهم قدم وأخر وأرحبي وهبي
من كل هداءة كمالية الو مج أمون وشيظم سلب

وقال طفيل الغنوى يصف كيف تزجر الخيل فجمعه فى بيت واحد .

وقيل اقدمى واقدم وأخ وأخرى وها وهلا واضبر وقادعها هبى (١)

ومن زجر الخيل أيضاً هقب وهقط وأنشدنى أبو عثمان المازنى(٢)

لما سمعت زجرهم هقط علمت أن فارساً منحط

وقول بين الجم والفرط هما موضعان باعيانهما وقوله فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط يقال فيه قولان متقارباں أحدهما انهن قد يئسن من الرحيل فجعلن مراكبهن حطباً هذا قول الأصمعى وقال غيره بل قد منعهن الخوف من الاحتطاب والغبيط من مراكب النساء وكذلك الحدج قال امرؤ القيس .

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

فأعلمك ان الغبيط لها والحامل انما أول من اتخذها الحجاج فى ذلك يقول الراجز

أول عبد عمل المحاملا أخزاه ربى عاجلا وآجلا

وقوله شجر العرا فالعرا نبت بعينه ان ضم العين والعراء ممدود وجه الارض قال الله عز وجل (لنبذ بالعراء وهو مذموم) وقال الهذلى

رفعت رجلا ما أخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابى

وهذا التفسير والانشاد عن ابى عبيدة وقوله دون النساء ولو باتت باطهار معناه ان يجتنبها فى طهرها وهو الوقت الذى يستقيم له غشيانها فيه وأهل الحجاز ون الأقراء الطهر وأهل العراق يرونها الحيض وأهل المدينة يجعلون عدد النساء الأطهار ويحتجون بقول الأعشى .

وفى كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عظيم عزائكا

---

(١) قال ابو الحسن وأج (٢) قال الفراء هقط بالكسر والفتح ويروى مختط بدل منحط

مورثة مالا وفى الحى رفعة   لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وقوله ولو باتت باطهار فلو أصلها فى الكلام ان تدل على وقوع الشىء لوقوع غيره تقول لو جئتنى لأعطيتك ولو كان زيد هناك لضربته ثم تتسع فتصير فى معنى ان الواقعة للجزاء تقول أنت لا تكرمنى ولو أكرمتك تريد وان أكرمتك قال الله عز وجل (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) فأما قوله عز وجل فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به فان تأويله عند أهل اللغة لا يقبل به أن يتبرأ وهو مقيم على الكفر ولا يقبل ان افتدى به فلو فى معنى ان وانما منع لو أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم ان أن حروف المجازاة انما تقع لما لم يقع ويصير الماضى معها فى معنى المستقبل تقول ان جئتنى أعطيتك وان قعدت عنى زرتك فهذا لم يقع وان كان لفظه لفظ الماضى لما أحدثته فيه ان وكذا متى أتيتنى أتيتك ولو تقع فى معنى الماضى تقول لو جئتنى أمس لصادفتنى ولو ركبت الى أمس لألفيتنى فلذلك خرجت من حروف الجزاء فاذا أدخلت معها لا صار معناها ان الفعل يمتنع لوجود غيره فهذا خلاف ذلك المعنى ولا تقع الا على الأسماء ويقع الخبر محذوفاً لأنه لا يقع فيها الاسم الا وخبره مدلول عليه فاستغنى عن ذكره لذلك تقول لولا عبد الله لضربتك والمعنى فى هذا المكان من قرابتك أو صداقتك أو نحو ذلك فهذا معناها فى هذا الموضع ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى وهو لولا التى تقع فى معنى هلا التى للتحضيض ومن ذلك قوله (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) أى هلا وقال تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم) فهذه لا يليها الا الفعل لأنها للأمر والتحضيض مظهراً أو مضمراً كما قال (١)

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم   بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا

أى هلا تعدون الكمى المقنعا ولولا الأولى لا يليها الا الاسم على ما ذكرت لك ولابد فى جوابها من اللام أو معنى اللام تقول لولا زيد فعلت والمعنى لفعلت

---

(١) نسب لجرير وقيل للاشهب بن رميلة

وزعم سيبويه أن زيداً من حديث لولا واللام والفعل حديث معلق بحديث لولا وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها . ولو بغير لا . لايليها الا الفعل مضمراً أومظهراً لأنها تشارك حروف الجزاء فى ابتداء الفعل وجوابه تقول لو جئتنى لأعطيتك فهذا ظهور الفعل واضماره قوله عز وجل (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم فهذا الذى رفع أنتم ولما أضمر ظهر بعده ما يفسره ومثل ذلك لو ذات سوار لطمتنى أراد لو لطمتنى ذات سوار ومثله (١)

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى   جعلت لهم فوق العرانين مِيسما

وكذلك قول جرير

لو غيرَكم علق الزبير بحبله   أدى الجوار الى بنى العوام

فنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده لأنه للفعل وهو فى التمثيل لو علق الزبير غيركم وكذلك كل شىء للفعل نحو الاستفهام والأمر والنهي وحروف الفعل اذ وسوف (٢) وهذا مشروح فى الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح وأما قوله وعراعر الأقوام فمعناه رءوس الأقوام الواحد عُرعرة وعُرعرة كل شىء اعلاه ومن ذلك كتاب يزيد بن المهلب الى الحجاج بن يوسف وان العدو نزل بعرعرة الجبل ونزلنا بالحضيض فقال الحجاج ليس هذا من كلام يزيد فمن هناك قيل يحيى بن يعمَر فكتب الى يزيد أن يشخصه اليه . وزعم التوزى قال قال الحجاج ليحيى بن يعمر يوما أتسمعنى الحن قال الامير أفصح من ذلك قال فاعاد عليه القول واقسم عليه فقال يحيى نعم تجعل أن مكان ان فقال له ارحل عنى ولا تجاورني قال أبو العباس هذا على ان يزيد لم تؤخذ عليه زلة فى لفظ الا واحدة فانه قال على المنبر وذكر عبد الحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب فقال هذه الضبعة العرجاء فاعتدت عليه لحناً لأن الانثى انما يقال لها الضبُع ويقال للذكر الضِبْعان فاذا جمع قيل ضِبْعان وانما جمع على التأنيث دون التذكير والباب

---

(١) قول المتلمس (٢) كذا وقع هنا اذ وسوف ولم يذكر سيبويه مع سوف الا قد وهو الصحيح .

على خلاف ذلك لان التأنيث لا زيادة فيه وفى التذكير زيادة الالف والنون فثنى على الاصل وأصل التأنيث ان يكون زائدا على بناء التذكير لانه منه يخرج مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة فمن حيث قلت للذكر والانثى فى التثنية كريمان على حذف الزيادة قلت ضبعان وتقول له ابنان اذا أردت له ابن وابنة ولا تقول فى الدار رجلان اذا أردت رجلا وامرأة الا على قول من قال للانثى رجلة فقد جاء ذلك وقال الشاعر

كل جار ظل مغتبطا غير جيرانى بنى جبلة
خرقوا جيب فتاتهم لم يبالوا حرمة الرجلة

ولا يقال للناقة والجمل جملان ولا يقال للبقرة والثور ثوران لاختلاف الاسمين انما يكون ذلك فيما ذكرنا فى قول من قال للانثى ثورة قال الشاعر :

جزى الله فيها الاعورين ملامة وعبدة ثفر الثورة المتضاجم (١)

٢٥ قال أبو العباس وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن الاصمعى قال قال عدى بن الفضيل خرجت الى امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحفره بئرا بالعذبة فقال لى وأين العذبة فقلت على ليلتين من البصرة فتأسف الا يكون بهذا الموضع ماء فاحفرنى واشترط على ان أول شارب ابن السبيل قال فحضرته فى جمعة وهو يخطب فسمعته وهو يقول يأيها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمرى لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم أيها الناس انه من يقدر له رزق برأس جبل أو بحضيض ارض يأته فاتقوا الله واجملوا فى الطلب قال فاقمت عنده شهرا مابى الا استماع كلامه

قوله بحضيض يعنى المستقر من الارض اذا انحدر عن الجبل ولا يقال حضيض الا بحضرة جبل يقال حضيض الجبل ويطرح الجبل فيستغنى عنه لان هذا لا يكون الا له ومن ذلك قول امرئ القيس . نظرت اليه قائما بالحضيض .

وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذى لم يأت على يومك الذى انت فيه فانه ان يعلم من اجلك يأت فيه رزقك واعلم انك

(١) قال أبو الحسن المتضاجم الواسع

لا تكسب من المال شيئا غير قوتك الا كنت خازنا لغيرك فيه. ويروى للنابغة(١)

ولست بخابئ أبدا طعاما   حذار غد لكل غد طعام

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها (٢) قوله صلى الله عليه وسلم فى سربه يقول فى مسلكه يقال فلان واسع السرب وخلى السرب يريد المسالك والمذاهب وانما هو مثل مضروب للصدر والقلب يقال خل سربه أى طريقه حتى يذهب حيث شاء ويقال ذلك للابل لانها تنسرب فى الطرقات ويقال سرّب على الأبل أى ارسلها شيئا بعد شيء فاذا قلت سرب بكسر السين فانما هو قطيع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا قال امرؤ القيس

فعن لنا سرب كان نعاجه   عذارى دُوار فى الملاء المذيل

دُوار نسك ينسكون عنده فى الجاهلية ودُوّار ما استدار من الرمل ودَوّار سجن اليمامة قال بعض اللصوص (٣)

كانت منازلنا التى كنا بها   شتى فألف بيننا دوار

وقال عمر بن أبي ربيعة

فلم تر عينى مثل سرب رأيته   خرجن علينا من زقاق ابن واقف

٢٦ وحدثت فى بعض الاسانيد ان عمر بن عبد العزيز قال فى خطبة له . أيها الناس انما الدنيا أمل مخترم وأجل منتقص وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكر فى امرة ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ونور قلبه ، أيها الناس ان أباكم قد أخرج من الجنة بذنب واحد وان ربكم وعد على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل . وكان رحمه الله يقول أيها الناس انما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار الى دار ويروى أن رجلا معروفا ذهب اسمه عنى قال أتيت ابن عمر . فقلت أتجب الجنة لعامل بكل

---

(١) هذا من شعر اوس بن حجر مثبت فيه فى كلمة لم يعرفها الاخفش

(٢) كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها وانما السرب بفتح السين المال الراعى (٣) واسمه جحدر

الخيرات وهو مشرك فقال لا فقلت له أتجب النار لعامل بالشرك له وهو موحد فقال عش ولا تغتر قال وأتيت ابن عباس فسألته فأجابني بمثل جوابه سواء وقال عش ولا تغتر قال وحدثني بهذا الحديث القاضي (١)

٢٧ ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة على امير المؤمنين المنصور فقال يا أمير المؤمنين توسع توسعاً قرشياً ولا تضق ضيقاً حجازياً ويروى انه دخل عليه يوما فقال له المنصور حدثنا فقال يا أمير المؤمنين ان سلطانكم حديث وامارتكم جديدة فأذيقوا الناس حلاوة عدلها وجنبوهم مرارة جورها فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس فأتأره المنصور بصره ثم قال لا يعز ملك يكون فيه مثل هذا .

قوله محضت لك النصيحة يقول اخلصت لك وأصل هذا من اللبن والمحض منه الخالص الذي لا يشوبه شيء وأنشد الاصمعي

امتحضا وسقياني ضيحا   وقد كفيت صاحبي الميحا (٢) .

ويقال حسب محض وقوله اتأره بصره يقول اتبعه بصره وحدد اليه النظر وأنشد الاصمعي (٣)

ما زلت ارمقهم والآل يرفعهم   حتى اسمدر بطرف العين اتآري

٢٨ وقال الأصمعي فيما بلغني خطبنا اعرابي بالبادية فحمد الله واستغفره ووحده وصلى على نبيه فبلغ في ايجاز ثم قال أيها الناس ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار فخذوا من مفركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم في الدنيا كنتم ولغيرها خلقتم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والمصلى عليه رسول الله والمدعو له الخليفة والامير جعفر بن سليمان .

٢٩ وحدثت ان راهبين دخلا البصرة من ناحية الشأم فنظرا الى الحسن البصري فقال أحدهما لصاحبه مل بنا الى هذا الذي كأن سمته سمت المسيح فعدلا اليه فألفياه مفترشا بذقنه ظاهر كفه وهو يقول يا عجبا لقوم قد أمروا بالزاد

---

(١) يعني اسماعيل بن اسحاق (٢) الميح طلب الشيء هاهنا وهاهنا (٣) وهو للكميت بن زيد

وأوذنوا بالرحيل وأقام اولهم على آخرهم فليت شعرى ما الذى ينتظرون . وكان الحسن رحمه الله يقول ليس العجب ممن عطب كيف عطب انما العجب ممن نجا كيف نجا ويروى عن المسيح صلوات الله عليه وسلامه انه كان يقول ان احتجتم الى الناس فكلوا قصداً وامشوا جانباً .

٣٠ ونظر الحسن الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد فقال ان الله جعل الصوم مضمارا لعبادة ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيء باساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر قوله ترطيل شعر انما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه ويقال للرجل اذا كان فيه لين وتوضيع رجل رَطل والذى يوزن به ويكال يقال له رِطل بكسر الراء .

٣١ وكان الحسن يقول اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها . قوله القنطرة يعنى هذه المعقودة المعروفة عند الناس والعرب تسمى كل أزَج قنطرة قال طرفة بن العبد

كقنطرة الرومى أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

قوله حتى تشاد يقول تطلى وكل شيء طليت به البناء من جص أو جيار وهو الكلس فهو الشيد يقال دار مشيدة وقصر مشيد قال الله عز وجل ولو كنتم فى بروج مشيدة وقال الشماخ

لاتحسبنى وان كنت امرأ غمرا كحية الماء بين الطين والشيد

وقال عدى بن زيد العبادى

شاده مرمراً وجلله كلـ ـسا فللطير فى ذراه وكور

والقرمد المطلى أيضا فمن ثم قال حتى تشاد بقرمد فى معنى حتى تطلى ومن ذلك قول النابغة ،رابى المجسة بالعبير مقرمد .

٣٢ وقال الحسن تلقى أحدهم ابيض بضا يملخ فى الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أصدريه يقول هأنذا فاعرفونى قد عرفناك فمقتك الله ومقتك الصالحون قوله أبيض بضا فالبض الرقيق اللون الذى يؤثر فيه كل شيء وفى الحديث أن

معاوية قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشأم وهو ابض الناس فضربه عمر بيده على عضده فأقلع عن مثل الشراب أو مثل الشراك فقال هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذوو الحاجات تقطع انفسهم حسرات على بابك وقال حميد بن ثور الهلالى

منعمة بيضاء لو دب محول ... على جلدها بضت مدارجه دما

وقوله يملخ فى الباطل ملخا يقول يمر مراً سريعاً يقال بكرة ملوخ اذا كانت سهلة المر وقوله يضرب أصدريه وأزدريه فانما يقال ذلك للفارغ يقال جاء فلان يضرب أصدريه وأزدريه ولا يتكلم منه بواحد ويقال فلان ينفض مذرويه وهما ناحيتاه وانما يوصف بالخيلاء قال عنترة

احولى تنفض استك مذرويها ... لتقتلنى فهأ نذا عمارا

ولا واحد لهما ولو أفردت لقلت فى التثنية مذريان لان ذوات الواو اذا وقعت فيهن الواو رابعة رجعت الى الياء كما تقول فى ملهى ملهيان وهو من لهوت وفى مغزى مغزيان وهو من غزوت وانما فعلت ذلك لان فعله ترجع فيه الواو الى الياء اذا كانت رابعة فصاعدا نحو غزوت فاذا أدخلت فيه الالف قلت أغزيت وكذلك غازيت واستغزيت وانما وجب هذا لانقلابها فى المضارع نحو يغزى ويستغزى ويغازى وانما انقلبت لانكسار ماقبلها فان قال قائل فما بال يترجى ويتغازى يكونان بالياء نحوهما يتغازيان ويترجيان فانما ذلك لانهما فى الاصل رجى يرجى وغازى يغازى ثم لحقت التاء بعد ثبات الياء والدليل على ذلك ان التاء تلحقه على معناه فقولك مذروان لا واحد له لما اعلمتك وثبات الواو دليل على أن احدهما لا يفرد من الآخر فلذلك جاء على اصله .

٣٣ وحدثت أن الحسن نظر الى رجل يجود بنفسه فقال ان امرأ هذا آخره لجدير بأن يزهد فى أوله وان امرأ هذا أوله لجدير أن يخاف آخره . وقيل لرجل من أشراف العجم فى علته التى مات فيها ما بك فقال فكر عجيب وحسرة طويلة فقيل لم فقال ماظنكم بمن يقطع سفرا قفراً بلا زاد ويسكن قبراً موحشاً بلا مؤنس ويقدم على حكم عادل بلا حجة وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

بأى اعتذار أم بأيه حجة ... يقول الذى يدرى من الامر لاأدرى

اذا كان وجه العذر ليس ببين فان اطراح العذر خير من العذر

واعتذر رجل الى مسلم بن قتيبة من امر بلغه عنه فعذره ثم قال له يا هذا لايحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول فى امر لعلك لاتخلص منه.

٣٤ وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي يامطرف عظ اصحابك فقال مطرف انى أخاف ان أقول ما لا افعل فقال الحسن يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول لود الشيطان انه ظفر بهذه منكم فلم يأمر احد بمعروف ولم ينه عن منكر

٣٥ وقال مطرف بن عبد الله لابنه ياعبد الله العلم افضل من العمل والحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة. قوله الحسنة بين السيئتين يقول الحق بين فعل المقصر والمغالى ومن كلامهم خير الامور أوساطها وقوله وشر السير الحقحقه وهو أن يفرغ المسافر جهد ظهره ولا يبلغ حاجته يقال حقحق السير إذا فعل ذلك وقال الراجز وانبت فعلَ السائر المحقحق (١) وحدثت أن الحسن لقى سابق الحاج وقد اسرع فجعل يومئ اليه باصبعه فعلَ الغازلة وهو يقول خرقاء وجدت صوفا وهذا مثل من امثال العرب يضربونه للرجل الاحمق الذى يجد مالا كثيرا فيعيث فيــه وشبيه بهذا المثل قوله عبد وخلاف يده. ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفســك عبادة ربك فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى قوله متين المتين الشديد قال الله عز وجل وأملى لهم ان كيدى متين وقوله أوغل فيه برفق يقول ادخل فيه هذا اصل الوغول ويقال مشتقاً من هذا للرجل الذى يأتى شراب القوم من غير أن يدعى اليه واغل ومعناه انه وغل فى القوم وليس منهم قال امرؤ القيس

حلت لى الخمر وكنت امرأً عن شربها فى شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

والمنبت مثل المحقحق واشتقاقه من الانقطاع يقال انبتّ فلان من فلان أى انقطع منه وبت الله مابينهم أى قطع قال محمد بن نمير

تواعد للبين الخليط لينبتوا وقالوا لراعي الذود موعدك السبت

(١) فعل بالنصب الرواية الصحيحة لانه مصدر معنى

وفى النفس حاجات اليهم كثيرة   وموعدها فى السبت لوقددنا السبت(١)

وحدثت ان ابن السماك كان يقول اذا فعلت الحسنة فافرح بها واستقللها فانك اذا استقللتها زدت عليها واذا فرحت بها عدت اليها ويروى عن أويس القرنى انه قال ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما

٣٦ وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم . مالك من عيشك الا لذة تزدلف بك الى حمامك وتقربك من يومك فأية أكلة ليس معها غصص أو شربة ليس معها شرق فتأمل امرك فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والخيال المخترم أهل الدنيا أهل سفر لايحلون عقد رحالهم الا فى غيرها

قوله تزدلف بك الى حمامك يقول تقربك ولذلك سميت المزدلفة وقوله عز وجل وزلفاً من الليل انما هي ساعات يقرب بعضها من بعض قال العجاج .

ناج طواه الأين مما وجفا   طى الليالى زلفا فزلفا

سماوة الهلال حتى احقوقفا

ناج سريع والأين الاعياء والوجيف ضرب من السير ونصب طى الليالى لانه مصدر من قوله طواه الاين وليس بهذا الفعل ولكن تقديره طواه الأين طياً مثل طى الليالى كما تقول زيد يشرب شرب الابل انما التقدير يشرب شرباً مثل شرب الابل فمثل نعت ولكن اذا حذفت المضاف استغنى بانالظاهر يبينه وقام ما أضيف اليه مقامه فى الاعراب من ذلك قول الله تبارك وتعالى واسأل القرية نُصب لانه كان واسأل اهل القرية وتقول بنو فلان يطؤهم الطريق تريد اهل الطريق فحذفت اهل فرفعت الطريق لانه فى موضع مرفوع فعلى هذا فقس ان شاء الله وقوله سماوة الهلال انما هو أعلاه ونصب سماوة بطى يريد طواه الأين كما طوت الليالى سماوة الهلال والشاهد على انه يريد أعلاه قول طفيل

سماوته أسمال برد محبر   وسائره من أتحمى مُشرَعب

ويروى معصب وانما سماوته من قولك سما فاعلم فاذا وقع الاعراب على

---

(١) وروى الاخفش البيت الاخير ويروى

* ألا قرب الحى الجمال لينبتوا *

الهاء أظهرت ما تبنيه على التأنيث على اصله فان كان من الياء أظهرت الياء وان كان من الواو أظهرت فيه الواو تقول شقاوة لانها من الشقوة وتقول هـذه امرأة سقاية اذا أردت البناء على غير تذكير فان بنيته على التذكير قلبت الياء والواو همزتين لان الاعراب عليهما يقع فقلت سقاء وغزاء يافتى فان أنثت قلت سقاءة وغزاءة والاجود فيما كان له تذكير الهمز وفيما لم يكن له تذكير الاظهار وانما السماء من الواو لان الاصل سما يسمو اذا ارتفع وسماء كل شيء سقفه وقوله حتى احقوقفا * يريد اعوج وانما هو افعوعل من الحقف والحقف النقا من الرمل يعوج ويدق قال الله عز وجل (اذ أنذر قومه بالاحقاف) أى بموضع هو هكذا

٣٧ وكان مالك بن دينار يقول جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشد فطام الكبير . وقيل لعمر بن عبد العزيز أى الجهاد أفضل فقال جهادك هواك . وقال رجل من الحكماء اعص النساء وهواك واصنع ماشئت . وكان يقال اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم

٣٨ ويروى عن بعض الصالحين أنه قال لو أنزل الله كتاباً أنه معذب رجلا واحداً لخفت أن أكونه أو أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه ولو علمت أنه معذبى لامحالة ما ازددت الا اجتهادا لئلا أرجع على نفسى بلائمة .

٣٩ وقال رجل لابن أدهم عظنى فقال اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا

٤٠ وقال سعيد بن المسيب كنت بين القبر والمنبر مفكراً فسمعت قائلا يقول ولم أره اللهم انى أسألك عملا باراً ورزقاً داراً وعيشاً قاراً . قال سعيد فلزمتهن فلم أر الا خيراً . وقال الاصمعى كان من دعاء أبى المجيب اللهم اجعل خير عملى ما قارب أجلى .قال وكان يقول فى دعائه اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع

باب الكتب والعهود والرسائل

١ مما روى لنا عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قوله حيث عهد عند موته

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمى به ورأيى فيه وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخيرَ أردتُ ولكل امرئ ما اكتسب (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)

نصب أى بقوله ينقلبون ولا يكون نصبها بسيعلم لأن حروف الأستفهام اذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يعمل فيه ما قبله وذلك نحو قولك علمت زيدا منطلقا فان أدخلت الألف قلت علمت أزيد منطلق أم لا فاى بمنزلة زيد الواقع بعد الألف ألا ترى أن معناها أذا أم ذا وقال الله عز وجل « لنعلم أى الحزبين أحصي لما لبثوا أمداً » لأن معناها أهذا أم هذا وقال تعالى « فلينظر أيها أزكى طعاما » على ما فسرت لك وتقول أعلم أيُّهم ضرب زيدا وأعلم أيَّهم ضرب زيد تنصب ايا بضرب لأن زيدا فاعل فانما هذا لما بعده وكذلك ما أضيف الى اسم من هذه الاسماء المستفهم بها نحو قد علمت غلامُ أيهم فى الدار وقد عرفت غلامُ من فى الدار وقد علمت غلامَ من ضربت فتنصبه بضربت فعلى هذا مجرى الباب

٢ ومما يؤثر من الآداب ويقدم رسالة عمر بن الخطاب فى القضاء الى أبي موسى الأشعرى وهي التى جمع فيها جمل الأحكام واختصرها بأجود كلام وجعل الناسُ بعده يتخذونها اماماً ولا يجد محق عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها محيصاً وهي

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله ابن قيس سلام عليك . أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة

على من ادعي واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً احل حراماً أو حرم حلالا. لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشباه والامثال فقس الأمور عند ذلك واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقاً غائبا أو بينة أمداً ينتهى اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيناً فى ولاء أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان واياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام (قال أبو العباس) قوله أس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك يقول سو بينهم وتقديره اجعل بعضهم أسوة بعض والتأسى من ذا أن يرى ذو البلاء من به مثل بلائه فيكون قد ساواه فيه فيسكن ذلك من وجده قالت الخنساء

فلولا كثرة الباكين حولى ... على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن ... اعزى النفس عنه بالتأسى
يذكرنى طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

تقول أذكره فى أول النهار للغارة وفى آخره للضيفان وتمثل مصعب بن الزبير يوم قتل بهذا البيت

وان الألى بالطف من آل هاشم ... تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

وقوله حتى لا يطمع شريف فى حيفك يقول فى ميلك معه لشرفه وقوله فيما تلجلج فى صدرك يقول تردد وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل فى فمه فلا تزال تردد الى أن يسيغها أو يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى أن يصلها

بأخرى يقال للعيِيّ لجلاج وقد يكون من الآفة تعترى اللسان قال زهير

تلجلج مضغة فيها أنيض أصلّت فهى تحت الكشح داء

قوله أنيض أى لم تنضج ومن أمثال العرب الحق أبلج والباطل لجلج أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجاً وقوله أو ظنيناً فى ولاء أو نسب فهو المتهم وأصله مظنون وهى ظننت التى تتعدى الى مفعول واحد تقول ظننت بزيد وظننت زيدا أى اتهمت ومن ذلك قول الشاعر وأحسبه عبد الرحمن بن حسان

فلا ويمين الله ما عن جناية هجرت ولكن الظنين ظنين

وفى بعض المصاحف « وما هو على الغيب بظنين » وانما قال عمر رضى الله عنه لِما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من انتمى الى غير أبيه أو ادعى الى غير مواليه فلما كانت معه الاقامة على هذا لم يره للشهادة موضعاً وقوله ودرأ بالبينات والأيمان انما هو دفع من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود بالشبهات » وقال الله عز وجل (قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) وقال (فادّارأتم فيها) أى تدافعتم وأما قوله واياك والغلق والضجر فانه ضيق الصدر وقلة الصبر يقال فى سوء الخلق رجل غلِق وأصل ذلك من قولهم أغلق عليه أمره اذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن أى لم يوجد له تخلص وأغلقت الباب من هذا قال زهير

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقوله من تخلق للناس يقول أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته وقوله تخلق يريد أظهر خلقا مثل تجمل يريد أظهر جمالا وتصنع وكذلك تجبر انما تأويله الاظهار أى أظهر جَبْرية (١) قال أبو العباس وأنشدونا عن أبى زيد (٢)

يا أيها المتحلى غير شيمته (٣) (٤) ان التخلق يأتى دونه الخلق

---

(١) وان شئت جَبَرُوَّة وان شئت جبَروتاً وان شئت جبَروتى ومن كلام العرب على هذا الوزن رهبوتى خير لك من رحَموتى أى لأن تُرهب خير لك من أن ترَحم (٢) الشعر لسالم بن وابصة الأسدى

(٣) ومن سجيته الادغال والملق دع التخلق يبعد عنك أوله(٤)

ولا يؤاتيك فيما ناب من حدث الا أخو ثقة فانظر بمن تثق

قال وأنشدتني أم الهيثم الكلابية

ومن يتخذ خِيما سوى خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقال ذو الاصبع العَدوانى (١)

كل امرىء راجع يوما لشيمته وان تمتع أخلاقا الى حين

وأما قوله ثواب فاشتقاقه من ثاب يثوب اذا رجع وتأويله ما يثوب اليك من مكافأة الله وفضله .

٣ وكتب عثمان بن عفان الى على بن أبى طالب رضى الله عنهما حين أحيط به أما بعد فانه قد جاوز الماء الزُبى وبلغ الحزام الطبْيَين وتجاوز الأمر بى قدره وطمِع فى من لا يدفع عن نفسه

فان كنتُ مأكولا فكن أنت آكلى والا فادركنى ولما أمزق

قوله قد جاوز الماء الزبى فالزبية مصيدة الأسد ولا تتخذ الا فى قلة أو رابية أو هضْبة قال الراجز (٢) كاللذ تزبى زبية فاصطيدا . وقال الطرماح

يا طيء السهل والأجبال موعدكم كمبتغى الصيد أعلى زبية الاسد (٣)

وتقول العرب قد علا الماء الزبى وقد بلغ السكين العظم وبلغ الحزام الطبيين وقد انقطع السلى فى البطن والسلى من المرأة والشاة ما يلتف فيه الولد فى البطن قال العجاج .

. فقد علا الماء الزبى فلا غيَر . أى قد جل الأمر عن أن يغير ويصلح وقوله وبلغ الحزام الطبيين فان السباع والخيل يقال لمواضع الأخلاف منها أطباء يافتى واحدها طُبى كما يقال فى الظلف والخُف خِلف هذا مكان هذا فاذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى فى المكروه ومثل هذا من أمثالهم التقت حلقتا البطان ويقولون التقت حلقتا البطان والحقب ويقال حقب البعير اذا صار الحزام

---

(١) ذو الاصبع اسمه حُرثان بن الحارث بن محرّث وقيل له ذو الاصبع لأن أفعى نهشت اصبعه (٢) فأنت والأمر الذى قد كيدا (٣) ويروى فى عريسة الأسد

فى الحقب قال الشاعر (١)

اذا ما حقب جال شددناه بتصدير

وقال أوس بن حجر .

وازدحمت حلقتا البطان بأقـ وام وطارت نفوسهم جزعا

وتمثله بهذا البيت يشاكل قول القائل

فأن أك مقتولا فكن أنت قاتلي فبعض منايا القوم أكرم من بعض

ويروى عن قنبر مولى على بن أبى طالب رضي الله عنه انه قال دخلت مع على بن أبي طالب على عثمان بن عفان رضى الله عنهما فأحبا الخلوة فأومأ الىَّ على بالتنحي فتنحيت غير بعيد فجعل عثمان يعاتب علياً وعلى مطرق فأقبل عليه عثمان فقال ما بالك لا تقول فقال ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عندى الا ما تحب . تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به على فلذعك عتابى وعقدى الا أفعل وان كنت عاتباً الا ما تحب

٤ ووجه على بن أبى طالب رضى الله عنه جرير بن عبد الله البجلى الى معاوية رحمه الله يأخذه بالبيعة له فقال له ان حولى من ترى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ولكنى اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خير ذى يمن ائت معاوية فخذه بالبيعة لى فقال جرير والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتى شيئاً وما أطمع لك فى معاوية فقال على رضى الله عنه انما قصدى حجة أقيمها عليه فلما أتاه جرير دافعه معاوية فقال له جرير ان المنافق لا يصلى حتى لا يجد من الصلاة بدا ولا أحسبك تبايع حتى

(١) قال أبو بكر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأول الشعر .

سليمى تلك فى العير قفى ان شئت أو سيرى
فلما ان بدا الصبح بأصوات العصافير
خرجنا نبتغى الصيد بأمثال اليعافير
اذا ما حقب جال شددناه بتصدير
زجرنا العيس فارمدت بأهداب وتشمير .

لا تجد من البيعة بداً فقال له معاوية انها ليست بخدعة الصبي عن اللبن انه أمر له ما بعده فأبلعني ريقي فناظر عمرا فطالت المناظرة بينهما وألح عليه جرير فقال له معاوية القاك بالفصل فى أول مجلس ان شاء الله ثم كتب لعمرو بمصر طعمة وكتب عليه ولا ينقض شرط طاعة فقال عمرو يا غلام اكتب ولا تنقض طاعة شرطاً فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته ينشد ليسمع جريراً

تطاول ليلى واعترتني وساوسى لآت أتى بالترهات البسابس
أتانى جرير والحوادث جمة بتلك التى فيها اجتداع المعاطس
أكايده والسيف بينى وبينه ولست لأثواب الدنى بلابس
ان الشأم أعطت طاعة يمنية تواصفها أشياخها فى المجالس
فان يفعلوا أصدم علياً بجبهة تفت عليه كل رطب ويابس (١)
وانى لأرجو خير ما نال نائل وما أنا من ملك العراق بيائس

وكتب الى على رضى الله عنه (بسم الله الرحمن الرحيم) من معاوية بن صخر الى على بن أبي طالب أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولكن أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشأم الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمرى ما حجتك علىّ كحجتك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك ولم ابايعك وما حجتك على أهل الشأم كحجتك على أهل البصرة لان أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشأم وأما شرفك فى الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه وكتب اليه فى آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل وهو

أرى الشأم تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهينا
وكلا لصاحبه مبغضا يرى كل ما كان من ذاك دينا
اذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا

---

(١) الجبهة جماعة الخيل .

فقالوا علىّ امام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى ان تدينوا له فقلنا ألا لانرى ان ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد وضرب وطعن يقر العيونا

وأحسن الروايتين يفض الشؤونا وفى آخر هذا الشعر ذم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أمسكنا عنه فكتب اليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة وهو بسم الله الرحمن الرحيم من على بن أبى طالب الى معاوية بن صخر أما بعد فانه أتانى منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا ولا قائد يرشد دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه زعمت انك انما أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وبعد فما أنت وعثمان انما أنت رجل من بنى أمية وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه فان زعمت أنك اقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم الى وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشأم وأهل البصرة فلعمرى ما الامر فيما هنالك الاسواء لانها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر وأما شرفى فى الاسلام وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من قريش فلعمرى لو استطعت دفعه لدفعته ثم دعا النجاشى أحد بنى الحارث بن كعب فقال له ان ابن جعيل شاعر أهل الشأم وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعنى قوله قال اذا أسمعك شعر شاعر فقال النجاشى يجيبه

دعن يامعاوى ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم على بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا

وبعد هذا ما نمسك عنه . قول معاوية ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين فهو من الاغراء وهو التحضيض عليه يقال أغريته وآسدته عليه وآسدت الكلب على الصيد أوسده ايسادا ومن قال أشليت الكلب فى معنى أغريت فقد أخطأ انما أشليته دعوته الى وآسدته أغريته وقول ابن جعيل وأهل العراق لهم كارهينا محمول على

أرى ومن قال واهلُ العراق لهم كارهونا فالرفع من وجهين أحدهما قطع وابتداء ثم عطف جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى ولكن كقولك كان زيد منطلقا وعمرو منطلق الساعة خبرت بخبر بعد خبر والوجه الآخر ان تكون الواو وما بعدها حالا فيكون معناها اذ كما تقول رأيت زيدا قائما وعمرو منطلق تريد اذ عمرو منطلق وهذه الآية تحمل على هذا المعنى وهو قول الله عز وجل يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم أنفسُهم والمعنى والله أعلم اذ طائفة فى هذه الحال وكذلك قراءة من كرأ ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحرُ يمده من بعده سبعة أبحر أى والبحر هذه حاله ومن قرأ والبحر فعلى أن وقوله ودناهم مثل ما يقرضونا يقول جزيناهم وقال المفسرون فى قوله عز وجل مالك يوم الدين قالوا يوم الجزاء والحساب ومن أمثال العرب كما تدين تدان وأنشد ابو عبيدة (١)

واعلم وأيقن ان ملكك زائل   واعلم بأنك كما تدين تدان

وللدين مواضع منها ماذكرنا ومنها الطاعة ودين الاسلام من ذلك يقال فلان فى دين فلان اى فى طاعته ويقال كانت مكة بلدا لقاحا اى لم تكن فى دين ملك وقال زهير

لئن حللت بجوّ فى بنى أسد   فى دين عمرو وحالت دوننا فدك

فهذا يريد فى طاعة عمرو بن هند والدين العادة يقال مازال هذا دينى ودأبى وعادتى وديدنى واجْرِيّاى قال المثقب العبدى

تقول اذا درأت لها وضينى   أهذا دينه أبداً ودينى
أكل الدهر حل وارتحال   أما يبقى على وما يقينى

وقال الكميت بن زيد

على ذاك إجْرِيّاى وهى ضريبتى   وان أجلبوا اطراً على وأحلبوا

وقوله فقلنا رضينا ابن هند رضينا يعنى معاوية بن أبى سفيان وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وقوله أن تدينوا له أى أن

---

(١) الشعر ليزيد بن الصعق الكلابى وله خبر

تطيعوه وتدخلوا فى دينه أى فى طاعته وقوله ومن دون ذلك خرط القتاد فهذا مثل من أمثال العرب والقتاد شجرة شاكة غليظة أصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلا فى الامر الشديد لانه غاية الجهد ومن قال يفض الشؤونا فيفض يفرق تقول فضضت عليه المال والشؤون واحدها شأن وهى مواصل قبائل الرأس وذلك أن للرأس أربع قبائل أى قطع مشعوب بعضها الى بعض فمواضع شعبها يقال لها الشؤون واحدها شأن وزعم الاصمعى قال يقال ان مجارى الدموع منها فلذلك استهلت شؤونه وأنشد قول أوس بن حجر

لا تحزنيني بالفراق فانني   لا تستهل من الفراق شؤونى

ومن قال يقر العيونا ففيه قولان أحدهما للاصمعى وكان يقول لا يجوز غيره يقال قرت عينه وأقرها الله وقال انما هو بردت من القر وهو خلاف قولهم سخنت عينه وأسخنها الله وغيره يقول قرت هدأت وأقرها الله أهدأها الله وهذا قول حسن جميل والاول أغرب وأطرف .

أما قول على ليس له بصر يهديه فمعناه يقوده والهادى هو الذى يتقدم فيدل والحادى الذى يتأخر فيسوق والعنق يسمى الهادى لتقدمه قال الاعشى

اذا كان هادى الفتى فى البلا   د صدر القناة أطاع الاميرا

يصف أنه قد عمى فانما تهديه عصا ألا تراه يقول

وهاب العثار اذا ما مشى   وخال السهولة وعثا وعورا

وقال القطامى

انى وان كان قومى ليس بينهم   وبين قومك الا ضربة الهادى

وقال أيضاً .

قربن يقصرن من بزل مخيسة   ومن عراب بعيدات من الحادى

وقوله ولا قائد يرشده قد أبان به الاول وقوله دعاه الهوى فالهوى من هويت مقصور وتقديره فَعل فانقلبت الياء ألفاً فلذلك كان مقصورا وانما كان كذلك لانك تقول هوِى يهوى كما تقول فرق يفرق وهو هَو كما تقول هو فرق كما ترى وكان المصدر على فعل بمنزلة الفرق والحذر والبطر لان الوزن واحد فى

الفعل واسم الفاعل فأما الهواء من الجو فمدود يدلك على ذلك جمعه اذا قلت أهوية لان أفعلة انما تكون جمع فَعال وفِعال وفَعول وفَعيل كما تقول قَذال وأقذلة وحمار وأحمرة (١) فهواء كذلك والمقصور جمعه أهواء فاعلم لانه على فَعَل وجمع فعل أفعال كما تقول جمل وأجمال وقتب وأقتاب قال الله عز وجل (واتبعوا أهواءهم) وقولهم هـذا هواء يا فتى فى صفة الرجل انما هو ذم يقولون لا قلب له قال الله عزوجل وأفئدتهم هواء أى خالية وقال زهير .

كأن الرحل منها فوق صَعْل من الظُّلمان جؤجؤه هواء

وهذا من هواء الجو وقال الهزلى .

هواء مثل بعلك مستميت على ما فى وعائك كالخيال

وينشد على ما فى اعائك فكل واو مكسورة وقعت أولا فهمزها جائز يقال وسادة واسادة ووشاح واشاح . وأما قوله فما أنت وعثمان فالرفع فيه الوجه لانه عطف اسماً ظاهراً على اسم مضمر منفصل وأجراه مجراه وليس هاهنا فعل فيحتمل على المفعول فكأنه قال فما أنت وما عثمان هذا تقديره فى العربية ومعناه لست منه فى شىء وقد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازاً حسنا وجعله مفعولا معه وأضمر كان من أجل الاستفهام فتقديره عنده ما كنت وفلانا وهذا الشعر كما أصف لك ينشد .

وأنت امرؤ من أهل نجد وأهلنا تهام وما النجدى والمتغور

وكذا قوله (٢)

تكلفنى سويق الكرم جَرْمٌ وما جرم وماذاك السويق

فان كان الاول مضمرا متصلا كان النصب لئلا يحمل ظاهر على مضمر تقول مالك وزيداً وذلك أنه أضمر الفعل فكأنه قال فى التقدير وملابستك وزيداً وفى النحو تقديره مع زيد وانما صلح الاضمار لان المعنى عليه اذا قلت مالك وزيداً فانما تنهاه عن ملابسته اذ لم يجز وزيد وأضمرت لان حروف الاستفهام

---

(١) وعمود وأعمدة ورغيف وأرغفة للوزنين الآخرين . السباعى

(٢) هو زياد الاعجم

للافعال فلو كان الفعل ظاهرا لكان على غير اضمار نحو قولك ما زلت وعبد الله حتى فعل لانه ليس يريد ما زلت وما زال عبدالله ولكنه أراد ما زلت بعبدالله فكان المفعول مخفوضاً بالباء فلما زال ما يخفضه وصل الفعل اليه فنصبه كما قال تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا) قالوا وفى بمعنى مع وليست بخافضة فكان ما بعدها على الموضع فعلى هذا ينشد هذا الشعر (١)

فمالك والتلدد حول نجد وقد غصت تهامة بالرجال

ولو قلت ما شأنك وزيدا لاختير النصب لان زيداً لا يلتبس بالشأن لان المعطوف على الشيء أبداً فى مثل حاله ولو قلت ما شأنك وشأن زيد لرفعت لان الشأن يعطف على الشأن وهذه الآية تفسر على وجهين من الاعراب أحدهما هذا وهو الاجود فيها وهو قوله عز وجل فأجمعوا أمركم وشركاءكم فالمعنى والله أعلم مع شركائكم لانك تقول جمعت قومى وأجمعت أمرى ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الامر حمله على مثل لفظه لان المعنى يرجع الى شيء واحد فيكون كقوله (٢)

يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفا ورمحا

وقال آخر * شراب ألبان وتمر وأقط * وهذا بين

٥ وكان سبب رسالة هشام الى خالدبن عبد الله افراط خالد فى الدالة على هشام وأنه أخذ ابن حسان النبطي فضربه بالسياط وكان يقال له سهيل قال فبعث بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من افراط الدالة واحتجان الاموال وكفر ما أسداه اليه من توليته إياه العراق فكتب هشام الى خالد . بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك الا لما أحب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح مافسد عليه منك فان تعد لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى فى معاجلتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما فى يديه الى حيلته

---

(١) هو لمسكين الدارمى (٢) هو عبد الله بن الزبعرى

وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية للغى والسلطان ذل منقادا وندم حسيرا وتمكن منه عدوه قادرا عليه قاهرا له ولوأراد أمير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك والله ما زادتنى ولاية العراق شرفاً ولا ولانى أمير المؤمنين شيئاً لم يكن من قبلى ممن هو دونى يلى مثله ولعمرى لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج فى أهل العراق فى تلك المضايق التى لقى لعلمت أنك رجل من بجيلة فقد خرج عليك أربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى قلت أطعمونى ماء دهشا وبعلا وجبنا فما استطعتهم الا بأمان ثم أخفرت ذمتك . منهم رزين وأصحابه ولعمرى أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك فى مجلسك وجحودك فضله اليك وتصغير ما أنعم به عليك لحل العقدة ونقض الصنيعة وردك الى منزلة أنت أهلها كنت لذلك مستحقاً فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية فى يوم صفين وعرض له دينه فما اصطنع الا عنده ولا ولاه ما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك وقبله من أهل اليمن وبيوتاتهم من قبيله أكرم من قبيلك من كندة وغسان وآل ذى يزن وذى كلاع وذى رعين فى نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكرم أولية وأشرف أسلافاً من آل عبد الله بن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات تعلوك وتعزك وتسكتك وتتقدمك فى المحافل والمجامع عند بداءة الأمور وأبواب الخلفاء ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غربك لعاجلك بالتى كنت أهلها وانها منك لقريب مأخذها سريع مكروهها فيها ان أبقى الله أمير المؤمنين زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التى قامت عنك فبئس الجنين أنت يا عدى نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان أمير المؤمنين اليك وسوء قيامك بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبحت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمة عندك فأصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة وحلول

الخزى فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أوجد ولما عملت أكره فقد أصبحت وذنوبك عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبكتك الا راقبا بين يديه وعنده من يقررك بها ذنباً ذنباً ويبكتك بما أتيت أمراً أمراً فقد نسيته وأحصاه الله عليك ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر عنك فيما عرفك به من التسرع الى حماقتك فى غير واحدة . منها القرشى الذى تناولته بالحجاز ظالماً فضربك الله بالسوط الذى ضربته به مفتضحا على رءوس رعيتك ولعل أمير المؤمنين يعود لك بمثل ذلك فان يفعل فأهله أنت وان يصفح فأهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهى سقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحى من قريش تسميها أم جعار فلا سقاك الله من حوض رسوله وجعل شركما لخيركما الفداء ووالله أن لو لم يستدلل أمير المؤمنين على ضعف نحائزك وسوء تدبيرك الا بفسالة دخائلك وبطانتك وعمالك والغالبة عليك جاريتك الرائقة بائعة الفهود ومستعملة الرجال مع ما أتلفت من مال الله فى المبارك (١) فانك ادعيت أنك أنفقت عليه اثنى عشر ألف ألف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين وسلطت من ولاة السوء على جميع أهل كور عملك تجمع اليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان (٢) حابسا لأكثره رافعاً لأقله مع مخابث مساويك التى قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها . ومناصبتك أمير المؤمنين فى مولاه حسان ووكيله فى ضياعه وأحوازه فى العراق واقدامك على ابنه بما أقدمت به وسيكون لأمير المؤمنين فى ذلك نبأ ان لم يعف عنك ولكنه يظن ان الله طالبك بأمور أتيتها غير تارك لتكشيفك عنها وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها التى جباها عمر بن هبيرة (٣) وتوجيهك أخاك أسدا الى خراسان مظهر العصبية بها متحاملا على هذا الحى من مضر (٤) قد أتت أمير المؤمنين

---

(١) نهر بالعراق احتفره خالد بن عبد الله . السباعى

(٢) عيدان من أعياد الفرس فالنيروز عند نزول الشمس أول الحمل والمهرجان عند نزولها أول الميزان . السباعى (٣) كان والى العراق قبل خالد . السباعى

(٤) انما نسب الى خالد وأخيه التعصب على مضر لأنهما من قحطان

بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقات ناسياً لحديث زَرْنَب وقصص الهجريين كيف كانت فى أسد بن كرز (١) فأذا خلوت أو توسطت ملأفا عرف نفسك وخف رواجع البغى عليك وعاجلات النقم فيك واعلم ان ما بعد كتاب أمير المؤمنين هـذا أشد عليك وأفسد لك وقبل أمير المؤمنين خلَف منك فى أحسابهم و بيوتاتهم وأديانهم وفيهم عوض منك والله من وراء ذلك .

وكتب عبد الله بن سالم سنة تسعة عشرة ومائة

٦ ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور و بين محمد بن عبد الله ابن حسن (٢) العلوى ونختصر ما يجوز ذكره منه ونمسك عن الباقى فقد قيل الراوية أحد الشاتمين قيل انه لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليـه وسلم ان تبت من قبل ان أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وأن أعطيك الف ألف درهم وانزلك من البلاد حيث شئت وأقضى لك ما شئت من الحاجات وان أطلق من فى سجنى من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتتبع أحداً منكم بمكروه فان شئت أن تتوثق لنفسك فوجه الىَّ من يأخذ لك من الميثاق والعهد والأمان ما أحببت والسلام . فكتب اليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمـد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان

---

(١) زرنب وأسد أبوا يزيد جد خالد بن عبد الله ويقال ان أسدا أولد زرنب عبد الله والد خالد على غير عقد كما يدعى الهجريون . السباعى

(٢) ابن حسن بن على . السباعى

فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى أعطيتنى وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وخبطتموه بفضلنا وأن أبانا علياً عليه السلام كان الوصى والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وأنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية دونكم (١) وبنو ابنته فاطمة فى الاسلام من بينكم (٢) فأنا أوسط بنى هاشم نسباً وخيرهم أما وأبا لم تلدنى العجم ولم تعرق فىَّ أمهات الأولاد وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم اسلاماً وأوسعهم علماً وأكثرهم جهاداً على بن أبى طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ومن المولودين فى الاسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت أن هاشماً ولد علياً مرتين (٣) وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين (٤) وأن رسول الله

---

(١) هى أم عبد الله والد النبى وأبى طالب جد العلويين أما العباس جد العباسيين فمن غيرها السباعى

(٢) هى فاطمة الزهراء ابنة النبى من خديجة وهى والدة الحسن والحسين ولدى على . السباعى

(٣) مرة من جهة أبيه أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ومرة من جهة أمه فاطمة بنت أسد بن عبد العزى بن هاشم السباعى

(٤) مرة من جهة أبيه على بن أبى طالب بن عبد المطلب ومرة من جهة أمه فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . السباعى

صلى الله عليه وسلم ولدتنى مرتين من قبل جدى الحسن والحسين (١) فما زال الله يختار لى حتى إختار لى فى النار فولدنى أرفع الناس درجة فى الجنة وأهون أهل النار عذاباً (٢) فأنا ابن خير الأخيار وابن خير الأشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت فى بيعتى أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك فى ذلك (٣) فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى لقبول الأمان فأما أمانك الذى عرضت على فأى الامانات هو أأمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله ابن على أم أمان أبى مسلم والسلام (٤) فكتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فقد أتانى كتابك وبلغنى كلامك فاذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الاباء كالعصبة والأولياء ولقد جعل العم أبا وبدأ به على الوالد الأدنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب (٥) ولقد علمت ان الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فأجاب اثنان أحدهما أبى وكفر اثنان أحدهما أبوك (٦) فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين

---

(١) كان الحسين جده من قبل أمه كما أن الحسن جده من قبل أبيه وكلاهما ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم السباعى

(٢) هو جده أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم السباعى

(٣) قيل انه لولا خوف أبى جعفر المنصور من أن يقتص منه محمد بن عبد الله بن حسن لهذا القول لأذعن له . السباعى

(٤) هؤلاء الثلاثة أمنهم أبو جعفر وغدر بهم فهو يبكته السباعى

(٥) يقصد انه ورث الخلافة عن العباس عم النبى لا عن فاطمة وهى ابنته وان الله قدم ابراهيم على اسماعيل مع أن اسماعيل أقرب السباعى

(٦) المجيبان حمزة والعباس وهو جد العباسيين والكافران أبو لهب وأبو طالب وهو جد العلويين . السباعى

على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه . واما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب فان الله لم يهد أحداً من ولدها للاسلام ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير فى الآخرة والأولى وأسعدهم بدخول الجنة ولكن الله أبى ذلك فقال (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) واما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب وفاطمة أم الحسن وأن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين نخير الأولين والآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة . وأما ما ذكرت من انك ابن رسول الله فان الله عز وجل أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة غير انها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز ان تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصم ومرضها سراً ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين (١) ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم اخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك منهم ثم كان فى أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أبوك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم فى يديه شيعته وخرج الى المدينة فدفع الأمر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شىء فقد بعتموه . فأما قولك ان الله اختار لك فى الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذاباً فليس فى الشر خيار ولا من عذاب الله هين ولا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان يفخر بالنار وسترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأما قولك انك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وانك أوسط بنى هاشم نسباً

---

(١) قوله ولقد طلب الى قوله تخاصم هذه عبارة مكذوبة كما فى كتب السير الصحيحة وهى من وضع الرافضة ا هـ مصحح الكامل

وخيرهم أمّا وأباً فقد رأيتـك نخرت علي بنى هاشم طراً وقدمت نفسك على من هو خير منك أولاوآخراً وأصلاوفصلا نخرت على ابراهيم ابن رسول اللهصلىالله عليه وسلم وعلى والدِ ولده فانظر ويحك اين تكون من عذاب الله غداً وما ولد فيكم مولودبعد وفاة رسول الله صلى الله عليهوسلمأفضل من على بن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيراً من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن على خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولقد علمت ان جدك علياً حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين بن على على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الاقتاب بغير أوطية كالسبي المجلوب الى الشأم ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أمية وحرّقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم واورثنا كم ارضهم وديارهم بعد ان كانوا يلعنون أبا كم فى أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلكعليناحجة وظننت انا لما ذكرنا من فضل على أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل اولئك مضوا سالمين مسلماً منهم وابتلى ابوك بالدماء ولقد علمت ان مآثرنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا فيها ابوك الى عمر فقضى لنا عمر عليه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته احد حياً الا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس انه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا ان العباس أخرج الى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل او يلحساجفان عتبة وشيبة فاذهبعنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التى أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقدمنا كم فى الكفر وفدينا كم من الأسر وورثنا دونكم خاتم الأنبياء وحزنا شرف الآباءوأدركنا من ثأركم ماعجزتم عنهووضعنا كم بحيث لم تضعوا أنفسكموالسلام.

... وكتب الى جعفر بن يحيى بأن صاحب الطريق أفسد الطريق فيما يطلب من الأموال [illegible] متقطع [illegible] السلطان [illegible] الحروب [illegible] العدد والعدة [illegible] [illegible] مال [illegible] صالح [illegible] [illegible] ولا يستظهر [illegible] كثر الناس شكيته [illegible] اليه في قصتهم [illegible] [illegible] [illegible]

وزعم الجاحظ قال: قال ثمامة بن أشرس النميري ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر ابن يحيى والمأمون وقال موسى بن عمران ما رأيت رجلا أبلغ من يحيى بن خالد وأيوب بن جعفر وقال جعفر بن يحيى للكتاب ان قدرتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات فافعلوا

باب الحكم والامثال والجوامع

أولا — جوامع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار في كلام جرى: انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع « الفزع في كلام العرب على وجهين أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ » من ذلك قول سلامة بن جندل

كنا اذا ما أتانا صارخ فزع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب

يقول اذا أتانا مستغيث كانت اغاثته الجد في نصرته يقال قرع لذلك الأمر ظنبوبه اذا جد فيه ولم يفتر ويشتق من هذا المعنى الذي يقع فزع في معنى أغاث كما قال الكلحبة اليربوعي (١)

---

(١) قال أبو الحسن الكلحبة لقبه واسمه هبيرة وهو من بني عرين بن يربوع والنسب اليه عريني وكثير من الناس يقول عُرَني ولا يدري وعرينة من

فقلت لها ثم الحقي بأهلك [illegible] فانما [illegible] الشيخ [illegible] ولا تنوحي

يقول لا غيث [illegible] لسم جارية واذا أغرها بالجام فراسه ليقيئ لو الظنبوب مقدم عظم الساق .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بأحبكم الي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون الا أخبركم بأبغضكم الي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون . قوله صلى الله عليه وسلم أكنافا مثل وحقيقته ان التوطئة هي التذليل والتمهيد يقال دابة وطيء يا فتى وهو الذى لا يحرك راكبه فى مسيره وفراش وطيء اذا كان وثيراً لا يؤذى جنب النائم عليه فأراد القائل بقوله موطأ الأكناف أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى ولا ناب به موضعه . قال أبو العباس حدثني العباس بن الفرج الرياشي قال حدثني الأصمعي قال قيل لأعرابي وهو المنتجع بن نبهان ما السميدع فقال السيد الموطأ الأكناف وتأويل الأكناف الجوانب يقال فى المثل فلان فى كنف فلان كما يقال فلان فى ظل فلان وفى ذرى فلان وفى ناحية فلان وفى حيز فلان وقوله صلى الله عليه وسلم الثرثارون يعنى الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً وخروجاً عن الحق وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء يقال عين ثرثارة وكان يقال لنهر بعينه الثرثار وانما سمى به لكثرة مائه قال الأخطل (١)

لعمرى لقد لاقت سليم وعامر ... على جانب الثرثار راغية البكر

قوله راغية البكر أراد ان بكر ثمود رغا فيهم فأهلكوا فضربته العرب مثلا وأكثرت فيه قال علقمة بن عبدة الفحل

رغا فوقهم سقب السماء فداحض ... بشكته لم يستلب وسليب (٢)

اليمن قال جرير يهجو عرين بن يربوع .

عرين من عرينة ليس منا ... برئت الى عرينة من عرين

(١) واسمه غياث بن غوث يكنى أبا مالك ويلقب بدوبل والدوبل الخنزير

(٢) قال أبو الحسن الداحض الساقط والداحض أيضاً الزالق .

وكذلك اذا لم تضعف الثاء فقلت عين ثرة فانما معناه غزيرة واسعة قال عنترة

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم

قال أبو العباس وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظ الثرثارة ولكنها فى معناها ويجب أن يكون من الثرة ثرارة وقوله صلى الله عليه وسلم المتفيهقون انما هو بمنزلة قوله الثرثارون توكيد له ومتفيهق متفيعل من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد كما قال الأعشى .

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقىّ تفهق

كذا ينشده أهل البصرة وتأويله عندهم ان العراقى اذ تمكن من الماء ملأ جابيته لأنه حضرى فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله . قال العباس وسمعت أعرابية تنشد (١) كجابية السيح تريد النهر الذى يجرى على جابيته فماؤها لا ينقطع لأن النهر يمده ومثل قول البصريين فيما ذكروا به العراقى الشيخ قول الشاعر (٢)

لها ذنب ضاف وذفرى أسيلة وخد كمرءاة الغريبة أسجح

يقول ان الغريبة لا ناصح لها فى وجهها لبعدها عن أهلها فمرءاتها أبدا مجلوة لفرط حاجتها اليها . وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يريد الصدق فى المنطق والقصد وترك ما لا يحتاج اليه قوله لجرير بن عبد الله البجلى يا جرير اذا قلت فاوجز واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف .

٣ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمرنى ربى بتسع الاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى وان أعفو عمن ظلمنى وأصل من قطعنى وأعطى من حرمنى وأن يكون نطقى ذكراً وصمتى فكراً ونظرى عبرة .

٤ وقال صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم يقول لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه

---

(١) قال أبو الحسن هى أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق وهى راوية أهل الكوفة

(٢) قال أبو الحسن هو ذو الرمة .

ثانيا — فى الادب والعقل

١ قال بعض الحكماء من أدب ولده صغيراً سُر به كبيراً

٢ وكان يقال من أدب ولده أرغم حاسده

٣ وقال بعض الحكماء ثلاث لا غربة معهن مجانبة الرِيَب وحسن الأدب وكف الأذى

٤ وقال عمرو بن العاص لدهقان نهر تيرى بم ينبل الرجل عندكم فقال بترك الكذب فانه لا يشرف الا من يوثق بقوله وبقيامه بأمر أهله فانه لا ينبل من يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعز من لا يؤمن أن يصادف على سوأة وبالقيام بحاجات الناس فانه من رُجى الفرج لديه كثرت غاشيته .

٥ وقال رجل لعبد الملك بن مروان انى أريد أن أسر اليك شيئاً فقال عبد الملك لاصحابه اذا شئتم فنهضوا فأراد الرجل الكلام فقال له عبد الملك قف لا تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ولا تكذبنى فانه لا رأى لمكذوب ولا تغتب عندى أحداً فقال الرجل يا أمير المؤمنين أفتأذن لى فى الانصراف قال له اذا شئت .

٦ وقال بُزُرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعاً وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريباً وكثرت الحاجة اليه وان كان مقتراً

٧ وكان يقال عليكم بالأدب فانه صاحب فى السفر ومؤنس فى الوحدة وجمال فى المحفل وسبب الى طلب الحاجة .

٨ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أفضل ما أعطيته العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم . وكان شعبة بن الحجاج أو سماك بن حرب (١) اذا كانت له الى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه .

---

(١) هو سماك بلا شك

٩ وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته ما خير ما يُرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال فأدب يتحلى به قال فان عدمه قال فمال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد .

١٠ وقيل لرجل من ملوك العجم متى يكون العلم شراً من عدمه قال اذا كثر الأدب ونقصت القريحة

١١ وقال أزدشير من لم يكن عقله أغلب خلال الخير عليه كان حتفه في أغلب خلال الخير عليه .

١٢ وقال محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وذكر رجلا من أهله انى لأكره أن يكون لعلمه فضل على عقله كما اكره ان يكون للسانه فضل على علمه

١٣ وقال محمد بن علي بن الحسين جميع التعايش والتناصف والتعاشر في ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلث تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ولا حظاً في الصلاح لأن الانسان لا يتغافل الا عن شيء قد عرفه وفطن به .

١٤ وذكرت هند بنت المهلب بن أبي صفرة النساء فقالت ما زين بشيء كأدب بارع تحته لب ظاهر .

١٥ وقالت هند بنت عتبة انما النساء أغلال فليختر الرجل غلالبده .

ثالثاً في الحلم والعفو

١ يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده ألا أخبركم بشر من ذلكم من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً ألا اخبركم بشر من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه .

٢ ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه . قوله صلى الله عليه وسلم تتكافأ دماؤهم من قولك فلان كفء لفلان أى عديله وموضوع بحذائه قال الله عز وجل ولم يكن له كفوًا أحد ويقال فلان كفاء فلان وكفيء فلان

وكنف فلان . ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بني دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فقال الفرزدق :

بنو دارم اكفاؤهم آل مسمع وتنكح فى اكفائها الحبطات

قال مسمع بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهم من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحارث بن عمرو ابن تميم فقوله اكفاؤهم انما هو جمع كف ء يافتى فقال رجل من الحبطات يجيبه

أما كان عباد كفيئا لدارم بلى ولأبيات بها الحجرات

يعنى بنى هاشم من قول الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات

٣ وقيل لمعاوية بن أبي سفيان ما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة

٤ وقال للاحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بني سعد معهما كلاما أحفظهم فردوا عليه جوابا مقذعا وابنة قرظة فى بيت يقرب منه فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الاجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر فكدت أخرج اليهم فاسطو بهم فقال لها معاوية ان مضر كاهل العرب وتميما كاهل مضر وسعدا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد . وكان معاوية يقول انى لا أحمل السيف على من لا سيف معه وان لم تكن الا كلمة يشتفى بها مشتف جعلتها تحت قدمى ودبر أذنى . المقذع الذى فيه اقذاع وهو السيء من القول

٥ وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه من لانت كلمته وجبت محبته

٦ وقال قيمة كل امرئ ما يحسن

٧ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كفى بالمرء غيا أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيئا ثم يأتى مثله أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه .

٨ وقال ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك ان تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه . ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال يوماً من أجود العرب فقيل له حاتم قال فمن شاعرها قيل امرؤ القيس بن حُجر قال فمن فارسها قيل عمرو بن معديكرب قال فأى سيوفها أمضى قيل الصمصامة وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانية لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صميمها يعنى سهيلا من النجوم والركن اليمانى وصمصامة عمرو بن معديكرب

٩ وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ثلاث من كن فيه فقد كمل من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ولم يستنزله رضاه الى معصية الله واذا قدر عفا وكف

١٠ وروى شعبة عن واقد بن محمد عن ابى مليكة عن القاسم بن محمد قال : قالت عائشة رضى الله عنها من أرضى الله باسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أرضى الناس باسخاط الله وكله الله الى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

١١ ويروى أن الحسن بن زيد لما ولى المدينة قال لابن هَرْمة انى لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك قد أفادنى الله بولادة نبيه الممادح وجنبنى المقابح وان من حقه على ألا أغضى على تقصير فى حقه وأنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لاضربنك حدين حداً للخمر وحداً للسكر ولازيدن لموضع حرمتك بى فليكن تركك لها لله تعن عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم فنهض ابن هرمة وهو يقول :

نهانى ابن الرسول عن المدام ... وأدبنى بآداب الكرام
وقال لى اصطبر عنها ودعها ... لخوف الله لا خوف الانام
وكيف تصبرى عنها وحبى ... لها حب تمكن فى عظامى
أرى طيب الحلال على خبثا ... وطيب النفس فى خبث الحرام

١٢ وحدثنى مسعود بن بشر قال : قال زياد يعجبنى من الرجل اذا سيم خطة الضيم أن يقول لا بعلء فيه واذا أتى نادى قوم علم أين ينبغى لمثله أن يجلس فجلس واذا ركب دابة حملها على ما تحب ولم يبعثها الى ما تكره .

رابعاً — فى المروءة والسؤدد

١ يروى عن ابن عمر أنه كان يقول انا معشر قريش كنا نعد الجود والحلم السؤدد ونعد العفاف واصلاح المال المروءة .

٢ وقال الاحنف بن قيس كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزح تذهب المروءة ومن لزم شيئاً عُرف به .

٣ وقيل لعبد الملك بن مروان ما المروءة فقال موالاة الاكفاء ومداجاة الاعداء . وتأويل المداجاة المداراة أى لا تظهر لهم ما عندك من العداوة وأصله من الدجى وهو ما البسك الليل من ظلمته .

٤ وقيل لمعاوية ما المروءة فقال احتمال الجريرة واصلاح أمر العشيرة فقيل له وما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة .

٥ وكان أبو سفيان اذا نزل به جار قال له يا هذا انك قد اخترتنى جاراً واخترت دارى دارا فجناية يدك علىّ دونك وان جنت عليك يد فاحتكم علىّ حكم الصبى على أهله . وذلك أن الصبى قد يطلب ما لا يوجد الا بعيدا ويطلب ما لا يكون ألبتة قال الشاعر (١)

ولا تحكما حكم الصبى فانه … كثير على ظهر الطريق مجاهله

٦ وقال رجل لسلم بن نوفل ما أرخص السؤدد فيكم فقال سلم أما نحن فلا نسوّد الا من بذل لنا ماله وأوطأنا عرضه وامتهن فى حاجتنا نفسه فقال الرجل ان السودد فيكم لغال ولسلم يقول القائل

يسوّد اقوام وليسوا بسادة … بل السيد المعروف سلم بن نوفل

٧ وقال معاوية لعَرابة بن أوس بن قيظى الأنصارى بم سدت قومك فقال لست بسيدهم ولكنى رجل منهم فعزم عليه فقال أعطيت فى نائبتهم وحلمت عن سفيههم وشددت على يدى حليمهم فمن فعل منهم مثل فعلى فهو مثلى ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ومن تجاوزه فهو أفضل منى . وكان سبب ارتفاع عرابة

---

(١) هو الاعرج المعنى

انه قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المرى فتحادثا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة قال قدمت لامتار منها فملا له عرابة رواحله براً وتمراً وأتحفه بغير ذلك فقال الشماخ يمدحه

رأيت عرابة الأوسى يسمو الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
اذ بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين
ومثل سراة قومك لم يجاروا الى ربع الرهان ولا اليمين

قوله تلقاها عرابة باليمين قال أصحاب المعانى معناه بالقوة وقالوا مثل ذلك فى قوله عز وجل (والسموات مطويات بيمينه) وقد أحسن كل الاحسان فى قوله:

اذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

يقول لست أحتاج الى أن أرحل الى غيره وقد عاب بعض الرواة قوله فاشرقى بدم الوتين وقال كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقته صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس ما جزيتها. وقال لا نذر فى معصية ولا نذر للانسان فى غير ملكه. ومما لم يعب فى هذا المعنى قول عبد الله بن رواحة الأنصارى لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة.

اذا بلغتنى وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمى وخلاك ذم ولا أرجع الى أهلى ورائى

الحساء جمع حِسْى وهو موضع رمل تحته صلابة فاذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة ان يغيض ومنع الرمل السمائم أن تنشفه فاذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء يقال حِسْى وأحساء وحساء ممدودة وقوله ولا أرجع الى أهلى ورائى مجزوم لأنه دعاء فقوله لا عنى الى أن مثلاً ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيد لا يغفر الله له فهذا الدعاء ينجزم بما ينجزم به الأمر والنهى كما تقول زيد ليقم وزيد لا يبرح . وقد اتبع ذو الرمة الشماخ فى قوله

اذا يا ابن أبي موسى بلالا بلغته ... فقام بفأس بين وصليك جازر

الوصل المفصل يعني عليه مفصل الجسم يقال قطع الله أوصاله ويقال عضو و[illegible]
وجدل فى معنى واحد .

٨ قالوا ومن نعت السيد أن يكون لحيا ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعد واذا تكلم ملأ العين لا يحتاج أن يكون فى صدر مجلس أو ذروة منبر أو منفردا فى موكب وكانوا يقولون فى نعت السيد ملء العين جمالا والسمع مقالا وقال أبو على دعبل فى رجل نسبه الى السؤدد بقوله لمعاذ بن جبل بن سعيد الحميرى وهو من ولد حميد بن عبد الرحمن الفقيه

فاذا جالسته صدرته ... وتنحيت له فى الحاشيه

واذا سايرته قدمته ... وتأخرت مع المستأنيه

واذا ياسرته صادفته ... سلس الخلق سليم الناحيه

واذا عاسرته صادفته ... شرس الرأى أبيا داهيه

فاحمد الله على صحبته ... واسأل الرحمن منه العافيه

وهذا المعنى قد أجاده جرير فى قوله

بشر أبو مروان ان عاسرته ... عسر وعند يساره ميسور

وقال رجل لابن له والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال رجل من بنى أسد لرجل من قيس والله ما فتقت فتق السادة ولا مطلت مطل الفرسان فهذه كلها نعوت قد عرفت لقوم حتى كأنها سمات لهم . وينبغى للفارس أن يكون مهفهف الخصرين متوقد العينين حمش الذراعين وأنشد الأصمعى . كأنما ساعداه ساعدا ذيب . وفى حديث أم زرع مضجعه كمسل الشطبة وتكفيه ذراع الجفرة ومعناه انه خميص البطن وهذا تمدح به العرب وتستحسنه . فأما قول متمم بن نويرة . فتى غير مبطان العشيات أروعا . فانما أراد انه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف كما قال .

وضيف اذا أرغى طروقا بعيره ... وعان ثناه الوفد حتى تكنعا

وقالوا فى قول الخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا وأذكره لكل غروب شمس

قالوا أرادت بطلوع الشمس وقت الغارة وبغروب الشمس وقت الأضياف

خامسا ـ فى حسن الخلق

١ قال الاحنف بن قيس ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوإ الداء الخلق الدنىء واللسان البذىء

٢ وقال ثلاث فىّ ما أقولهن الا ليعتبر معتبر مادخلت بين اثنين حتى يدخلانى بينهما ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع اليه يعنى السلطان ولا حللت حُبوتى الى ما يقوم اليه الناس . تكسر الحاء وتضمها اذا أردت الاسم وتفتحها اذا أردت المصدر وأنشدنى عمارة بن عقيل لجرير

قتل الزبير وأنت عاقد حبوة قبحاً لحبوتك التى لم تحلل

ويقال فى جمع حِبوة حِبا وحُبا مقصوران

٣ ويروى عنه انه قال ما شاتمت رجلا مذ كنت رجلا ولا زحمت ركبتاى ركبتيه واذا لم أصل مجتدىّ حتى ينتح جبينه عرقاً كما ينتح الحميت فوالله ما وصلته قوله مجتدىّ يريد الذى يأتيه يطلب فضله يقال اجتداه يجتديه واعتفاه يعتفيه واعتراه يعتريه واعتره يعتره وعراه يعروه اذا قصده يتعرض لنائله وأصل ذلك مأخوذ من الجدَى مقصور وهو المطر العام النافع يقال أصابتنا مطرة كانت جدًى على الأرض فهذا الاسم فاذا أردت المصدر قلت فلان كثير الجداء ممدود كما تقول كثير الغَناء عنك ممدود هذا المصدر فاذا أردت الاسم الذى هو خلاف الفقر قلت الغنى بكسر أوله وقصرت قال خُفاف بن نَدْبة يمدح أبا بكر الصديق رضى الله عنه

ليس لشىء غير تقوى جَداء وكل شيء عمره للفناء
ان أبا بكر هو الغيث اذ لم تشمل الارض سحاب بماء
تا لله لا يدرك أيامه ذو طرة حاف ولا ذو حذاء
من يسع كى يدرك أيامه يجتهد الشد بأرض فضاء

وهذا من طريف الشعر لانه ممدود فهو بالمد الذى فيه من عروض السريع الاولى وبيته فى العروض

أزمان سلمى لايرى مثلها الرا ؤن فى شام ولا فى عراق

ثم نرجع الى تأويل قول الاحنف قوله حتى ينتح جبينه عرقاً فهو مثل الرشح وحدثنى أبو عثمان المازنى فى اسناد له ذكره قال قال رؤبة بن العجاج خرجت مع أبى نريد سليمان بن عبد الملك فلما صرنا فى الطريق أهدى لنا جنب من لحم عليه كرافئ الشحم وخريطة من كمأة ووَطب من لبن فطبخنا هذا بهذا فما زالت ذِفْرياى تنتحان منه الى أن رجعت وقوله الحميت فالحميت والزق اسمان له واذا زفت أو كان مربوباً فهو الوَطب واذا لم يكن مربوباً ولا مزفتاً فهو سقاء ونحى والوطب يكون للبن والسمن والسقاء يكون للبن والماء قالت هند بنت عتبة لابى سفيان بن حرب لما رجع مسلماً من عند النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة فى ليلة الفتح فصاح يا معشر قريش ألا انى قد أسلمت فأسلموا فان محمداً قد أتاكم بما لا قِبل لكم به فأخذت هند رأسه وقالت بئس طليعة القوم أنت والله ماخُدشت خدشاً يا أهل مكة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه وأما قول رؤبة كرافئ الشحم يدطبقات الشحم وأصل ذلك فى السحاب اذا ركب بعضه بعضاً يقال له كِرْفئ والجمع كرافئ (١)

٤ ويروى عن أسماء بن خارجة أنه قال لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا فانما هو كريم أسد خلته أو لئيم اشترى عرضى منه

---

(١) قال أبو الحسن الاخفش واحد الكرافئ كِرفئة وهاء التأنيث اذاجمعت جمع التكسير حذفت لانهازائدة بمنزلة اسم ضم الى اسم وأحسب أنأبا العباس لم يسمع الواحد من هذا فقاسه والعرب تجترئ على حذف هاء التأنيث اذا احتاجت الى ذلك وليس هذا موضع حاجة اذا كانت قداستعملت الواحدة بالهاء ونظير هذا قولهم ما فى السماء كِرفئة وما فى السماء قَذَعْملة وقُذَعميلة وما فى السماء طُحرُبة وطِحرِبة وما فى السماء قِرطَعبة وما فى السماء كَنَهورة وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه .

٥ - وقال عبد الله بن عبد الله بن عتبة ما أحسن الحسنات في آثار السيئات وأقبح السيئات في آثار الحسنات وأقبح من ذا وأحسن من ذاك السيئات في آثار السيئات والحسنات في آثار الحسنات والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمى بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد الى كل خبره وقال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله

سادساً - في المجالس

١ قال أبو ادريس الخولاني، المساجد مجالس الكرام.

٢ وقيل للأحنف بن قيس أحد بنى مرة بن عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد أى المجالس أطيب فقال ما سافر فيه البصر واتدع فيه البدن. اتدع افتعل من التوديع والأصل اوتدع فتقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون ايتزر ياتزر وهو رجل موتزر والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء في باب افتعل تاء وتدغمها في التاء من افتعل فتقول اتدع يتدع وهو متدع ومتزر ومتعد من الوعد ومتئس من اليأس تكون الياء كالواو لأنها ان أظهرت انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو وتكونان واوين عند الضمة نحو مُوعد ومُوتعد وموئس ومُوتئس وياءين للكسرة والواو قد تقلب الى التاء ولا تاء بعدها نحو تُراث من ورثت وتُجاه من الوجه وتكأة وانما ذلك كراهية الضمة في الواو وأقرب حروف الزوائد والبدل منها التاء فقلبت اليها وقد تقلب للبدل في غير ضم نحو هذا أتقى من هذا وضربته حتى اتكأته فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجه القلب ليقع الادغام وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المقتضب

٣ وقيل للمهلب بن أبي صفرة ما خير المجالس فقال ما بعد فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة الجليس

٤ ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه يا بنيّ اذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الاسلام ثم اجلس فان أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم وان

أفاضوا فى غيره نخلهم وانهض . قوله فارمهم بسهم الاسلام يعنى السلام وقوله خأجل سهمك مع سهامهم يعنى ادخل معهم فى أمرهم فضرب به مثلا من دخول الرجل فى قداح الميسر .

٥ وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه

واذا أتيت جماعة فى مجلس   فاختر مجالسهم ولما تقعد
ودع الغواة الجاهلين وجهلهم   والى الذين يذكرونك فاعمد

٦ وقال ابن عباس رحمه الله لجليسى على ثلاث أن أرميه بطرفى اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغى اليه اذا حدث

٧ وكان القعقاع بن شور أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيباً فى ماله وأعانه على عدوه وشفع له فى حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكراً له حتى شهر بذلك وفيه يقول القائل

وكنت جليس قعقاع بن شور   ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان أمروا بخير   وعند السوء مطراق عبوس

وحدثنى التوزى أن رجلا جالس قوماً من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فأساءوا عشرته وسعوا به الى معاوية فقال

شقيت بكم وكنت لكم جليساً   فلست جليس قعقاع بن شور
ومن جهل أبو جهل أخوكم   غزا بدرا بمجمرة وثور

نسبه الى التوضيع كقول عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف لحكيم بن حزام لما بلغه قول أبى جهل بن هشام انتفخ والله سحره ونحره سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره اليوم .قال رجل من بنى مخزوم للأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ليؤذيه أتعرف الذى يقول

ذهبت قريش بالمكارم كلها   واللؤم تحت عمائم الانصار

فقال الأحوص لا أدرى ولكنى أعرف الذى يقول

الناس كنوه أبا حكم والله كناه أبا جهل
أبقت رياسته لأسرته لؤم الفروع ودقة الاصل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت والبيت الذى أنشده المخزومى للأخطل وكان يزيد بن معاوية عتب على قوم من الانصار فأمر كعب بن جعيل التغلبي بهجائهم فقال له كعب أأهجو الأنصار أرادى أنت الى الكفر بعد الاسلام ولكنى أدلك على غلام من الحى نصرانى كأن لسانه لسان ثور يعنى الأخطل قال فلما قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى على معاوية فحسر عمامته عن رأسه ثم قال يامعاوية أترى لؤماً فقال ما أرى الا كرما فقال النعمان

معاوى الا تعطنا الحق تعترف لحى الأزد مسدولا عليها العمائم
أيشتمنا عبد الأراقم ضلة فماذا الذى تجدى عليك الأراقم
فمالى ثأر دون قطع لسانه فدونك من ترضيه عنه الدراهم

وكان الأحنف بن قيس يقول لا تزال العرب عرباً مالبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعدد الحلم ذلا ولا التواهب فيما بينها ضعة وقالوا فى تأويل قوله ما لبست العمائم يقول ما حافظت على زيها وقوله وتقلدت السيوف يريد الامتناع من الضيم وقوله ولم تعدد الحلم ذلا يقول ماعرفت موضع الحلم وتأويل ذلك ان الرجل اذا أغضى للسلطان أو أغضى عن الجواب وهو مأسور لم يقل حلم وانما يقال حلم اذا ترك ان يقول الشيء لصاحبه منتصراً ولا يخاف عاقبة يكرهها فهذا الحلم المحض فاذا لم يفعل ذلك ورأى ان تركه الحلم ذل فهو خطأ وسفه وقوله ولم تر التواهب فيما بينها ضعة نحو من هذا وهو أن يهب الرجل من حقه مالا يستكره عليه وكان يقال أحيوا المعروف باماتته وتأويل ذلك ان الرجل اذا امتن بمعروفه كدره وقيل المنة تهدم الصنيعة وكان يقال كتمان المعروف من المنعم عليه كفر وذكره من المنعم تكدير له. وقال قيس بن عاصم يا بنى تميم اصحبوا من يذكر احسانكم اليه وينسى أياديه اليكم

٨ وقال اعرابى يهجو قوماً من طيء

ولما ان رأيت بنى جوين جلوساً ليس بينهم جليس

يئست من التى أقبلت أبغى لديهم اننى رجل يؤوس
اذا ما قلت أيهم لأى تشابهت المناكب والرءوس

قوله جلوساً ليس بينهم جليس يقول هؤلاء قوم لا ينتجع الناس معروفهم فليس فيهم غيرهم وهـذا من أقبح الهجاء ومن أمثال العرب سمنهم فى أديمهم ومعناه فى مأدومهم وقيل أديم ومأدوم مثل قتيل ومقتول . وتقول الحكماء من كثر خيره كثر زائره . وقال المهلب بن أبى صفرة لبنيه يابنى اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا . وقال الآخر

أروح لتسليم عليك وأغتدى وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
كفى بطلاب المرء مالا يناله عناء وباليأس المصّرح ناهيا (١)

ومن أحسن المدح قول زهير

قد جعل الطالبون الخير فى هرم والسائلون الى أبوابه طرقا

وقال رؤبة (٢) ان الندى حيث ترى الضّغاطا

وقال آخر

يزدحم النـاس على بابه والمشرب العذب كثير الزحام

وقال أشجع فى محمد بن منصور

على باب منصور علامات من البذل
جماعات وحسب البا ب نبلا كثرة الأهل

وقوله تشابهت المناكب والرءوس انما ضربه مثـلا للأخلاق والأفعال أى ليس فيهم مفضل ويقال ان الاضبَط بن قُرَيع بن عوف بن كعب بن سـعد بن زيد مناة بن تميم آذته عشيرته من بنى سـعد فخرج عنهم فجعل لا يجاور قوماً الا آذوه فقال أينما أذهب ألق سعدا أى أفر من الأذى الى مثله

سابعا ـ فى العيش الناعم

١ قيل لخُريم المـرى وهو المنَبز بخريم الناعم ما النعمة فقال الأمن فانه

---

(١) وربما قال أبو العباس هو مصرح بكسر الراء قال أبو الحسن والكسر أجود (٢) ليس لرؤبة وهو لابن أبى نخيلة

يس لخائف عيش والغنى فانه ليس لفقير عيش والصحة فانه ليس لسقيم عيش قيل ثم ماذا قال لا مزيد بعد هذا

٢ وقال سلم بن قتيبة الشباب الصحة والسلطان الغنى والمروءة الصبر على الرجال .

٣ وقال معاوية الخفض والدعة سعة المنزل وكثرة الخدم .

٤ وكان يقال أنعم الناس عيشاً من عاش غيره فى عيشه

٥ وقيل فى المثل السائر من كان فى وطن فليوطن غيره وطنه ليرتع فى وطن غيره فى غربته

٦ وانتبه معاوية من رقدة له فأنبه عمرو بن العاص فقال له عمرو ما بقي من لذتك يا أمير المؤمنين قال عين خرارة فى أرض خوارة وعين ساهرة لعين نائمة فما بقى من لذتك يا أبا عبد الله قال أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب ثم نبها وردان فقال له معاوية ما بقي من لذتك فقال الافضال على الاخوان فقال له معاوية اسكت فأنا أحق بها منك فقال له قد أمكنك فافعل . ويروى أن عمراً لما سئل قال أن أستتم بناء مدينتى بمصر وأن وردان لما سئل قال أن ألقى كريماً غادراً فى عقب احسان كان منى اليه وأن معاوية سئل عن الباقى من لذته فقال محادثة الاخوان فى الليالى القمر على الكثبان العفر

٧ وقال سليمان بن عبد الملك قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره وامتطينا العذراء فلم يبق من لذتى الا صديق أطرح بينى وبينه مؤونة التحفظ

٨ وقال رجل لرجل من قريش انى والله ما أمل الحديث قال انما يمل العتيق

٩ وقال المهلب بن أبى صفرة العيش كله فى الجليس الممتع

١٠ وقال معاوية الدنيا بحذافيرها الخفض والدعة

١١ وقال يزيد بن المهلب ما يسرنى انى كفيت أمر الدنيا كله قيل له ولم أيها الأمير قال أكره عادة العجز

ثامناً ـ فى قيد النعم بالشكر وقيد العلم بالكتابة

١ قال الحسن نعم الله اكثر من أن تشكر الا ما أعان عليه وذنوب ابن آدم

أكثر من أن يسلم منها الا ما عفى الله عنه .

٢ وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه العجب لمن يهلك والنجاة معه فقيل ما هى يا أمير المؤمنين قال الاستغفار .

٣ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افصلوا بين حديثكم بالاستغفار

٤ وقالت هند بنت المهلب بن أبى صفرة اذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال .

٥ وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله قيدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتابة

٦ وقال الخليل بن احمد اجعل ما فى كتبك رأس مال وما فى صدرك للنفقة

٧ وقال أيضا كن على مدارسة ما فى قلبك أحرص منك على حفظ ما فى كتبك

٨ وقيل لنصر بن سيار ان فلاناً لا يكتب فقال تلك الزمانة الخفية

٩ وقال نصر بن سيار لولا أن عمر بن هبيرة كان بدوياً ماضبط اعمال العراق وهو لا يكتب

١٠ وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى فداءه من أسرى بدر فمن لم يكن له فداء أمره ان يعلم عشرة من المسلمين الكتابة ففشت الكتابة بالمدينة

١١ ومن امثال العرب . خير العلم ماحو ضر به يقول ماحفظ فكان للمذاكرة

تاسعاً — فى الزمان والسلطان

١ سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال لو كان يدرى ما الزمان لضربت عنقه ان الزمان هو السلطان

٢ وحدثنى مسعود بن بشر قال قال زياد الامرة تذهب الحفيظة وقد كانت من قوم الىّ هنات جعلتها تحت قدمى ودَبر اذنى فلو بلغنى ان أحدكم قد أخذه السل من بغضى ماهتكت له ستراً ولا كشفت له قناعا حتى يبدى لى عن صفحته فاذا فعل لم أناظره

٣ وفى عهد أزدشير وقد قال الاولون منا عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان .

٤ وقال المهلب بن أبى صفرة لبنيه اذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على

المريب فان الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن

٥ وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن

قوله يزع أى يكف يقال وزع يزع اذا كف وكان أصله يزع مثل يعد فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتبعت حروف المضارعة الياء لئلا يختلف الباب وهى الهمزة والنون والتاء والياء نحو أعد ونعد وتعد ويعد ولكن انفتحت فى يَزع من أجل العين لان حروف الحلق اذا كن فى موضع عين الفعل أو لامه فتحن فى الفعل الذى ماضيه فعَل وان وقعت الواو مما هى فاء فى يفعَل المفتوحة العين فى الأصل صح الفعل نحو وحل يوحَل ووجِل يوجَل ويجوز فى هذه المفتوحة ياحل وياجل وييحل وييجل وكل هذا كراهية للواو بعد الياء تقول وزعته كففته وأوزعته حملته على ركوب الشئ وهيأته وهو من الله عز وجل توفيق ويقال اوزعك الله شكره أى وفقك الله لذلك .

٦ وقال الحسن مرة ما حاجة هؤلاء السلاطين الى الشرط فلما ولى القضاء كثر عليه الناس فقال لا بد للناس من وزعة .

٧ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتى صالحا أمرها ما لم تر الفئ مغنما والصدقة مغرماً

٨ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لا يقرّب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يتخذون الفئ مغنما والصدقة مغرماً وصلة الرحم مناً والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشاورة الاماء وامارة الصبيان (١)

٩ ويروى عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمدانى قال دفع الىّ الحجاج أزاذمرد بن الهربذ وأمرنى أن استخرج منه واغلظ عليه فلما انطلقت به قال لى يا محمد ان لك شرفاً وديناً وانى لا أعطى على القسر شيئا فاستأذنى وارفق بى قال ففعلت فأدى الىَّ فى اسبوع خمسمائة الف قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه وانتزعه من يدى ودفعه الى رجل كان يتولى له العذاب فدق يديه ورجليه ولم يعطهم

---

(١) الماحل الواشي يقال محل فلان بفلان اذا وشى به ومكر .

شيئا قال محمد بن المنتشر فانى لأمر يوماً فى السوق اذا صائح بى يامحمد فالتفت فاذا به معرّضاً على حمار مدقوق اليدين والرجلين نخفت الحجاج أن أتيته وتذممت منه فلت اليه فقال لى انك وليت منى ما ولى هؤلاء فأحسنت وانهم صنعوا بى ماترى ولم اعطهم شيئا وها هنا خمسمائة الف عند فلان نخذها فهي لك قال فقلت له ما كنت لآخذ منك على معروف أجرا ولا لأرزأك على هـذه الحال شيئا قال فأما اذ أبيت فاسمع أحدثك حدثنى بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته وجعل المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر فى غـير حينه قال فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسول الحجاج فأمرنى بالمسير اليه فألفيته جالساً على فرشه والسيف منتضاً فى يده فقال لى ادن فدنوت شيئا ثم قال ادن فدنوت شيئا ثم صاح الثالثـة ادن لا أبالك فقلت مابي الى الدنو من حاجـة وفى يد الامير ما أرى فأضحك الله سنه وأغمد سيفه عنى فقال لى اجلس ما كان من حديث الخبيث فقلت له أيها الامير والله ماغششتك منذ استنصحتنى ولا كذبتك منذ استخبرتنى ولاخنتك منذ ائتمنتنى ثم حدثته الحديث فلما صرت الى ذكر الرجل الذى المال عنده أعرض عنى بوجهه واومأ الى بيده وقال لا تسمه ثم قال ان للخبيث نفساً وقد سمع الاحاديث

عاشراً ــــ امثال مشروحة

١ قال أبو العباس من امثال العرب . لم يذهب من مالك ما وعظك يقول اذاذهب من مالك شيء فحذرك أن يحل بك مثله فتأديبه اياك عوض من ذهابه

٢ ومن امثالهم . رب عجلة تهب ريثاً . وتأويله ان الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به فيحتاج الى أن يعود فينقضه ثم يستأنف . والريث الابطاء وراث عليه أمره اذا تأخر .

٣ ومن امثالهم . عشّ ولا تغتر . وأصل ذلك أن يمر صاحب الأبل بالارض المكلئة فيقول ادع أن اعشى ابلى منها حتى أرد على أخرى ولا يدرى ما الذى

يرد عليه وقريب منه قولهم أن ترد الماء بماء أكيس وتأويله ان يمر الرجل بالماء فلا يحمل منه اتكالا على ماء آخر يصير اليه فيقال له أن تحمل معك ماء أحزم لك فان أصبت ماء آخر لم يضرك فان لم تحمل نخفقت من الماء عطبت .

٤ ومن امثالهم . قد أحزم لو أعزم يقول اعرف وجه الحزم فان عزمت فأمضيت الرأى فأنا حازم وان تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعنى حزمى ومثله قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وانى امرؤ اذا ما تبينت لم أرتب

وقال اعرابى يمدح سوار بن عبد الله .

وأوقف عند الأمر مالم يضح له وأمضى اذا ماشك من كان ماضيا

فالذى يحمد امضاء ماتبين رشده فأما الاقدام على الغرور وركوب الامر على الخطر فليس بمحمود عند ذوى الألباب وقد يتحسن بمثله الفتاك كما قال (١)

عليكم بدارى فاهدموها فانها تراث كريم لا يخاف العواقبا

اذا هم القى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر فى رأيه غير نفسه ولم يرض الاقائم السيف صاحبا

فهذا شأن الفتاك وقال الآخر

غلام اذا ما هم بالفتك لم يبل ألامت قليلا أم كثيراً عواذله

وقال آخر .

وما العجز الا ان تشاور عاجزا وما الحزم الا ان تهم فتفعلا

فأما قول على بن أبى طالب رضى الله عنه من أكثر الفكرة فى العواقب لم يشجع فتأويله انه من فكر فى ظفر قرنه به وعلوه عليه لم يقدم وانما كان الحزم عند على رضى الله عنه ان يحظر أمر الدين ثم لا يفكر فى الموت . وقد قيل له أتقتل أهل الشأم بالغداة وتظهر بالعشى فى ازار ورداء فقال أبى الموت أخوف والله ماأبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت على . وقال للحسن ابنه لا تبدأ بدعاء الى مبارزة فان دعيت اليها فاجب فان طالبها باغ والباغى مسروع .

---

(١) هو سعد بن ناشب المازنى عن الرياشى وغيره .

باب النوادر والاخبار والحوادث

﴿ وفيه تسعة فصول ﴾

الفصل الأول فى الخوارج وأخبارهم وهو أربع نبذ

الأولى فى خلافة على كرم الله وجهه

١ كان الخوارج من أصحاب على بن أبى طالب رحمه الله وخرجوا عليه عقب حادثة التحكيم ولما سمع نداءهم لا حكم الا لله قال كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة . ويقال فيما يروى من الأخبار أن أول من حكم عُرْوة بن أدية وأدية جدة له جاهلية وهو عروة ابن حُدَيرٍ أحد بنى ربيعة بن حنظلة . وقال قوم بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بنى محارب بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر . وقيل ان أول من حكم ولفظ بالحكومة ولم يشد بها رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ابن مر من بنى صَريم يقال له الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبرَك وهو الذى ضرب معاوية على أليَته بعدُ قيل انه لما سمع بذكر الحكمين قال أيحكم فى دين الله لا حكم الا لله فسمعه سامع فقال طعن والله فأنفذ . وأول من حكم بين الصفين رجل من بنى يشكر بن بكر بن وائل فانه كان فى أصحاب على فحمل على رجل منهم فقتله غِيلة ثم مرق بين الصفين فحكم وحمل على أصحاب معاوية فكفروه فرجع الى ناحية على صلوات الله عليه فحمل على رجل منهم آخر فخرج اليه رجل من همدان فقتله وفى ذلك يقول شاعر همدان

ما كان أغنى اليشكرى عن التى تصلىَّ بها جمراً من النار حاميا
غداة ينادى والرماح تنوشه خلعت عليا بادياً ومعاويا

فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية وذلك أنه أقبل على الأشعث فقال ما هذه الدنيئة يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط اوثق

من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والأشعث مول فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية وكانوا جل أصحاب على صلوات الله عليه فلما رأى ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قُدامة ومسعود بن فدكى بن أعبد وشبث ابن ربعى الرياحى الى الأشعث فسألوه الصفح ففعل .

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى وصفهم أنه قال سيماهم التحليق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد . وفى حديث عبد الله بن عمرو رجل يقال له عمرو ذو الخويصرة أو الخنيصرة . ويروى أن رجلا شديد بياض الثياب وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خَيبر ولم تكن الا لمن شهد الحُدَيبية فأقبل ذلك الأسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عدلت منذ اليوم فغضب رسول الله حتى رؤى الغضب فى وجهه فقال عمر بن الخطاب الا أقتله يا رسول الله فقال انه سيكون لهذا وأصحابه نبأ وفى حديث آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ويحك فمن يعدل اذا لم أعدل ثم قال لأبى بكر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيته راكعاً فقال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيتـه ساجداً فقال لعلى اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله لم أره فقال رسول الله لو قتل هذا ما اختلف اثنان فى دين الله

وحدثنى ابراهيم بن محمد التيمى قاضى البصرة فى اسناد ذكره ان عليا رضى الله عنه وجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة من اليمن فقسمها ارباعاً فاعطى ربعاً للأقرع بن حابس المجاشعى وربعا لزيد الخيـل الطائى وربعاً لعيينة بن حصن الفزارى وربعاً لعلقمة بن عُلاثة الـكلابى فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتىء الجبهة فقال لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى تورد خداه ثم قال أيأمننى الله عز وجل على أهل الأرض ولا تأمنونى فقام اليه عمر فقال الا أقتـله يا رسول الله فقال صلى الله عليـه وسـلم انه سيكون من ضئضىء هـذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر فى النصل فلا ترى شيئاً وتنظر فى الرصاف فلا ترى شيئاً

وتمارى فى الفوق .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نظر الى رجل ساجد الى ان صلى النبى عليه السلام فقال الا رجل يقتله فحسر ابو بكر عن ذراعه وانتض السيف وصمد نحوه ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أأقتل رجلا يقول لا اله الا الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا رجل يفعل ذلك ففعل عمر مثل ذلك فلما كان فى الثالثة قصد له على بن أبى طالب عليه السلام فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتل هذا لكان أول فتنة وآخرها .

ويروى عن ابى مريم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه ذكر المخدج عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو مريم والله ان كان معنا لفى المسجد وكان فقيرا وكان يحضر طعام على اذا وضعه للمسلمين ولقد كسوته برنساً لى قال فلما خرج القوم الى حروراء قلت والله لأنظرن الى عسكرهم فجعلت أتخللهم حتى صرت الى ابن الكواء وشبث بن ربعى ورسل على تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلى فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سرجه وهو يقول « انا لله وانا اليه راجعون » ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلت أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد فرأيت المخدج وكان منى قريبا فقلت أكنت مع القوم فقال أخذت سلاحى أريدهم فاذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لى فأخذوا سلاحى وجعلوا يتلاعبون بى قال فلما كان يوم النهر قال على اطلبوا المُخدج فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك علياً وحتى قال رجل لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم فقال على والله ما كَذبت ولا كُذِبت فجاء رجل فقال قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخر على ساجداً وكان اذا أتاه ما يسر به من الفتوح سجد ثم قال والله لو أعلم شيئاً أفضل منه لفعلته ثم قال سيماه أن يده كالثدى عليها شَعَرات كشارب السنَّوْر ايتونى بيده المخدجة فأتوه بها فنصبها (١) قوله صلى الله عليه وسلم « من ضئضىء هذا » أى من جنس هذا

(١) انما ذكرنا هذا عن المُخدج يوم النهر وان لم تأت تفاصيل تلك الوقعة تتميما لحديثه . السباعى

يقال فلان من ضِئْضِىء صدق ومن محتِد صدق وفى مركَب صدق قال جرير للحكم بن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل وهو ابن عم الحجاج وكان عامله على البصرة

أقبلن من ثهلان أو وادى خِيم ... على قلاص مثل خيطان السلم
اذا قطعن علما بدا علم ... حتى انخناها الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم ... فى ضئضىء المجد وبحبوح الكرم

ويقال مرق السهم من الرمية اذا نفذ منها وأكثر ما يكون ذلك ألا يعلق به من دمها شيء واقطع ما يكون السيف اذا سبق الدم قال أمرؤ القيس بن عابس الكندى .

وقد أختلس الضر ... بة لا يدمى لها نصلى

٢ وذكر أهل العلم من غير وجه ان علياً رضى الله تعالى عنه لما وجه اليهم عبد الله بن عباس ليناظرهم قال ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم فى دين الله خرج من الايمان فليتب بعد اقراره بالكفر نعد له فقال ابن عباس لا ينبغى لمؤمن لم يشب ايمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر قالوا انه قد حكم قال ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد فقال عز وجل « يحكم به ذوا عدل منكم » فكيف فى امامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا انه قد حكم عليه فلم يرض فقال ان الحكومة كالامامة ومتى فسق الامام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فان هذا من القوم الذين قال الله عزوجل فيهم (بل هم قوم خصمون) وقال عز وجل (وتنذر به قوماً لدا) والشيء بالشيء يذكر جاء فى الحديث ان رجلا اعرابياً أتى عمر بن الخطاب رضى عنه فقال انى أصبت ظبياً وأنا محرم فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف فقال قل فقال عبد الرحمن يهدى شاة فقال عمر أهد شاة فقال الأعرابى والله ما درى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره فخفقه عمر رضوان الله عليه بالدرّة وقال اتقتل فى الحرم وتغمص الفتيا ان الله عز وجل قال (يحكم به ذوا عدل منكم) فأنا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف . قال وفى هذا الحديث ضروب

من الفقه منها ما ذكروا ان عبد الرحمن بن عوف قال أولا ليكون قول الامام حكماً قاطعاً ومنها أنه رأى ان الشاة مثل الظبية كما قال الله عزوجل (فجزاء مثل ماقتل من النعم) ومنها أنه لم يسأله أخطأ قتله أم عمداً وجعل الأمرين واحداً . ومنها أنه لم يسأله أيضاً أقتلت صيداً قبله وأنت محرم لأن قوماً يقولون اذا أصاب ثانية لم يحكم عليه ولكنا نقول اذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى (ومن عاد فينتقم الله منه) قال أبو العباس رجع الحديث الى ذكر الخوارج وأمر علي بن أبي طالب قال يروى أن علياً في أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدي وقد كان وجهه اليهم وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس فقال لصعصعة بأي القوم رأيتهم أشد اطافة فقال بيزيد بن قيس الأرحبي قال فركب اليهم بجر وراء فجعل يتخللهم حتى صار الى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل على الناس ثم قال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة أنشدكم الله أعلمتم أحداً منكم كان أكره للحكومة مني قالوا اللهم لا قال أفعلمتم انكم أكرهتموني حتى قبلتها قالوا اللهم نعم قال فعلام خالفتموني ونابذتموني قالوا انا أتينا ذنباً عظيما فتبنا الى الله فتب الى الله منه واستغفره نعدلك فقال علي اني استغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا ان علياً رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا انما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع ويجبى المال فينهض الى الشأم فأتى الأشعث بن قيس علياً عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا فخطب عليّ الناس فقال من زعم اني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل قال فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت فقيل لعلي انهم خارجون عليك فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فوجه اليهم عبد الله بن العباس فلما صار اليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباهاً قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ما جاء بك يا أبا العباس قال جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه واعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والأنصار

قالوا انا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال فى دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال ابن عباس نشدتكم الله الاما صدقتم أنفسكم أما علمتم ان الله أمر بتحكيم الرجال فى أرنب تساوى ربع درهم تصاد فى الحرم وفى شقاق رجل وامرأته فقالوا اللهم نعم فقال فانشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين اهل الحديبية قالوا نعم ولكن علياً محا نفسه من امارة المسلمين قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة (١) وقد أخذ على الحكمين ألا يجورا وان يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره . قالوا ان معاوية يدعى مثل دعوى على قال فايهما رأيتموه اولى فولوه فتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما قالوا صدقت واتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء وقال متى كانت حرب فرئيسكم شبث بن ربعى الرياحى * وكان سبب تسميتهم الحرورية أن عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله اياهم فكان مما قال لهم ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم ان هذه مكيدة ووهن وأنهم لو قصدوا الى حكم المصاحف لم يأتونى ثم سألونى التحكيم أفعلمتم انه كان منكم أحد اكره لذلك منى قالوا اللهم نعم قال فهل علمتم انكم استكرهتمونى على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطت ان حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل فان خالفاه فأنا وانتم من ذلك براء أو أنتم تعلمون ان حكم الله لا يعدونى قالوا اللهم نعم وفيهم فى ذلك الوقت ابن الكواء وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خباب فانهم ذبحوه بكسكر فى الفرقة الثالثة فقالوا حكمت فى دين الله برأينا ونحن مقرون بأنا قد كفرنا ونحن تائبون فأقرر بمثل ما أقررنا وتب ننهض معك الى الشأم فقال أما تعلمون ان الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم فى شقاق بين رجل وامرأته فقال تبارك وتعالى فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من اهلها وفى صيد أصيب فى الحرم كأرنب تساوى ربع درهم فقال عز وجل يحكم

(١) سيأتى كشف اللثام عن هذا الخبر فى مناظرة على لهم بعد مناظرة ابن عباس هذه . السباعى

به ذوا عدل منكم فقالوا ان عمراً لما أبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتبه عبد الله على امير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت على بن أبي طالب فقال لهم لى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حيث أبي عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال سهيل لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكن أقدمك لفضلك ثم قال اكتب محمد بن عبد الله فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على امح رسول الله فقلت يا رسول الله لا تسخو نفسى بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام قفنى عليه فمحاه بيده وقال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم الىّ فقال يا على أما انك ستسام مثلها فتعطى قال فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم على صلوات الله عليه ما نسميكم ثم قال « أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء » ومن شعر على بن أبى طالب الذى لا اختلاف فى انه قاله وانه كان يردده انهم لما ساموه أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه الى الشأم قال أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه فى الدين ارجع كافرا

يا شاهد الله على فاشهد أني على دين النبى أحمد
من شك فى الله فاني مهتدى

ويروى . أنى توليت ولى أحمد فأما ما وضعه الاصمعى فى كتاب الاختيار فعلى غلط وضع . ذكر الاصمعي أن الشعر لاسحق بن سويد الفقيه وهو لاعرابى لا يعرف المقالات التى يميل اليها اهل الاهواء وأنشد الاصمعى لاسحاق

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حباً به أرجو غداً حسن الثواب

فان قوله من الغزال منهم يعنى واصل بن عطاء وكان يكنى أبا حذيفة وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن وكان طويل العنق . ويروى عن عمرو

ا بن عبيد انه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لايفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق وقال بشار بن برد يهجوه .

ماذا منيت بغزال له عنق كنقنق الدوّ ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة مابالى وبالكم تكفرون رجالا ا كفروا رجلا

ويروى لابل . وكان واصل لايشك فى أن بشارا كان يتعصب للنار على التراب ويصوب رأى ابليس لعنه الله فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ويروى له

الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

فهذا ما يرويه المتكلمون وقتله المهدى على الالحاد وقد روى قوم أن كتبه فتشت فلم يصب فيها شيء مما كان يرمى به وأصيب له كتاب فيه انى أردت هجاء آل سليمان بن على فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكت عنهم(١) وحدثنى المازنى قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى أنه ثنوى قال فقال بشار ليسوا يدرون ان اللحم يدفع عنى شر هذه الظلمة. وكان واصل بن عطاء المذكور أحد الاعاجيب وذلك انه كان الثغ قبيح الاثغة فى الراء فكان يخلص كلامه منها ولا ينطق بذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه وفى ذلك يقول شاعر من المعتزلة يمدحه باطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام حتى كأنها ليست فيه

عليم بابدال الحروف وقامع لكل خطيب يقلب الحق باطله

وقال آخر :

ويجعل البر قمحاً فى تصرفه وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه قوله وقد ذكر بشارا أما لهذا الأعمى المكتنى بأبى معاذ من

---

(١) وزيد بعد هذا قوله الا أنى قلت

دينار آل سليمان ودرهمهم كبابليين حفا بالعفاريت
لا يرجيان ولا يرجى نوالهما كما سمعت بهاروت وماروت

يقتله أما والله لولا ان الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسياً أو عقيلياً . فقال هذا الأعمى ولم يقل بشارا ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت اليه ولم يقل لأرسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا مرقده وقال يبعج بطنه ولم يقل يبقر وذكر بنى عقيل لأن بشارا كان يتوالى اليهم وبنى سدوس لأنه كان نازلا فيهم . واجتناب الحروف شديد. قال . لما سقطت ثنايا عبد الملك قال والله لولا الخطبة والنساء ما حفلت بها وخطب الجمحى وكان منزوع احدى الثنيتين وكان يصفر اذا تكلم فأجاد الخطبة وكانت لنكاح فرد عليه زيد بن على بن الحسين كلاماً جيداً الا انه فضله بتمكن الحروف وحسن مخارج الكلام فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك

صحت مخارجها وتم حروفها   فله بذاك مزية لا تنكر

والمزية الفضيلة وأما قول اسحق (وابن باب) فانه يعنى عمرو بن عُبيد بن باب وكان مولى بنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فهذان معتزليان وليسا من الخوارج ولكن قصد اسحق بن سويد الى أهل البدع والأهواء ألا تراه ذكر الرافضة معهما فقال .

ومن قوم اذا ذكروا عليا   يردون السلام على السحاب

ويروى أشاروا بالسلام على السحاب . قال أبو العباس والنسب الى مثل حروراء حروراوى وكذلك كل ما كان فى آخره ألف التأنيث الممدودة فاعلم ولكنه نسب الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحرورى وقال الصَّلتان العبدى فى كلمة له

أرى أمة شهرت سيفها   وقد زيد فى سوطها الأصبحى
بنجدية وحرورية   وأزرق يدعو الى أزرق
فملتنا أننا المسلمون   على دين صدّيقنا والنبى

وفى هذا الشعر مما يستحسن قوله .

أشاب الصغير وأفنى الكبير   كر الغداة ومر العشى
اذا ليلة هرّمت يومها   أتى بعد ذلك يوم فتى

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقى

قوله وقد زيد فى سوطها الأصبحى فانه تسمى هذه السياط التى يعاقب بها السلطان الأصبحية وتنسب الى ذى أصبح الحميرى وكان ملكا من ملوك حمير وهو أول من اتخذها وهو جد مالك بن انس الفقيه رضى الله عنه قال الراعى يخاطب عبد الملك

أخذوا العريف فقطعوا حيزومه بالأصبحية قائما مغلولا

والنجدية تنسب الى نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفى وكان رأسا ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج وقوله وازرق يدعو الى ازرق فانه يريد من كان من أصحاب نافع بن الازرق الحنفى (١) أما قوله على دين صديقنا والنبى فالعرب تفعل هذا وهو فى الواو جائز أن تبدأ بالشىء وغيره المقدم عليه قال الله عز اسمه (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) وقال (يا معشر الجن والانس) وقال (اسجدى واركعى مع الراكعين) وقال حسان بن ثابت

بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير

ومن كلام العرب ربيعة ومضر . وقيس وخندف . وسليم وعامر

٣ رجع القول الى من بقى من القوم بحروراء قال فلم تزل تلك البقية بها يصلى بهم ابن الكواء ويرأسهم شبث بن ربعى الى أن بايعوا معدان الايادى حتى اذا قال معدان :

سلام على من بايع الله شاريا وليس على الحزب المقيم سلام

ثت منه الصفرية وقالوا له خانفت برئت من القعد (٢) وخلعوه قال أبو العباس والخوارج فى جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة وحدثت أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل فى رفقة فأحسوا الخوارج فقال واصل لأهل

---

(١) وهم أشد الخوارج شكيمة وسيأتى الكلام مفصلا عليهم عند انقسام الخوارج الى فرقهم الاربع بعد . السباعى (٢) القعد فئة من الخوارج كانت لا ترى فى القعود عن قتال أئمة الجور كفرا ولا ن الاقامة بينهم بأسا . السباعى

الرفقة ان هـذا ليس من شأنـكم فاعتزلوا ودعوني واياهم قال وكانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنك نخرج اليهم فقالوا ما أنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فابلغونا مأمننا فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن. ولما خلعوا معدان لم يختلفوا في اجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي من الازد وعزموا على البيعة له فتكره ذلك وامتنع عليهم وأومأ الى غيره فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استبيتوا الرأى أى دعوه يغب وكان يقول نعوذ بالله من الرأى الدبرى فلما تمت لهم بيعته مضوا الى النهروان (١) وكانوا أرادوا المضى الى المدائن قال فكان من أخبارهم أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصرانى فقالوا احفظوا ذمة نبيكم ووثب رجل منهم على رطبة فوضعها فى فيه فصاحوا به فلفظها تورعاً . وعرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله فقالوا هذا فساد فى الأرض . ولقيهم عبد الله بن خباب وفى عنقه مصحف ومعه امرأته وهى حامل فقالوا ان هذا الذى فى عنقك ليأمرنا أن نقتلك قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه وما علىَّ منكم بأس انى لمسلم فقالوا له حدثنا عن أبيك قال سمعت أبى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمناً ويصبح كافراً فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول فى أبى بكر وعمر فأثنى خيراً قالوا فما تقول فى علىّ قبل التحكيم وفى عثمان ست سنين فأثنى خيراً قالوا فما تقول فى الحكومة والتحكيم قال أقول ان علياً أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة قالوا انك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على اسمائها ثم قربوه الى

(١) قال الأخفش كذا كان يقول المبرد النهروان بكسر النون والراء وانما هو النهروان بفتحهما وأنشد للطرماح * قلت فى شط نهروان * قاله القاضى

شاطىء النهر فذبحوه فامذ قرَّ دمه أى جرى مستطيلا على دقة . وساوموا رجلا نصرانياً بنخلة له فقال هى لكم فقالوا ما كنا لنأخذها الا بثمن قال فما أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منى جنى نخلة . فهذا طرف من أعمالهم وهي لاشك تذهب بهم الى حيث قال على رضى الله عنه وقد تلى بحضرته (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) فقال أهل حروراء منهم (قال أبو العباس) قول عبد الله بن وهب استبيتوا الرأى يقول دعوا رأيكم تأت عليه ليلة ثم تعقبوه يقال بيت فلان كذا وكذا اذا فعله ليلا وفى القرآن (إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) أى يديرون ذلك ليلا بينهم وأنشد أبو عبيدة

أتوني فلم أرض ما بيتوا وكانوا أتونى بأمر نكر
لأنكح أيمهم منذرا وهل ينكح العبد حر لحر

والرأى الدبرى الذى يعرض من بعد وقوع الشىء كما قال جرير

ولا يعرفون الشىء حتى يصيبهم ولا يعرفون الامر الا تدبرا

٤ ولما استقر القوم بالنهروان بعد أن قتلوا عبد الله بن خباب فى طريقهم سار اليهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر امره ولم يشهد الحرب فقال لهم على ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله وشرك فى دمه ثم خرج منهم رجل فحمل على صف على وقد قال على لا تبدءوهم بقتال فقتل من أصحاب على ثلاثة وهو يقول

أقتلهم ولا أرى عليا ولو بدا أوجرته خطيا

فخرج اليه على صلوات الله عليه فقتله فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة الى الجنة فقال عبد الله بن وهب ما أدرى أ الى الجنة أم الى النار فقال رجل من سعد انما حضرت اغترارا بهذا وأراه قد شك فانخزل بجماعة من أصحابه ومال الف الى ناحية ابى أيوب الانصارى وكان رحمه الله على ميمنة على وجعل الناس يتسللون فقيل لعلى انهم يريدون الجسر فقال لن يبلغوا النطفة فجعل الناس يقولون له فى ذلك حتى

كادوا يشكون ثم قالوا قد رجعوا يا أمير المؤمنين فقال والله ما كذبت ولا كذبت ثم خرج اليهم فى اصحابه وقد قال لهم والله مايقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة فقتل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية . وكان مقدارمن أصاب منهم فى ذلك اليوم يوم النهروان الفين وثمانمائة فى أصح الأقاويل . ثم ان القوم تجمعوا بالنخيلة وكانوا جماعة ممن فارق عبد الله بن وهب وممن لجأ الى راية أبى ايوب وممن كان قد أقام بالكوفة مسرا أمره يقول لا أقاتل عليا ولا أقاتل معه قال فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتآسفوا على خذلان اصحابهم فقام منهم قائم يقال له المستورد من بنى سعد بن زيد مناة فحمد الله واثنى عليه وصلى على محمد . ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته معلناً مقاله مبلغاً عن ربه ناصحاً لأمته حتى قبضه الله مخيراً مختاراً ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقاتل من ارتد عن دين ربه وذكر أن الله عز وجل قرن الصلاة بالزكاة فرأى ان تعطيل احداهما طعن على الأخرى لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله موفوراً ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل مسوياً بين الناس فى اعطائه لامؤثراً لأقاربه ولا محكماً فى دين ربه وهأنتم تعلمون ماحدث والله يقول (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) قال فكل أجاب وبايع وأمروا عليهم ابن جوين الطائي فوجه اليهم على بن أبى طالب عبد الله بن عباس داعياً فسار اليهم فدعاهم ورفق بهم فأبوا وكان مما قالوا له اذا كان علىّ على حق لم يشكك فيه وحكم مضطراً فما باله حيث ظفر لم يسب فقال لهم ابن عباس قد سمعتم الجواب فى التحكيم فأما قولكم فى السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة فوضعوا أصابعهم فى آذانهم وقالوا أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس فانه طلق ذلق غواص على مواضع الحجة فأمسك عنهم ثم عاد الى على فخرج مسرعا اليهم فقال له عفيف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تخرج فى هذه الساعة فانها ساعة نحس لعدوك عليك فقال له على توكلت على الله وحده وعصيت رأى كل متكهن أنت تزعم انك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان ثم قصد اليهم فطحنهم جميعاً ولم يفلت منهم الا خمسة منهم المستورد وابن جُوَين وفروة بن شريك الأشجعى . واهل النخيلة هم

الذين ذكرهم الحسن البصرى فقال دعاهم الى دين الله . يعنى بالداعى ابن عباس رسول على فجعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا فسار اليهم أبو حسن فطحنهم طحناً . وفيهم يقول عمران بن حطان (١)

انى أدين بما دان الشراة به   يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميرى يعارض هذا المذهب

انى أدين بما دان الوصى به   يوم النخيلة من قتل المحلينا
وبالذى دان يوم النهر دنت به   وشاركت كفه كفى بصفينا
تلك الدماء معاً يارب فى عنقى   ومثلها فاسقنى آمين آمينا

٥ دارت الدائرة على القوم يوم النخيلة كما دارت عليهم يوم النهروان فخرجت طائفة منهم نحو مكة وكان الحجاز قد وقع فى قبضة معاوية فوجه من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية فوجه اليهم بسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلى بالناس رجل من بنى شيبة لئلا يفوت الناس الحج ولما انقضى الحج نظر الخوارج فى أمرهم فقالوا ان علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الامة فلو قتلناهما لعاد الامر الى حقه وقال رجل من أشجع والله ما عمرو دونهما وانه لأصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا اقتل عليا فقالوا وكيف به قال أغتاله وقال الحجاج بن عبدالله الصريمى وهو البرك وأنا اقتل معاوية وقال زاذويه مولى بنى العنبر بن عمرو بن تميم وأنا اقتل عمرا وقد ذكروا أن القاصد الى معاوية يزيد بن ملجم والقاصد الى عمرو آخر من بنى ملجم وان أباهم نهاهم فلما عصوه قال استعدوا للموت وأن أمهم حضتهم على ذلك والخبر الصحيح ما ذكرت لك أول مرة فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم فى ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة فخرج كل واحد منهم الى ناحية صاحبه فأتى ابن ملجم الكوفة فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأى الخوارج والأحاديث تختلف وانما يؤثر صحيحها.

(١) رأس من رءوس الخوارج سيأتى القول عليه . السباعى

فيروى فى بعض الاحاديث أنها قالت لا أقنع منك الا بصداق أسميه لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبـد وأمة وأن تقتل عليا فقال لها لك ما سألت فـكيف لى به قالت تروم ذلك غيلة فان سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع اهلك وان أصبت صرت الى الجنة ونعيم لا يزول فانعم بها . وفى ذلك يقول

ثلاثة آلاف وعبـد وقينة   وضرب على بالحسام المسمم

فلا مهر أغلى من على وان غلا   ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فأقام ابن ملجم فيقال ان امرأته قطام لامته وقالت ألا تمضى لما قصدت لشدما أحببت اهلك فقال انى قـد وعدت صاحبىً وقتا بعينه وكان هنالك رجل من أشجع يقال له شبيب فواطأه عبدالرحمن . ويروى ان الأشعث نظر الى عبدالرحمن متقلداً سيفاً فى بنى كـندة فقال يا عبد الرحمن أرنى سـيفك فأراه فرأى سيفاً حديداً فقال ما تقلدك السيف وليس بأوان حرب فقال انى أردت أن أنحر به جزور القرية فركب الأشعث بغلته وأتى عليا صلوات الله عليه فخبره وقال له قد عرفت بسالة ابن ملجم وفتـكه فقال على ما قتلنى بعد . ويروى أن عليا رضوان الله عليه كان يخطب مرة ويذكر اصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقولَ والله لأريحنهم منك فلما انصرف على صلوات الله عليه الى بيته أتى به ملبباً فأشرف عليهم فقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا فقال ماقتلنى بعد فخلوا عنه . ويروى انه أتى به وقيل له انا سمعنا من هذا كـلاماً فلا نأمن قتله لك فقال ما أصنع به ثم قال .

اشدد حيازيمك للموت   فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت   اذا حـل بواديكا

والشعر انما يصح بان تحذف اشدد فتقول

حيازيمك للموت   فان الموت لاقيكا

ولـكن الفصحاء من العرب يريدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ويحذفون منـه ما يريدون علماً بان المخاطب يعلمه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد اضمر اشدد فاظهره ولم يعتد به قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال فصحاء

العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا　　　أحب الينا منك يافرس حمر

وانما الشعر لعمرى لسعد بن الضباب اذا غدا . ويروى أن عليا كان يتمثل اذا رأى ابن ملجم ببيت عمرو بن معد يكرب فى قيس بن مكشوح المرادى والمكشوح هبيرة وانما سمى بذلك لانه ضرب على كشحه

أريد حباءه ويريد قتلى　　　عذيرك من خليلك من مراد

فينتفى من ذلك حتى أكثر عليه فقال له ان قضى شيء كان فقيل لعلى كأنك قد عرفته وعرفت مايريدبك أفلاتقتله فقال كيف اقتل قاتلى . ويروى من حديث محمد ابن كعب القرظى قال قال عمار بن ياسر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنامنزلا فخرجت أنا وعلى بن أبى طالب صلوات الله عليه ننظر الى قوم يعتملون فنعسنا فنمنا فسفت علينا الريح التراب فما نبهنا الا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعلى ياأبا تراب لما عليه من التراب أتعلم من أشقى الناس فقال خبرنى يا رسول الله فقال أشقى الناس اثنان أحمر ثمود الذى عقر الناقة وأشقاها الذى يخضب هذه ووضع يده على لحيته على من هذا ووضع يده على قرنه . ويروى عن عياض بن خليفة الخزاعى قال تلقانى على صلوات الله عليه فى الغلس فقال من أنت قلت عياض بن خليفة الخزاعى فقال ظننتك أشقاها الذى يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته ثم على قرنه * وروى عن على صلوات الله عليه أنه خرج فى غداة يوقظ الناس للصلاة فى المسجد فمر بجماعة تتحدث فسلم وسلموا عليه فقال وقبض على لحيته ظننت أن فيكم أشقاها الذى يخضب هذه من هذا وأومأ بيده الى هامته ولحيته . ويروى انه كان يقول كثيراً قال أبوالعباس أحسبه عند الضجر بأصحابه ما يمنع أشقاها ان يخضب هذه من هذا . قال فلما كان ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن ملجم وشبيب الأشجعى فاعتورا الباب الذى يدخل منه على رضى الله عنه وكان مغلساً ويوقظ الناس للصلاة فخرج كما كان يفعل فضربه شبيب فأخطأه وأصاب سيفه الباب وضربه ابن ملجم على صلعته فقال على فزت ورب الكعبة

شأنكم بالرجل فيروى عن بعض من كان بالمسجد من الأنصار قال سمعت كلمة على ورأيت بريق السيف فأما شبيب فانتزع السيف منه رجل من حضر موت وصرعه وقعد على صدره وكثر الناس فجعلوا يصيحون عليكم صاحب السيف فخاف الحضرمى ان يكبوا عليه ولا يسمعوا عذره فرمى بالسيف وانسل شبيب بين الناس وأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقاه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض وكان المغيرة أيداً فقعد على صدره ثم أدخل على علىّ رضوان الله عليه فأومر فيه فاختلف الناس فى جوابه فقال قوم قال ان أعش فالأمر الىَّ وان أصب فالأمر لكم فان آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة وأن تعفو أقرب للتقوى وقال آخرون بل قال وان أصبت فاضربوه ضربة فى مقتله ثم نقل على الىّ منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شىء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فانى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمراً دونهما. ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيراً فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه

ويروى عن رجل من ثقيف أنه قال خرج الناس يعلفون دوابهم بالمدائن وأراد علىّ المسير الى الشأم فوجه معقل بن قيس الرياحى ليرجعهم اليه قال وكان ابن عم لى فى آخر من خرج فأتيت الحسن بن على عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لى فى كتاب أمير المؤمنين الى معقل بن قيس فى الترفيه عن ابن عمى فانه فى آخر من خرج فقال تغدو علينا والكتاب مختوم ان شاء الله فبت ليلتى ثم أصبحت والناس يقولون قتل أمير المؤمنين الليلة فأتيت الحسن واذا به فى دار على عليه السلام فقال لولا ما حدث لقضينا حاجتك ثم قال حدثنى أبى عليه السلام البارحة فى هذا المسجد فقال يا بنى انى صليت ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة

أصحابى وقلة رغبتهم فى الجهاد فقال ادع الله أن يريحك فدعوت الله قال الحسن ثم خرج الى الصلاة فكان ما قد علمت * ويروى ان ابن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث بن قيس بن معد يكرب وان حجر بن عدى سمع الأشعث يقول له فضحك الصبح فلما قتل أمير المؤمنين بعد قال حجر للأشعث أنت قتلته يا أعور ويروى أن الذى سمع ذاك عفيف بن قيس أخو الأشعث وانه قال له عن أمرك كان هذا يا أعور وأما الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك فانه ضرب معاوية مصلياً فأصاب مأكمته وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرقاً يقال له عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد ولما أخذ قال الامان والبشارة قتل على فى هذه الصبيحة فاستؤنى به حتى جاء الخبر فقطع معاوية يده ورجله وقيل يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك ما تأويل المقصورة فقال يخافون أن يبهظهم الناس ثم ان البرك أقام بالبصرة فبلغ زيادا انه قد ولد له فقال أيولد له ولا يولد لأمير المؤمنين ثم قتله . أما زاذويه فانه أرصد لعمرو وقد اشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة وهو رجل من بنى سهم بن عمرو بن رهيص رهط عمرو بن العاص فضربه زاذويه فقتله فلما دخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالامرة قال أو ما قتلت عمرا قيل لا انما قتلت خارجة فقال .أردت عمرا وأراد الله خارجة «رجع» ثم ان علياً أقام بمنزله بعد الضربة يومين ثم قضى كرم الله وجهه فى آخر اليوم الثالث فسمع ابن ملجم الرنة من الدار فقال له من حضر أى عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين فقال أعلى من تبكى أم كلثوم أعلىّ والله لقد اشتريت سيفى بألف درهم وما زلت أعرضه فما يعيبه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد أسقيته السم حتى لفظه ولقد ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ثم دعا الحسن بن على رضي الله عنهما فقال ان لك عندى سراً فقال الحسن رضوان الله عليه أتدرون ما يريد يريد أن يقرب من وجهى فيعض أذنى فيقطعها فقال أما والله لو أمكننى منها لاقتلعتها من أصلها فقال الحسن كلا والله لأضربنك ضربة تؤديك الى النار فقال لو علمت ان هذا فى يديك ما اتخذت الهاً غيرك فقال عبد الله بن جعفر يا أبا

محمد ادفعه الى أشف نفسى منه قال فاختلفوا فى قتله فقال قوم أحمى له ميلين وكحله بهما فجعل يقول انك يا ابن أخى لتكحل عمك بملولين مضاضين وقال قوم بل قطع يديه ورجليه وهو فى ذلك يذكر الله عز وجل ثم عمد الى قطع لسانه فشق ذلك عليه فقيل له لم تجزع من قطع يديك ورجليك ونراك قد جزعت من قطع لسانك فقال نعم أحببت ألا يزال فى بذكر الله رطبا ثم قتله

وكانت فى رثاء على رحمه الله أشعار كثيرة نذكر منها طرفاً

قالت أم العريان .

وكنا قبل مهلكه زمانا ... نرى نجوى رسول الله فينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وأكرمهم ومن ركب السفينا
ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا

وقال أبو زبيد الطائى

ان الكرام على ما كان من خلق ... رهط امرىء خاره للدين مختار
طبٌّ بصير بأضغان الرجال ولم ... يعدل بحبر رسول الله احبار
وقطرة قطرت اذ حان موعدها ... وكل شىء له وقت ومقدار
حتى تنصلها فى مسجد طهُر ... على امام هدى ان معشر جاروا
حمت ليدخل جنات أبو حسن ... وأوجبت بعده لقاتل النار

وقال الكميت بن زيد

والوصىّ الذى أمال التجوبىّ ... به عرش أمة لانهدام
قتلوا يوم ذاك اذ قتلوه ... حكما لا كغابر الحكام
الامام الزكى والفارس المعـ ... ـلم تحت العجاج غير الكهام
راعيا كان مسجحا ففقدنا ... ه وفقد المسيم هُلك السوام

قول ابى زبيد خاره انما هو اختاره وهو فعله واختاره افتعله كما تقول قدر عليه واقتدر عليه وقوله بصير بأضغان الرجال فهى اسرارها ومخبآتها قال الله تبارك وتعالى (فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) والحبر العالم ويروى ان عليا رضوان الله عليه مر بيهودى يسأل مسلماً عن شيء من أمر الدين فقال له

على اسألنى ودع الرجل فقال له يا أمير المؤمنين أنت حبر أى عالم فقال على أن تسأل عالماً أجدى لك وقوله حتّى تنصلها يريد استخرجها وقوله حمت معناه قدرت . أما قول الكميت الوصى فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابن قيس الرقيات

نحن منا النبى أحمد والصدّ — يق منا التقى والحكماء
وعلى وجعفر ذو الجناحيـ — ن هناك الوصى والشهداء

وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية فى خمسة عشر رجلا من أهله فى سجن عارم

تخبر من لاقيت أنك عائذ — بل العائذ المحبوس فى سجن عارم
وصى النبى المصطفى وابن عمه — وفكاك أعناق وقاضى مغارم

أراد ابن وصي النبى والعرب تقيم المضاف اليه فى هذا الباب مقام المضاف كما قال الآخر

صبحن من كاظمة الخص الخرب — يحملن عباس بن عبد المطلب

يريد ابن عباس . وكما قال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك

ورثتم ثياب المجد فهى لبوسكم — عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم

يريد عبد مناف « رجع الى ما كانوا يكثرون فيه » وقال أبو الأسود الدؤلى

أحب محمداً حباً شديداً — وعباسا وحمزة والوصيا
أحبهم لحب الله حتى — أجيء اذا بعثت على هويا
هوى اعطيته منذ استدارت — رحى الاسلام لم يعدل سويا (١)
يقول الارذلون بنو قشير — طوال الدهر ما تنسى عليا
بنو عم النبى وأقربوه — أحب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشداً أصبه — وليس بمخطيء ان كان غيا (٢)

---

(١) السوى والسواء الذى قد سوى الله خلقه لا زمانة به ولا داء وفى القرآن « بشرا سويا » وتقول ساويت ذاك بهذا الأمر أى جعلته مثلا له

(٢) ويروى ولست

وكان بنو قشير عثمانية وكان أبو الأسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم والله لو كان الله يرميني لما اخطأني (١) وقول الكميت غير الكهام فالكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيف كهام وقوله

راعيا كان مسجحا ففقدنا ○ وفقد المسيم هلك السوام

فالمسيم الذى يسيم ابله أو غنمه ترعى وكذلك كل شيء من الماشية فجعل الراعي للناس كصاحب الماشية الذى يسيمها ويسوسها ويصلحها ومتى لم يرجع أمر الناس الى واحد فلا نظام لهم ولا اجتماع لأمورهم قال ابن قيس الرقيات

أيها المشتهى فناء قريش ○ بيد الله عمرها والفناء

ان تودع من البلاد قريش ○ لا يكن بعدهم لحى بقاء

لو تقفى ويترك الناس كانوا ○ غنم الذئب غاب عنها الرعاء

وقال الحميرى يعنى عليا رضوان الله عليه

كان المسيم ولم يكن الا لمن ○ لزم الطريقة واستقام مسيما

النبذة الثانية فى خلافة معاوية وابنه يزيد

١ لما قتل على بن أبى طالب رحمه الله خرجت خوارج واتصل خروجها وانما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف ومن أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مستطرف أو كلام من خطبة معروفة مختارة . فأول من خرج بعد قتل على عليه السلام حوثرة الأسدى فانه كان متنحيا بالبندنيجين فكتب الى حابس الطائى يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير اليه بجمعه فيتعاضدا على مجاهدة معاوية فاجابه فرجعا الى موضع أصحاب النخيلة ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن ابن على صلوات الله عليه بعد ان بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد ابن عبادة ثم خرج الحسن يريد المدينة فوجه اليه معاوية وقد تجاوز فى طريقه

---

(١) كان نقش خاتم أبى الأسود لشدة علويته

ياغالبي حسبك من غالب ○ ارحم على بن أبى طالب

يسأله أن يكون المتولى لمحاربتهم فقال الحسن والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعنى أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم فلما رجع الجواب اليه وجه اليهم جيشاً اكثرهم من أهل الكوفة ثم قال لأبى حوثرة اكفنى أمر ابنك حوثرة فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له يابنى أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن اليه فقال يا أبت أنا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى الى ابنى فرجع الى معاوية فاخبره فقال يا أبا حوثرة عتا هذا جداً فلما نظر حوثرة الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله انتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه واليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت لك فى غيرى مندوحة ولى فى غيرك عنك مذهب ثم حمل على القوم وهو يقول

اكرر على هذى الجموع حوثره فعن قليل ما تنال المغفره

فحمل عليه رجل من طئ فقتله فرأى أثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعاً .

٢ ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة فوجه اليه معقل ابن قيس الرياحى فدعاه المستورد الى المبارزة وقال علام يقتل الناس بينى وبينك فقال له معقل النصف سألت فأقسم عليه اصحابه فقال ما كنت لآبى عليه فخرج اليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتاً ففي ذلك يقول جرير

ومنا فتى الفتيان والبأس معقل ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا

فانه أراد معقل بن قيس الرياحى ورياح ابن يربوع وجرير ابن كليب بن يربوع وقوله ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا يريد المستورد التيمى وهو من تيم ابن عبد مناة ابن أد وتميم ابن مر بن أد . وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يوصى بها وهى محفوظة عنه . كان يقول اذا أفضيت بسرى الى صديقى فأفشاه لم ألمه لانى كنت أولى بحفظه وكان يقول لا تفش الى أحد سراً وان كان مخلصاً الا على جهة المشاورة وكان يقول كن أحرص على حفظ سر صاحبك

منك على حقن دمك وقال العباس بن الأحنف يعاتب من اتهمه بأفشاء سره

تعتبت تطاب ما أستحق ‏ ‏ به الهجر منك ولا تقدر
وماذا يضرك من شهرتى ‏ ‏ اذا كان سرك لايشهر
أمنى تخاف انتشار الحديث ‏ ‏ وحظىَ فى ستره أوفر
ولو لم تكن فىّ بقيا عليك ‏ ‏ نظرت لنفسى كما تنظر

وكان المستورد يقول أول مايدل عليه عائب الناس معرفته بالعيوب ولا يعيب الا معيب قال أبو العباس وأنا احسب أن قول القائل

وأجرأ من رأيت بظهر غيب ‏ ‏ على عيب الرجال ذوو العيوب

انما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد أريد أن أرى رجلا عيابا فقال التمسه بفضل معايب فيه وكان يقول المال غير باق عليك فاشتر من الحمد ما يبقى عليك وكان يقول بذل المال فى حقه استدعاء للمزيد من الجواد وكان يكثر أن يقول لو ملكت الارض بحذافيرها ثم دعيت الى أن استفيد بها خطيئة مافعلت.

٣ ثم خرج قريب بن مرة الأزدى وزحاف الطائى وكانا مجتهدين بالبصرة فى أيام زياد واختلف الناس فى أمورهما أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخاً ناسكا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه وكان يقال له رؤبة الضبعي وتنادى الناس فخرج رجل من بنى قطيفة بن الازد وفى يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية انج بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشرط فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال مرداس بن حدير ذلك فقال قريب لا قربه الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه ركباها عشواء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا حتى مرا ببنى على بن سود من الأزد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمى فرموهم رمياً شديداً فصاحوا يا بنى على البقيا لا رماء بيننا فقال رجل من بنى على

لا شىء للقوم سوى السهام ‏ ‏ مشحوذة فى غلس الظلام

فعرد عنهم الخوارج وخافوا الطلب فاشتقوا مقبرة بنى يشكر حتى نفذوا الى مزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم ثمانون وخرجت اليهم بنو

طاحية بن سود وقبائل من مزينة وغيرها فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم ثم غدا الناس الى زياد فقال ألا ينهى كل قوم سفهاءهم يامعشر الأزد لولا انكم اطفأتم هذه النار لقلت انكم ارتئموها فكانت القبائل اذا أحست بخارجية فيهم شدتهم وأتت بهم زيادا فكان هذا أحد مايذكر من صحة تدبير زياد وله أخرى فى الخوارج حيث أخرجوا معهم امرأة فظفر بها فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء بعد عليه وكن اذا دعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا (١)

٤ ثم خرج عروة بن أدية وأدية جدة له جاهلية وهو عروة بن حدير أحد بنى ربيعة بن حنظلة وكان ممن نجا من حرب النهروان فلم يزل باقياً مدة من خلافة معاوية ثم أتى به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبى بكر وعمر فقال خيرا ثم سأله ماتقول فى أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبى تراب على بن أبى طالب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل فى أمر على مثل ذلك الى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر فسأله عن معاوية فسبه سباً قبيحاً ثم سأله عن نفسه فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك ثم أمر به فضربت عنقه (٢) ثم دعا مولاه فقال صف لى أموره فقال أأطنب أم أختصر فقال بل اختصر فقال ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشاً بليل قط

٥ وممن خرج فى هذا العصر أيضاً أبو بلال مرداس بن حدير أخو عروة المذكور وكان قد شهد صفين مع على وانكر التحكيم وشهد النهروان ونجا فيمن نجا . ومن طريف أخباره أن غيلان بن خرشة الضبى سمر ليلة عند زياد ومعه جماعة فذكر أمر الخوارج فأنحى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل الى منزله فلقيه أبو بلال المذكور فقال له ياغيلان قد بلغنى ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم ما يؤمنك أن يلقاك رجل منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذ حضنيك

---

(١) وستأتى له أخرى من حسن سياسته معهم السباعى

(٢) هذا أحد ماروى فى قتل عروة والصحيح ان القاتل له عبيدالله بن زياد كما سيأتى ذلك بعد فى أخباره مع الخوارج السباعى

برمحه فقال غيلان لن يبلغك أنى ذكرتهم بعد الليلة وكانت الخوارج تعظم مرداسا لاجتهاده وكثرة صوابه فى لفظه وشدة ورعه يروى انه مر باعرابى يهنأ بعيراً له فهرج البعير فسقط مرداس مغشياً عليه فقال الأعرابى انه قد صرع فقرأ فى أذنه فلما أفاق قال له الأعرابى قرأت فى أذنك فقال له مرداس ليس بى ما خفته علىَّ ولكنى رأيت بعيرك هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابنى ما رأيت فقال لا جرم والله لا فارقتك أبداً . ومرداس تنتحله جماعة من أهل الاهواء لتقشفه وبصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه . فتنتحله المعتزلة وتزعم انه خرج منكراً لجور السلطان داعياً الى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الانسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابرهيم عليه السلام اذ يقول « وابراهيم الذى وفىَّ ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصى «قال ذلك» ثم خرج فى عقب هذا اليوم . والشيع تنتحله وتزعم انه كتب الى الحسين بن على صلوات الله عليه انى لست أرى رأى الخوارج وما أنا الا على دين أبيك وهذا رأى قد استهوى جماعة من الاشراف يروى ان المنذر بن الجارود كان يرى رأى الخوارج وكان يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه أيضاً ذكرت الرواة ان الحجاج أتى بامرأة من الخوارج فجعلت لا تنظر اليه فأقبل يزيد بن أبى مسلم مولاه على المرأة فقال انظرى الى الأمير فقالت لا أنظر الى من لا ينظر الله اليه فكلمها الحجاج وهى كالساهية فقال لها يزيد اسمعى ويلك من الأمير فقالت بل الويل لك أيها الكافر الردىّ والردىّ عندهم الذى له عقدهم ويظهر خلافه رغبة فى الدنيا ومثل هذا ماروى من ان صالحاً المذكور لما كان على خراج العراق ايام ولى يزيد بن المهلب اشجى يزيد بن ابى مسلم فكايده بأن أشار على الحجاج ان يأمره بقتل جوّاب الضبى وكان رأساً من رءوس الخوارج وقال يزيد ان فعل برئت منه الخوارج وقتلته وان أمسك قتله

الحجاج قال فقتله وخبرت انه قال والله ما قتلته رغبة فى الحياة ولكنى خفت الحجاج يسبى بناتى وكان يقول انى حين أقتل جوّابا لحريص على الدنيا فلما عذبه عمر بن هبيرة فى خلافة يزيد بن عاتكة رمى به على قُمَامةٍ وهو لمّا به فسُمع يحكم عليها . وحكم مالك بن المنذر بن الجارود وهو بآخر رمق فى سجن هشام ابن عبد الملك وكان عدة من الفقهاء ينسبون الى هـذا الرأى منهم عكرمة مولى ابن العباس وكان يقال ذلك فى مالك بن أنس ويروى الزبيريون ان مالك بن أنس المدينى كان يذكر عثمان وعلياً وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على الثريد الأعفر فأما أبو سعيد الحسن البصرى فانه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم وكان اذا جلس فتمكن فى مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثاً ولعن قتلته ثلاثا ويقول لو لم نلعنهم للعنا ثم يذكر علياً فيقول لم يزل أمير المؤمنين على رحمه الله يتعرفه النصر ويساعده الظفر حتى حكم فلم تحكم والحق معك ألا تمضى قدُماً لا أبالك وأنت على الحق . (قال أبو العباس) وهذه كلمة فيها جفاء والعرب تستعملها عند الحث على أخذ الحق والاغراء وربما استعملتها الجفاة من الأعراب عند المسألة والطلب فيقول القائل للأمير والخليفة انظر فى أمر رعيتك لا أبالك وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الأعراب فى سنة جديبة يقول

رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبالكا

فاخرجه سليمان أحسن مخرج فقال أشهد انه لا أباله ولا ولد ولا صاحبة واشهد ان الخلق جميعاً عباده . وقال رجل من بنى عامر بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة . لبعض قومه

أبنى عقيل لا أبا لأبيكم أبى وأى بنى كلاب أكرم

وقال رجل من طىء أنشده ابو زيد الانصارى

ياقرط قرط حيى لا ابالكم ياقرط انى عليكم خائف حذر

أأن روى مرقش واصطاف اعزه من التلاع التى قد جادها المطر

قلتم له اهج تميما لا ابالكم فى كف عبدكم عن ذاكم قصر

فان بيت تميم ذو سمعت به فيه تنمت وأرست عزها مضر

قوله يا قرط قرط حيي نصبهما معاً على أكثر ألسنة العرب وتأويلهما أنهم أرادوا يا قرط حيي فأقحموا قرطا الثانى توكيداً وكذلك لجرير

يا تيم تيم عدى لا أبا لكم لا يلقينكم فى سوأة عمر

ومثله لعمر بن لجا

يا زيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل عليك فانزل

فان لم ترد التوكيد والتكرير لم يجز الا رفع الأول يا زيدُ زيدَ اليعملات ويا تيم تيم عدى كما تقول يا زيد أخا عمرو على النعت ومثل الأول فى التوكيد يا بؤس للحرب أراد يا بؤس الحرب فأقحم اللام توكيداً لأنها توجب الاضافة وعلى هذا جاء لا أبا لك ولا أبا لزيد ولولا الاضافة لم تثبت الألف فى الأب لأنك تقول رأيت أباك فاذا افردت قلت هذا أب صالح وانما كانت لا أباك كما قال الشاعر

أبالموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباك تخوفينى

وقال آخر :

وقد مات شماخ ومات مزرد وأى كريم لا أباك يخلد

وقوله أأن روى مرقش فرقش رجل وروى استقى لأهله يقال فلان راوية أهله اذا كان يستقى لأهله والتى على البعير والحمار مزادة فاذا كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهى المثلثة واصغر منها السطيحة واصغرهن الطبع وقوله واصطاف اعنزه يريد افتعلت من الصيف أى اصابت البقل فيه والتلعة ما ارتفع من الارض فى مستقر المسيل اذا تجافى السيل عن متنه وجمعه تلاع وقوله ذو سمعت به يريد الذى وكذلك تفعل طىء تجعل ذو فى معنى الذى قال زيد الخيل لبنى فزارة وذكر عامر بن الطفيل فقال * انى أرى فى عامر ذو ترون *

وقال عارمة الطائى

فان لم يغير بعض ماقد فعلتم لأنتحين للعظم ذو أنا عارفه

يريد الذى . ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتماداً لأيثار لغة قومه قال الحسن بن هانىء الحكمى .

حب المدامة ذو سمعت به   لم يبق فى لغيرها فضلا

وقال حبيب بن أوس الطائى

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة   فأنا المقيم قيامة العذال

وقال الحسن بن وهب الحارثي

عللانى بذكرها عللانى   واسقيانى أولا فمن تسقيانى
أنا ذو لم يزل يهون على الند   مان ان عز جانب الندمان
ويكون العزيز فى ساعة الرو   ع بصدق الطعان يوم الطعان

٦ وكان زياد ولى شيبان بن عبد الله الأشعرى صاحب مقبرة بنى شيبان باب عثمان وما يليه ليجد فى طلبهم فأخافهم وهم كثير ولم يزل كذلك حتى أتاه ليلة وهو متكئ بباب داره رجلان منهم فضرباه بأسيافهما فقتلاه وخرج بنون له للاغاثة فقتلوا ثم قتل الناس الرجلين . وأتى زياد بعد ذلك بخارجي فقال اقتلوه متكئاً كما قتل شيبان متكئاً فصاح الخارجى ياعدلاه يهزأ به . وكان زياد يقتل المعلن ويستصلح المسر ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة . روى انه وجه يوماً بجينة بن كبيش الأعرجى الى رجل من بنى سعد يرى رأى الخوارج فجاءه بجينة فأخذه فقال له انى أريد ان أحدث وضوءا للصلاة فدعنى أدخل الى منزلى قال ومن لى بخروجك قال الله عز وجل فتركه فدخل فأحدث وضوءا ثم خرج فأتى به بجينة زياداً فلما مثل بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال قعدت عنى فأنكرت ذلك فذكر الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولا فصدقه بفعلك وكان من قولك ومن قعد عنا لم نهجه فقعدت فأمر له بصلة وكسوة وحملان فخرج الرجل من عنده وتلقاه الناس يسألونه فقال ما كلكم استطيع أن اخبره ولكنى دخلت على رجل لا يملك ضراً ولا نفعاً لنفسه ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فرزق الله منه ما ترون . (ذاك من سياسة زياد مع الخوارج) ومنها انه كان يبعث الى الجماعة منهم فيقول ماأحسب الذى يمنعكم من اتيانى الا الرجلة فيقولون أجل فيحملهم ويقول اغشونى

الآن واسمروا عندي ولقد روى ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال قاتل الله زيادا جمع لهم كما تجمع الذرة وحاطهم كما تحوط الأم البرة وأصلح العراق بأهل العراق وترك اهل الشأم فى شأمهم وجبي العراق مائة الف الف وثمانية عشر الف الف . ومنها انه كان يوليهم فقد بلغه عن رجل يكنى أبا الخير من اهل الباس والنجدة انه يرى رأى الخوارج فدعاه فولاه جندى سابور وما يليها ورزقه اربعة آلاف درهم فى كل شهر وجعل عمالته فى كل سنة مائة الف فكان أبو الخير يقول ما رأيت شيئا خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل والياً حتى أنكر منه زياد شيئاً فتنمر لزياد فحبسه فلم يخرج من حبسه حتى مات

٧ - ولما مات زياد وولى بعده عبيد الله ابنه أطلق كل من كان فى حبسه من الخوارج فخرجوا عنيه فكان بعد ذلك لا يلبثهم يحبسهم تارة ويقتلهم أخرى وا كثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن أحد منهم وكان اذا كلم فى ذلك لج وأبى وقال أقمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع ذكر له رجل من بنى سدوس يقال له خالد بن عباد أو ابن عبادة وكان من نساك الخوارج فوجه اليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثور فكذب عنه وقال هو صهرى وهو فى ضمنى فخلى عنه فلم يزل الرجل يتفقده حتى تغيب فأتى ابن زياد فأخبره فبعث الى خالد بن عباد فأخذ فقال له أين كنت فى غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجور فيتبرءون قال دلنى عليهم قال اذا يسعدوا وتشقى ولم أكن لأروعهم قال فما تقول فى أبى بكر وعمر قال خيراً قال فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية قال ان كانا وليين لله فلست أعاديهما فأراغه مرات فلم يرجع فعزم على قتله وأمر بأخراجه الى رحبة تعرف برحبة الزينبى فجعل الشرط يتفادون من قتله ويروغون عنه توقياً لانه كان شاسفاً عليه أثر العبادة حتى أتى المثلم بن مسروح الباهلى وكان من الشرط فتقدم فقتله فأتمر به الخوارج ليقتلوه وكان مغرماً باللقاح يتتبعها فيشتريها من مظانها وهم فى تفقده فدسوا اليه رجلا فى هيئة الفتيان عليه ردع زعفران فلقيه بالمربد وهو يسأل عن لقحة صفى فقال له الفتى ان كنت تبلغ فعندى ما يغنيك

عن غـيره فامض معى فمضى المثلم على فرسه والفتى أمامه حتى أتى به بنى سعد فدخل داراً وقال له ادخل على فرسك فلما دخـل وتوغل فى الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمى فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه ودفناه فى ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه فى الليل فأصيب من الغد فى المربد وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا به بنى سدوس فاستعدوا عليهم السلطان وجعـل السدوسيون يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات ولم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس بن حدير على ابن زياد كما سيأتى بعد وفى قتل المثلم يقول أبو الاسود الدؤلى

آليت لا أغـدو الى رب لقحة　　أساومه حتى يعود المثلم

وكان مما يذكر فى خروج أبى بلال مرداس عـلى ابن زياد ان غيـلان بن خرشة الضبى لقيه يوماً فقال يا أبا بلال انى سمعت الأمير البارحة يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ والبلجاء امرأة من بنى حرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم من رهط سجاح المتنبئة وكانت من المجتهدات من الخوارج ولو قلت من المجتهدين وأنت تعنى امرأة لـكان أفصح لأنك تريد رجالا ونساء هى احداهم كما قال الله عز وجـل (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وقال جل ثناؤه الا عجوزا فى الغابرين قال فمضى اليها أبو بلال فقال لها ان الله قد وسع على المؤمنين فى التقية فاستترى فان هـذا المسرف على نفسـه الجبار العنيد قـد ذكرك قالت ان يأخـذني فهو أشقى بى فأما أنا فما أحب أن يعنت انسان بسببى فوجه اليها عبيـد الله بن زياد فأتى بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها فى السوق فمر أبو بلال والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا البلجاء فعرج اليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسـه لهذه أطيب نفساً عن بقية الدنيا منك يا مرداس ثم ان عبيـد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداساً فرأى صاحب السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له انى أرى لك مذهباً حسناً وانى لأحب ان أوليك معروفا أفرأيت ان تركتك تنصرف ليلا الى بيتك أتدلج

الىّ قال نعم فكان يفعل ذلك فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من الشرط فقال ابن زياد والله ما أدرى ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله لأقتلن من فى حبسى منهم وبلغ الخبر مرداساً وهو خارج السجن كعادته فتهيأ للرجوع سحراً فقال له أهله اتق الله فى نفسك فانك ان رجعت قتلت فقال ما كنت لأتقى الله غادراً ثم رجع الى السجان فقال انى قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال أعلمت ورجعت قال نعم فتركه السجان طليقاً وأعقب ذلك ما سيأتى من أخباره .

٩ لما خرج مرداس من حبس ابن زياد ورأى جده فى طلب الشراة عزم على الخروج فقال لأصحابه انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لأعظم ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفاً ولا نقاتل الامن قاتلنا فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمى فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثاً فأبى فولوا أمرهم مرداساً فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الأنصارى وكان له صديقاً فقال له اين تريد قال أريد أن أهرب بدينى وأديان أصحابى من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم أحد قال لا قال فارجع قال أوتخاف علىّ مكروها قال نعم وأن يؤتى بك قال فلا تخف فانى لا أجرد سيفاً ولا أخيف أحدا ولا اقاتل الا من قاتلنى ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رام هرمز وأرجان فمر به مال يحمل لابن زياد وقد قارب أصحابه الأربعين فحط ذلك المال فأخذ منه عطاءه واعطيات أصحابه ورد الباقى على الرسل وقال قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام تدع الباقى فقال انهم يقسمون هذا الفىء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم . ولأبى بلال أشعار كثيرة فى الخروج منها قوله .

أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء اوأرجى سلامة وقد قتلوا زين بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتى وبصيرتى وهب لى التقى حتى ألاقى أولئكا

قال أبو العباس قوله وقد قتلوا ولم يذكر أحدا فانما فعل ذلك لعلم الناس انه يعنى مخالفيه وانما يحتاج الضمير الى ذكر قبله ليعرف فلو قال رجل ضربه لم يجز لأنه لم يذكر أحداً قبل ذكره الهاء ولو رأيت قوماً يلتمسون الهلال فقال قوم هذا هو لم يحتج الى تقدمة الذكر لأن المطلوب معلوم وعلى هذا قال علقمة ابن عبدة فى افتتاح قصيده

هل ماعلمت وما استودعت مكتوم أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

لأنه قد علم انه يريد حبيبة له وأما قوله حتى ألاقى ولم يحرك الياء فهذا مما يجوز الركون اليه فى الشعر محافظة على ضبط الوزن .

١٠ وممن لقى ابا بلال فى خروجه هذا غير ابن رباح رجل من أصحاب ابن زياد قال خرجنا فى جيش نريد خراسان فمررنا بآسك فاذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد دخلنا زربا فوقف أخى ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام وقال لأخى أجئتم لقتالنا فقال له لا انما نريد خراسان قال فأبلغوا من لقيكم انا لم نخرج لنفسد فى الأرض ولا لنروع أحدا ولكن هربا من الظلم ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفىء الا اعطياتنا ثم قال اندب الينا أحد قلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابى قال فمتى ترونه يصل الينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وكان عبيد الله قد جهز أسلم بن زرعة فى أسرع وقت ووجهه اليهم فى الفين وقد تتام أصحاب مرداس أربعين رجلا فلما صار اليهم أسلم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فأنا لا نريد قتالا ولا نحتجن فيئا فما الذى تريد قال أريد أن أردكم الى ابن زياد قال مرداس اذا يقتلنا قال وان قتلكم قال تشركه فى دمائنا قال انى أدين بأنه محق وانكم مبطلون فصاح به حريث بن حجل أهو محق وهو يطيع الفجرة وهو أحدهم ويقتل بالظنة ويختص بالفىء ويجور فى الحكم أما علمت أنه قتل بابن سعاد أربعة برءاء وأخذ بالمثلم أربع ديات وأنا أحد قتلته ولقد وضعت فى بطنه دراهم كانت معه وهو فى موضع كذا مدفون ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال وقد

كاد معبد أحد الخوارج يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضباً شديدا وقال ويلك أتمضى فى الفين فتنهزم لحملة أربعين وكان أسلم يقول لأن يذمنى ابن زياد حياً أحب الى من أن يمدحنى ميتاً وكان اذا خرج الى السوق أو مر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك وربما صاحوا به يا معبد خذه حتى شكا ذلك الى ابن زياد فأمر ابن زياد الشرط أن يكفوا الناس عنه ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك من بنى تيم اللات بن ثعلبة فى كلمة له

فلما أصبحوا صلوا وقاموا ... الى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم ... فظل ذوو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم ... سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لما أتاهم . ... بأن القوم ولوا هاربينا
أألفا مؤمن فيما زعمتم ... ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ... ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك ... على الفئة الكثيرة ينصرونا

١١ لما كان لأسلم بن زرعة من الخوارج ما كان ندب ابن زياد الناس لقتالهم فاختار عباد بن اخضر وليس بابن اخضر انما هو عباد بن علقمة المازنى وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه كما غلب على أخيه معبد فوجهه فى أربعة آلاف فنهد لهم ويزعم أهل العلم ان القوم قد كانوا تنحوا عن دارا بجرد من أرض فارس فصار اليهم عباد وكان التقاؤهم فى يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج الى يا عباد فانى أريد أن أحاورك فخرج اليه فقال ما الذى تبغى قال أن آخذ باقفائكم فأردكم الى الأمير عبيد الله بن زياد قال أو غير ذلك قال وما هو قال ان ترجع فانا لا نخيف سبيلا ولا نذعر مسلما ولا نحارب الا من حاربنا ولا نجبى الا ما حمينا فقال له عباد الأمر ما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول أن ترد فئة من المسلمين الى جبار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بد وقدم القعقاع بن عطية الباهلى من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذا قال الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب فأخذ القعقاع أسيراً فأتى به أبو بلال فقال ما أنت قال لست

من أعدائك وانما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع الى عباد فأصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول

أقاتلهم وليس عليّ بعث نشاطا ليس هذا بالنشاط

أكر على الحروريين مهرى لأحملهم على وضح الصراط

فحمل عليه حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمى فأسراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال ولم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة الجمعة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصلاة فاسرع عباد ومن معه والحرورية مبطئون فهم من بين راكع وقائم وساجد فى الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعاً ثم أقبل برءوسهم فصلبت رؤوسهم وكان فيهم غير أبى بلال داود بن شبث وكان ناسكا وحبيبة النصرى من قيس وكان مجتهدا فيروى عن عمران بن حطان أنه قال قال لى حبيبة لما عزمت على الخروج فكرت فى بناتى فقلت فى ذات ليلة لأمسكن عن تفقدهن حتى أنظر فلما كان فى جوف الليل استسقت بنية لى فقالت يا أبت اسقنى فلم أجبها فاعادت فقامت أخية لها أسن منها فسقتها فعلمت ان الله عز وجل غير مضيعهن فأتممت عزمى . وكان فيهم أيضا كهمس وكان من أبر الناس بأمه فقال لها يا أمه لولا مكانك لخرجت فقالت يا بنى قد وهبتك لله

فنى ذلك يقول عيسى بن فاتك الحبطى

ألا فى الله لا فى الناس شالت بداود واخوته الجذوع

مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا تحوم عليهم طير وقوع

اذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان

ياعين بكى لمرداس ومصرعه يارب مرداس اجعلنى كمرداس

تركتنى هائما أبكى لمرزأتى فى منزل موحش من بعد ايناس

انكرت بعدك من قد كنت اعرفه ما الناس بعدك يامرداس بالناس

اما شربت بكأس دار أولها على القرون فذاقوا جرعة الكأس
فكل من لم يذقها شارب عجلا منها بانفاس ورد بعد انفاس

ويقول فى هذا أيضا

لقد زاد الحياة الى بغضا وحبا للخروج أبو بلال
أحاذر ان اموت على فراشى وارجو الموت تحت ذرا العوالى
ولو أنى علمت بأن حتفى كحتف أبى بلال لم أبال
فمن يك همه الدنيا فانى لها والله رب البيت قالى

وهذا خلاف ما قاله أبو خالد القنانى وكان من قعد الخوارج لقطرى بن الفجاءة المازنى وقد قال له قطرى

أبا خالد يا انفر فلست بخالد وما جعل الرحمن عذرا لقاعد
اتزعم ان الخارجى على الهدى وانت مقيم بين لص وجاحد

فكتب اليه أبو خالد

لقد زاد الحياة الى حبا بناتى انهن من الضعاف
أحاذر ان يرين الفقر بعدى وان يشربن رنقا بعد صاف
وان يعرين ان كسى الجوارى فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سومت مهرى وفى الرحمن للضعفاء كاف (١)

١٢ بعد أن عاد عباد بن أخضر الى ابن زياد لبث دهراً فى المصر محموداً موصوفا بما كان منه فى قتل مرداس واصحابه ولم يزل على ذلك حتى ائتمر جماعة من الخوارج ان يفتكوا به فذمر بعضهم بعضاً على ذلك فجلسوا له فى يوم جمعة وقد أقبل على بغلة له وابنه رديفه فقام اليه رجل منهم فقال أسألك عن مسألة قال قل قال أرأيت رجلا قتل رجلا بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان ألولى ذلك المقتول ان يفتك به ان قدر عليه قال بل يرفعه الى السلطان قال ان السلطان لا يعدى عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده قال

---

(١) ابانا من لنا ان غبت عنا وصار الحى بعدك فى اختلاف

أخاف عليه ان فتك به فتك به السلطان قال دع ما تخافه من ناحية السلطان أتلحقه تبعة فيما بينه وبين الله قال لا قال فحكم هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم ورمى عباد ابنه فنجا وتنادى الناس قتل عباد فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطريق وكان مقتل عباد فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كليب فجاء معبد بن أخضر أخوه فى جماعة من بنى مازن فصاحوا بالناس دعونا وثأرنا فأحجم الناس وتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعاً لم يفلت منهم أحد الا عبيدة ابن هلال فانه خرق حصناً ونفذ منه ففى ذلك يقول الفرزدق .

لقد أدرك الأوتار غير ذميمة   اذا ذم طلاب الترات الأخاضر

هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر   فنالوا التى ما فوقها نال ثائر

أقادوا به أسدا لها فى اقتحامها   اذا برزت نحو الحروب بصائر

ثم ذكر بنى كليب لأنه قتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه فقال

كفعل كليب اذ أخات بجارها   ونصر الائيم معتم وهو حاضر

وما لكليب حين تذكر أول   وما لكليب حين تذكر آخر

وقال معبد بن أخضر فى هذا أيضاً .

ساحمي دماء الأخضريين انه   ابى الناس الا ان يقولوا ابن أخضرا

١٣ لما فتك الخوارج بعباد كما سبق كتب عبيد الله بن زياد الى عبيد الله ابن أبى بكرة وكان خليفته على البصرة يأمره ألا يدع أحداً يعرف بهذا الرأى الا حبسه وجد فى طلبه فجعل ابن أبى بكرة يتتبعهم فيأخذهم فاذا شفع اليه فى أحد منهم كفله الى أن يقدم ابن زياد حتى أتى بعروة بن أدية فأطلقه وقال أنا كفيلك فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من فى السجن منهم فقتلهم جميعاً وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم فكل من جاء بصاحبه أطلق وقتل الخارجى ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله ثم قال لعبيد الله بن أبى بكرة هات عروة بن أدية قال لا أقدر عليه قال اذاً والله أقتلك فانك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دل عليه فى سرب العلاء بن سوية المنقرى فكتب بذلك الى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه الكاتب انا أصبناه فى شرب العلاء بن سوية فتهانف به عبيد الله بن زياد وقال

صحفت والله ولؤمت انما هو فى سرب العلاء بن سوية ولوددت انه كان ممن يشرب النبيذ فلما أقيم عروة بين يديه حاوره وقد اختلف الناس فى خبره وأصحه عندنا انه قال له جهزت أخاك علىّ فقال والله لقد كنت به ضنينا وكان لى عزاً ولقد أردت له ما أريد لنفسى فعزم عزماً فمضى عليه وما أحب لنفسى الا المقام وترك الخروج قال له أفأنت على رأيه قال كلنا يعبد رباً واحداً قال أما لأمثلن بك فاختر لنفسك من القصاص ماشئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال كيف ترى قال أفسدت علىّ دنياى وأفسدت عليك آخرتك ثم أمر به فقتل ثم صلب على باب داره ثم دعا مولاه فسأله عنه فاجاب جواباًمضى ذكره (١)

قوله فتهانف به حقيقته تضاحك به ضحك هزؤ قال ابن أبي ربيعة المخزومى

ولقد قالت لجارات لها ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتنى تبصرننى عمركن الله أم لا يقتصد
فتهاتفن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تود
حسد حملنه من أجلها وقديما كان فى الناس الحسد

وكان كثير المحاورة عاشقاً للكلام الجيد مستحسنا للصواب منه لا يزال يبحث عن عذره فاذا سمع الكلمة الجيدة عرج عليها ويروى انه قال فى عقب مقتل الحسين بن على عليه السلام لزينب بنت على رحمها الله تعالى وكانت أسن من حمل منهن وقد كلمته فافصحت وابلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها ان تكونى بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيباً شاعراً فقالت ما للنساء والشعر . وكان مع هذا ألكن يرتضخ لغة فارسية وقال لرجل مرة واتهمه برأى الخوارج أحرورى منذ اليوم

النبذة الثالثة فى خلافة ابن الزبير

١ الى ما ذكرنا من أخبار الخوارج وادعى عبد الله بن الزبير الخلافة بالحجاز فوجه اليه يزيد بن معاوية جيشا من أهل الشام تحت قيادة مسلم بن عقبة وكانت من ذلك وقعة الحرة بالمدينة فقال جماعة من الخوارج منهم نجدة

(١) فى خبره مع زياد . السباعى

ابن عامر الحنفى سينصرف هذا (يعنون مسلم بن عقبة) عن المدينة الى مكة ويجب علينا ان نمنع حرم الله منه ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فمضوا لذلك فكان أول أمرهم ان أبا الوازع الراسبي وكان من مجتهدى الخوارج كان يذم نفسه ويلومها على القعود وكان شاعراً وكان يفعل ذلك باصحابه فأتى نافع ابن الأزرق وهو فى جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فقال له أبو الوازع يا نافع لقد اعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان للسانك أتحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه فقال الى ان نجمع من أصحابك من تنكى به عدوك فقال أبو الوازع

لسانك لا تنكى به القوم انما　　تنال بكفيك النجاة من الكرب
فجاهد أناساً حاربوا الله واصطبر　　عسى الله ان يخزى غوى بنى حرب

ثم قال والله لا ألومك ونفسي ألوم ولأغدون غدوة لاانثنى بعدها أبداً ثم مضى فاشترى سيفاً وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم فشاوره فى السيف فحمده فقال اشحذه فشحذه حتى اذا رضيه حكم وخبط به الصيقل وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى أتي مقبرة بنى يشكر فدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر خوفاً من ان تجعل الخوارج قبره مهاجراً فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا وخرجوا وخرج فى ذلك جماعة منهم عيسى بن فاتك الحبطى من تيم اللات بن ثعلبة ومقتله بعد خروج الازارقة فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة وكان الذى جمعهم رجاء النميرى فلما صاروا جميعاً الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم فأظهر انه على رأيهم وسمح لهم فى القول وفى ذلك يقول قيس بن همام من رهط الفرزدق

يا بن الزبير أتهوى عصبة قتلوا　　ظلماً أباك ولما تنزع الشكك
ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية　　ما اعظم الحرمة العظمي التي انتهكوا

فقال ابن الزبير لو شايعنى الترك والديلم على قتال أهل الشأم لشايعتها فلما

اتاهم مسلم بن عقبة واهل الشأم دافعوهم الى ان اتى موت يزيد بن معاوية فوضعت الحرب وكان اهل الشأم قد ملوا حصار ابن الزبير مع الحصين بن نمير لما كان من حنق الخوارج فى قتالهم ثم ارتحل اهل الشأم عن الحجاز وفى هذا يقول رجل من قضاعة

ياصاحبيّ ارتحلا ثم املسا لا تحبسا لدى الحصين محبسا
ان لدى الاركان ناسا بؤسا وبارقات يختلسن الأنفسا (١)
اذا الفتى حكم يوماً كلسا

قال ابو العباس الشكك جمع شكة وهى السلاح قال الشاعر

ومدججا يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب

وقوله ثم املسا يريد تخلصا تخلصا سهلا وكلس اى حمل وجد

٢ لما ارتحل اهل الشأم عن ابن الزبير كانت الخوارج على غير بيعة له فتناظروا فيما بينهم ثم قالوا ندخل اليه فننظر ما عنده فان قدم ابا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلى وكفر اباه وطلحة بايعناه وان تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدى علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل واصحابه متفرقون عنه فقالوا انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على الصواب بايعناك وان كنت على غيره دعوناك الى الحق ما تقول فى الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول فى عثمان الذى أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لأهل مصر شيئا وكتب بخلافه وأوطأ آل أبى معيط رقاب الناس وآثرهم بفىء المسلمين وفى الذى بعده الذى حكم فى دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفى ابيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من اعراض الدنيا وأخرجا عائشة تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها ان يقرن فى بيوتهن وكان لك فى ذلك ما يدعوك الى التوبة فان أنت قلت كما نقول فلك الزلفى عند الله والنصر على ايدينا ونسأل الله لك التوفيق وان ابيت الا نصر رأيك الأول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتوالى فى السنين الست التى أحلت دمه ونقضت

---

(١) قال الأخفش حفظى بأسا أبؤساً

أحكامه وأفسدت امامته خذلك الله وانتصر منك بأيدينا فقال ابن الزبير ان الله أمر وله العزة والقدرة فى مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول فقال لموسى ولأخيه صلى الله عليهما فى فرعون قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى فنهى عن سب أبى جهل من أجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول والمقيم على الشرك والجاد فى المحاربة والمتبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنباً وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذى سميتم فيه طلحة وأبى ان تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا فى غمار الناس وان لم يكونا منهم لم تحفظونى بسب أبى وصاحبه وأنتم تعلمون ان الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا وقال جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا وهـذا الذى دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس مقنعكم الا التوقيف والتصريح ولعمرى ان ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه فروحوا الىّ من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله فلما كانوا راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذلكم فجلس على رفع من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان فى السنين الأوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التى أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وخبر انه آوى الحكم بن العاصى باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح وان القوم استعتبوه من أمور وكان له ان يفعل أولا مصيبا ثم أعتبهم بعد محسنا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد ان ضمن لهم العتبى ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف انه لم يكتبه ولم يأمر به وقـد أمر بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الامامة وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذى

لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة الف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليرض فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأنا ولى وليه وعدوّ عدوه وابى وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما قطعت اصبع طلحة سبقته الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذاك يوم كله أوجله لطلحة والزبير حوارىّ رسول الله وصفوته وقد ذكر انهما فى الجنة وقال عز وجل (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وماأخبرنا بعد أنه سخط عليهم فان يكن ما سعوا فيه حقاً فأهل ذلك هم وان يكن زلة ففى عفو الله تمحيصها وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ومهما ذكرتموها به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضى الله عنها فان أبى آب أن تكون له أما نبذ اسم الايمان عنه قال جل ذكره وقوله الحق (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فلما سمع الخوارج ذلك نظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه فتفرقوا فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة فكان فيمن صار الى البصرة نافع بن الأزرق الحنفى وبنو الماحوز السليطيون ورئيسهم حسان ابن بحزج فلما صاروا الى البصرة نظروا فى أمورهم فأمروا عليهم نافعاً .

٣ لما عاد الخوارج عن ابن الزبير الى البصرة كان عبيد الله بن زياد وقد أتاه موت يزيد بن معاوية قد أخذ البيعة لنفسه من أهل البصرة وكان فى السجن يومئذ اربعمائة رجل من الخوارج فكلم فيهم وضعف أمره فأطلقهم فأفسدوا البيعة عليه وفشوا فى السواد يدعون الى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه فاضطرب على عبيد الله أمره فتحول عن دار الامارة الى الأزد ونشبت الحرب بسببه بين الأزد وربيعة وبين بنى تميم فاعتزلهم الخوارج الا نفراً منهم من بنى تميم معهم عبس بن طلق الصريمى أخو كهمس فانهم أعانوا قومهم فكان عبس الطعان فى سعد والرباب فى القلب بحذاء الأزد وكان حارثة بن بدر اليربوعى فى بنى حنظلة فى الميمنة بحذاء بكر بن وائل وكانت عمرو بن تميم فى الميسرة بحذاء عبد القيس وفى ذلك يقول حارثة بن بدر للاحنف وهو صخر بن قيس

سيكفيك عبس أخو كهمس مقارعة الأزد بالمربد
وتكفيك عمرو على رسلها لكيز بن أفصى وما عددوا
واكفيك بكراً اذا أقبلت بضرب يشيب له الأمرد

ولكيز هو عبدالقيس ثم نشب القتال فلما قتل مسعود بن عمرو والمعنى وتكاف الناس عن القتال وتواقفوا بعث اليهم الاحنف بن قيس التميمى يقول يامعشر الازد وربيعة من أهل البصرة انتم والله أحب الينا من تميم الكوفة وانتم جيراننا فى الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالأمس ووطئتم حريمنا وحرمتم علينا مدافعتنا عن أنفسنا ولاحاجة لنا فى الشر ما أصبنا فى الخير مسلكا فتيمموا بنا طريقة قاصدة فوجه اليه زياد بن عمرو تخيرخلة من ثلاث ان شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا وان شئت نخل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك الى حيث شئتم والا فدوا قتلانا وأهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة . فبعث اليه الأحنف سنختار فانصرفوا فى يومكم فهز القوم رايآتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث اليهم الأحنف انكم خيرتمونا خلالا ليس فيها خيار . أما النزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقطر دماً وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز وجل (ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) ولكن الثالثة انما هى حمل على المال فنحن نبطل دماءنا وندى قتلاكم وانما مسعود رجل من المسلمين وقد اذهب الله أمر الجاهلية فاجتمع القوم على ان يقفوا أمر مسعود ويغمد السيف ويودى سائر القتلى من الأزد وربيعة وتضمن ذلك الأحنف ودفع اياس بن قتادة المجاشعى رهينة حتى يؤدى هذا المال فرضى به القوم وبهذا فخر الفرزدق فقال

ومنا الذى أعطى يديه رهينة لغارى معد يوم حرب الجماجم (١)
عشية سال المربدان كلاهما عجاجة موت بالسيوف الصوارم
هنالك لو تبغى كايباً وجدتها أذل من القردان تحت المناسم

ويقال ان تميما فى ذلك الوقت مع باديتها وحلفائها من الأساورة والزط

(١) قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه لغازى معد

والسيابجة وغيرهم كانوا زهاء سبعين الفاً وفى ذلك يقول جرير

سائل ذوى يمن ورهط محرق   والأزد اذ ندبوا لنا مسعودا

فأتاهم سبعون الف مدجج   متسربلين يلامقاً وحديدا

قال الاحنف بن قيس فكثرت علىّ الديات فلم أجدها فى حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين فسألت عن المقصود فأرشدت الى قبة فاذا شيخ جالس بفنائها مؤتزر بشملة محتب بحبل فسلمت عليه وانتسبت له فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت توفى صلوات الله عليه فسأل فما فعل عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب ويحوطها فقلت له مات رحمه الله تعالى قال فأى خير فى حاضرتكم بعدهما قال فذكرت له الديات التى لزمتنا للأزد وربيعة قال فقال لى أقم فاذا راع قد أراح الف بعير فقال خذها ثم أراح عليه آخر مثلها فقال خذها فقلت لا أحتاج اليها قال فانصرفت بالألف عنه ووالله ما أدرى من هو الى الساعة (١)

قول زياد بن عمرو وليود مسعود دية المشعرة فالمشعرة اسم لقتلى الملوك خاصة كانوا يكبرون ان يقولوا قتل فلان فيقولون أشعر فلان من اشعار البدن * ويروى ان رجلا قال حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به صائح ياخليفة رسول الله ثم قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفى دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت فاذا رجل من بنى لهب وهم من بنى نصر من الأزد وهم أزجر العرب كما قال كثير

سألت أخا لهب ليزجر زجرة   وقد صار زجر العالمين الى لهب

قال فلما وقفنا لرمى الجمار اذا حصاة قد صكت صلعة عمر فأدمته فقال قائل أشعِرَ والله أمير المؤمنين لا يقف هذا الموقف ابدا فالتفت فاذا بذلك اللهبى بعينه فقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحول

---

(١) ثم ان الاحنف أدى الديات ووضعت الحرب واستمر ابن زياد بشمال العراق حتى قتله ابن الاشتر على ما سيأتى بعد فى أخبار المختار بن أبى عبيد الثقفى . السباعى

قال أبو العباس وأنشدنى رجل من أصحابنا من بنى سعد قال أنشدنى اعرابى فى قصيدة ذى الرمة .

الا يا اسلمى يا دارمىّ على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

بيتين لم تأت بهما الرواة وهما

رأيت غراباً ساقطاً فوق قضبة من القضب لم ينبت لها ورق نضر

فقلت غراب لاغتراب وقضبة لقضب النوى هذى العيافة والزجر

وقال آخر (١)

وقدماً هاجنى فازددت شوقاً بكاء حمامتين تجاوبان (٢)

تجاوبتا بلحن أعجمى على عودين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى وفى الغرب اغتراب غير دان

وقول الفرزدق تحت المناسم فالمناسم واحدها منسم وهو ظفر البعير فى مقدم الخف وهو من البعير كالسنبك من الفرس وقوله عشية سال المربدان كلاهما يريد المربد وما يليه مما جرى مجراه والعرب تفعل هذا فى الشيئين اذا جريا فى باب مجرى واحداً قال الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر لأنهما قد اجتمعا فى قولك النيران وغلب الاسم المذكر وانما يؤثر فى مثل هذا الخفة وقالوا العمران لأبى بكر وعمر فان قال قائل انما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز قلنا لا لأن أهل الجمل نادوا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أعطنا سنة العمرين وان قال آخر فلم لم يقولوا أبوا بكر وأبو بكر افضلهما فلأن عمر اسم مفرد وانما طلبوا الخفة وأنشدنى التوزى عن ابي عبيدة لجرير .

وما لتغلب ان عدوا مساعيهم نجم يضيء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم والقمران أبو بكر ولا عمر

---

(١) قال أبو الحسن هو جحدر العكلى وكان لصاً

(٢) وقدماً عن أبى الحسن

هكذا أنشدنيه (١) وقال آخر (٢) قدنيَ من نصر الخبيبين قدى .

يريد عبد الله ومصعبا ابنى الزبير وانما أبو خبيب عبد الله وقرأ بعض القراء سلام على الياسين فجمعهم على لفظ الياس ومن ذا قول العرب المسامعة والمهالبة والمناذرة بجمعهم على اسم الأب

٤ لما اعتزل نافع بأصحابه تلك الحرب الناشبة بسبب ضعف ابن زياد أجمعوا على الخروج فمضى بهم نافع الى الأهواز فى سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يهيجون أحداً ويناظرهم الناس ثم طردوا عمال السلطان عنها وجبوا الفيء ولم يزالوا على رأى واحد يتولون أهل النهر ومرداساً ومن خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم الى نافع فقال له ان اطفال المشركين فى النار وان من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وأدللت بنفسك قال ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلنى « قال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفار » فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع انهم جميعاً فى النار ورأى قتلهم وقال الداردار كفر الامن أظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاءٍ فعلينا ان نمتحنه وهم ككفار العرب لا نقبل منهم الا الاسلام أو السيف والقعد بمنزلتهم والتقية لا تحل فان الله تعالى يقول اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وليس منا بكافر فى دار الهجرة الا القاتل رجلامسلماً فان المسلم حجة الله والقاتل قصد لقطع الحجة فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نجدة بن عامر واحتج عليه بقول الله عز وجل الا ان تتقوا منهم تقاة وبقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فالقعد منا والجهاد اذا أمكن أفضل لقول الله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ثم مضى نجدة بأصحابه الى اليمامة وتفرقوا فى البلدان فانحاز اليه جماعة

---

(١) انما قال هكذا أنشدنيه لأن غير التوزى يرويه . والطيبان أبو بكر ولا عمر (٢) هو حميد الأرقط

كانوا قد نفروا عن نافع وبايعوا أبا طالوت سالم بن مطر بالخضارم فكان من نجدة وأصحابه ان لقوا قوماً من الخوارج بالعرمة فقالوا لهم ان نافعاً قد كفر القعد ورأى الاستعراض وقتل الأطفال فانصرفوا مع نجدة أيضاً الى اليمامة (قال أبو العباس) العرمة كالسكرة وجمعها عرم وفى القرآن المجيد فأرسلنا عليهم سيل العرم وقال النابغة الجعدى .

من سبأ الحاضرين مأرب اذ يبنون من سيله العرما

ه ولما صار نجدة باليمامة مع من انضم اليه فى طريقه كتب الى نافع يقول بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان عهدى بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم وللضعيف كالأخ البر لا تأخذك فى الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك أما تذكر قولك لولا انى أعلم ان للامام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين فلما شريت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق فصه وركبت مره تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فلويت فاكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ثم سماهم أحسن الأسماء فقال ماعلى المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال عز ذكره (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقال فى القعد خيراً وفضل من جاهد عليهم ولا تدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه أوما سمعت قول الله عز وجل (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر فجعلهم من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيت ألا تؤدى الأمانة الى من خالفك والله يأمر أن تؤدى الأمانات الى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك واتق يوماً لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً فان الله عز ذكره بالمرصاد وحكمه العدل وقوله الفصل والسلام

ه فكتب اليه نافع . بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتانى كتابك

تعظنى فيه وتذكرنى وتنصح لى وتزجرني وتصف ما كنت عليه من الحق وما كنت أوثره من الصواب وأنا أسأل الله عز وجل ان يجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعتبت على ما دنت به من اكفار القعد وقتل الأطفال واستحلال الأمانة فسأفسر لك لم ذلك ان شاء الله اما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقهوا فى الدين وقرؤا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم اذ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض فقال لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فخبر بتعذيرهم وانهم كذبوا الله ورسوله وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم فانظر الى أسمائهم وسماتهم. وأما أمر الأطفال فان نبى الله نوحاً عليه السلام كان أعلم بالله يانجدة منى ومنك فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل ان يولدوا فكيف كان ذلك فى قوم نوح ولا نكون نقوله فى قومنا والله يقول أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر وهؤلاء كمشركى العرب لا نقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم الا السيف أو الاسلام. واما استحلال امانات من خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق وأموالهم فىء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا والقعود عنا وترك ما نهجناه لك من طريقنا ومقالتنا والسلام على من أقر بالحق وعمل به

٦ وكتب نافع الى عبدالله بن الزبير يدعوه الى أمره فقال أما بعد فانى أحذرك من الله يوم تجد كل نفسك ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين فان الله يقول لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل

ذلك فليس من الله فى شيء وقد حضرت عثمان يوم قتل فلعمرى لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده ولقد علمت ان أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه وكانوا فى أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان وكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول فى دين واحد ولقد ملك على بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى الاحكام مجاريها وأعطى الامور حقائقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعاه ظالمين له وان القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس ان يكن على فى وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً اما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وائمة العدل ولئن كان كافراً كما زعمتم وفى الحكم جائراً لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدواً ولسيرته عائباً فكيف توليته بعد موته فاتق الله فانه يقول ومن يتولهم منكم فانه منهم

٧ وكتب الى من بالبصرة من المحكمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون والله انكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد ندبكم الله الى الجهاد فقال وقاتلوا المشركين كافة ولم يجعل لكم فى التخلف عذرا فى حال من الحال فقال انفروا خفافا وثقالا وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ماينفقون وقد كانت اقامة لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكارة لذتها نافدة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغتراراً وأظهرت حيرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة تسره ولا شارب شربة تؤنقه الا دنا بها درجة الى أجله وتباعد بها مسافة من أمله وانما جعلها الله داراً لمن تزود منها الى النعيم المقيم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حليم فيها قرارا فاتقوا الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى

٨ فورد كتابه عليهم وفيهم يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعى وعبد الله ابن اباض المرى من بنى مرة بن عبيد فأقبل أبو بيهس على ابن اباض فقال ان نافعاً

غلا فكفر وانك قصرت فكفرت تزعم أن من خالفنا ليس بمشرك وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول وتزعم ان مناكحهم ومواريثهم والاقامة فيهم حل طلق وأنا اقول ان أعداءنا كاعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل لنا الاقامة فيهم كما فعل المسلمون فى اقامتهم بمكة واحكام المشركين تجرى فيها وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون الاسلام وأن حكمهم عند الله حكم المشركين وأن الدار دار كفر والاستعراض فيها جائز وان أصيب من الاطفال فلا حرج . هذا والأزارقة لاتكفر أحدا من اهل مقالتها فى دار الهجرة الا القاتل رجلا مسلماً فانهم يقولون المسلم حجة الله والقاتل قصد لقطع الحجة ويروى ان نافعاً مر بمالك بن مسمع فى الحرب التى كانت بين الازد وربيعة وبين بنى تميم ونافع متقلد سيفاً فقام اليه مالك فضرب بيده الى حمالة سيفه وقال ألا تنصرنا فى حربنا هذه فقال لايحل لى قال فما بال مؤمنى بنى تميم ينصرون كفارهم فى هذه الحرب فأمسك عنه وخرج بعد ذلك بأيام الى الاهواز قال أبو العباس فصار الخوارج فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع فى البراءة والاستعراض واستحلال الامانة وقتل الاطفال وقول أبى بيهس وقول ابن اباض وقد ذكرناها وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى لا أحرم مناكحهم ومواريثهم لأن معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول عليه السلام فأرى معهم دعوة المسلمين تجمعهم وأراهم كفارا للنعم .

فقول ابن اباض أقرب الأقاويل الى السنة من أقاويل الضلال وكانت النجدية والصفرية يقولون به فى ذلك الوقت ثم قالت الصفرية الينَ منه فى أمر القعد حتى صار عامتهم قعدا ومن هنا افترقت الخوارج فصارت على اربعة اضرب الأزارقة وهم اصحاب نافع بن الأزرق الحنفى والاباضية وهم اصحاب عبد الله بن اباض المرى ومنهم نجدة بن عامر الحنفى واصحابه . والبيهسية وهم اصحاب أبى بيهس الضبعي . ثم الصفرية وقد اختلف فى تسميتهم فقال قوم سموا بابن صفار وقال آخرون واكثر المتكلمين عليه بل هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم وتصديق ذلك قول ابى عاصم الليثى وكان يرى رأى الخوارج فتركه وصار مرجئاً

فارقت نجدة والذين تزرقوا   وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصفر الاذان الذين تخيروا   دينا بلا ثقة ولا بكتاب

وكانوا قبل على رأى واحد لايختلفون الا فى الشىء الشاذ من الفروع كما قال صخر بن عروة انى كرهت قتال على بن أبي طالب رضى الله عنه لسابقته وقرابته فأما الآن فلا يسعنى الا الخروج وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر فضلالته الخوارج بامتناعه من قتال على . فقوله والصفر الاذان بتخفيف الهمزة كيلا ينكسر الشعر يريد الصفرية وقوله الكذاب يعنى المختار بن عبيد الله الثقفى وسيأتى الكلام عليه فى مقاتلته لعبيد الله بن زياد ومقاتلة مصعب بن الزبير له وقوله وابن الزبير يريد عبد الله لا مصعبا وقوله نجدة يعنى نجدة بن عامر الحنفى وكان رأساً ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج وقد بنى من اهلها قوم كثير وكان نجدة يصلى بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير فى جمعة كل جمعه وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم قال الراعى يخاطب عبد الملك بن مروان

انى حلفت على يمين برة   لا اكذب اليوم الخليفة قيلا
ما ان أتيت أبا خبيب وافداً   يوماً أريد ببيعتى تبديلا
ولا أتيت نجيدة بن عويمر   أبغى الهدى فيزيدنى تضليلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتى   انى أعد له على فضولا
أخذوا العريف فقطعوا حيزومه   بالأصبحية قائما مغلولا

واصحاب نجدة هم الذين عيروا غيرهم من الخوارج وقد أخرجوا معهم امرأتين يقال لاحداهما كحيلة والاخرى قطام فجعلوا يصيحون بهم يا اصحاب كحيلة وقطام يعرضون لهم بالفجور فينادونهم بالدفع والردع ويقول قائلهم لا تقف ما ليس لك به علم وهى آية شهادة الزور يروى عن ابن عباس وقد فسر الزور فى قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) بأعياد المشركين فقيل له أوما هذا فى شهادة الزور فقال لا انما آية شهادة الزور (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وكان ابن مسعود يقارب ابن عباس فيفسر الزور بالغناء أما قوله والذين تزرقوا فانه يعنى اتباع نافع بن الازرق وهم

الإزارقة وقد انتهى امر الخوارج اليهم لانهم ذوو الحد والجد منهم على ماسيأتى بعد من أخبارهم .

ولذكر الصفرية والأزارقة والبيهسية والاباضـية تفسير لم نسب الى ابن الازرق بالازارقة والى ابن بيهس بالـكنية المضاف اليها ونسب الى صفر ولم ينسب الى واحدهم ونسب الى ابن اباض فجعل النسب الى أبيه فاعلم انك اذا نسبت الى علم مضاف فالوجه أن تنسب الى الاسم الاول وذلك قولك فى عبد القيس عبدى وكذلك فى عبد الله بن دارم فان كان الاسم الثانى أشهر من الاول جاز النسب اليه لئلا يقع فى النسب التباس من اسم باسم وذلك قولك فى النسب الى عبـد مناف منافى والى ابى بكر بن كـلاب بكرى وقد يجوز وهو قليل أن تبنى له من الاسمين اسما عـلى مثال الاربعـة لينتظم النسب وذلك قولك فى النسب الى عبد الدار بن قصى عبدرى وفى النسب الى عبد القيس عبقسى فان كان المضاف غـير علم فالنسب الى الثانى على كل حال وذلك قولك فى النسب الى ابن الزبير زبيرى لان ابن الزبير انما صار معرفـة بالزبير وكـذا النسب الى ابن رألان رألانى فلذلك قالوا فى النسب الى ابن الازرق ازرقى والى ابى بيهس بيهسى فأما قولهـم صفرى فانما أرادوا الصفر الالوان فنسـبوا الى الجماعة وحق الجماعة اذا نسب اليها أن يقع النسب الى واحدهما كقولك مهلبي ومسمعى ولـكن جعلوا صفرا اسما للجماعة ثم نسبوا اليه ولم يقولوا أصفرى بالنسب الى واحدها وانما كان ذلك لانهم جعلوا صفرا اسما للجماعة كما تسمى القبلية بالاسم الواحد ألا ترى ان النسب الى الانصار أنصارى لانه كان علما للقبيلة وكذلك مدائنى وتقول فى النسب الى الابناء من بنى سـعد أبناوى لانه اسم للجماعة فأما قولهم الازارقة فهذا باب من النسب آخر وهو أن يسمى كل منهم باسم الأب اذا كانوا اليه ينسبون ونظيره المهالبة والمسامعـة والمناذرة ويقولون جاءنى النميريون والأشـعريون جعل كل واحد منهم نميرا وأشعرا فهذا يتصل فى القبائل على ما ذكرت لك وقد تنسب الجماعة الى الواحد على رأى أودين فيكون له مثـل نسب الولادة كما قالوا ازرقى لمن كان على رأى ابن الازرق كما تقول تميمى وقيسي لمن ولده تميم وقيس

ومن قرأ سلام على الياسين فأنما يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه كما قال قدني من نصر الخبيبين قدى . يريد أبا خبيب ومن معه وقد يجتمع الرجل مع الرجل فى التثنية اذا كان مجازهما واحداً فى اكثر الامر على لفظ أحدهما فمن ذلك قولهم العمران لابى بكر وعمر رضى الله عنهما ومن ذلك قولهم الخبيبان لعبد الله ومصعب وقد مضى تفسيره

٩ كان نافع بن الازرق قبل خروجه شجاعا مقداما بعيد النظر فى الفقه تلوح عليه شارات الخروج لتوغله وتعمقه يروى عن ابى الجلد انه نظر اليه والى بعد نظره وتوغله وتعمقه فقال له انى لأجد لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا للخوارج فاحذر أن تكون منهم قال وكان ينتجع عبد الله بن عباس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع اليه فى تفسيرها فقبله وانتحله ثم غلبت عليه الشقوة بعد ونحن ذاكرون منها صدراً ان شاء الله

حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى النسابة عن اسامة بن زيد عن عكرمة قال رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه (والليل وما وسق) فقال ابن عباس وما جمع فقال أتعرف ذلك العرب قال أو ما سمعت قول الراجز

ان لنا قلائصا حقائقا   مستوسقات لو يجدن سائقا

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذى لا يقدح فيه قادح ويعرض القول فيحتاج المبتدىء الى ان يزداد فى التفسير قوله حقائقا انما بنى الحقة من الأبل وهى التى قد استحقت بأن يحمل عليها على فعيلة مثل حقيقة ولذلك جمعها على فعائل ويقال استوسق القوم اذا اجتمعوا .

وروى أبو عبيدة فى هذا الاسناد وروى ذلك غيره وسمعنا من غير وجه أنه سأله عن قول الله عز وجل (قد جعل ربك تحتك سريا) ما السرى فقال ابن عباس هو الجدول فسأله عن الشاهد فانشده

سلما ترى الدالج منها ازورا   اذا يعج فى السرىّ هرهرا

السلم الدلو الذى له عروة واحدة وهو دلو السقائين وهو الذى ذكره طرفة فقال

لهامرفقان افتلان كأنما أمرا بسلمى دالج متشدد

والدالج الذى يمشى بالدلو بين البئر والحوض وأصحاب الحديث ينشـدون ـلما ترى الدالى منه ازورا . وهذا خطأ لا وجه له .

وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعاً سأل ابن عباس عن قوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) ما الزنيم فقال هو الدعى الملزق أما سمعت قول حسان بن ثابت

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

ويزعم أهل اللغة ان اشتقاق ذلك من الزنمة التى بحلق الشاة كما يقولون لمن دخل فى قوم ليس منهم زَعنفة وللجمع زعانف والزعنفة الجناح من أجنحة السمك (١)

ويروى عن غير أبى عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمه (والتفت الساق بالساق) فقال الشدة بالشدة فسأله عن الشاهد فأنشده

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

قال أبو العباس وقرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التى يهجو فيها آل المهلب بن أبى صفرة ويمدح هـلال بن أحوز المازنى ويذكر الواقعة التى كانت له عليهم بالسند فى سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه فكان منها

أقول لهـا من ليـلة ليس طولها كطول الليالى ليت صبحك نورا

أخاف على نفسى ابن أحوز انه جلا هما فوق الوجوه فأسفرا (٢)

جعلت لقبر للخيار ومالك وقبر عدى فى المقابر أقبرا (٣)

---

(١) قال أبو الحسن الأخفش كذا قال زَعنفة والناس كلهم يقولون زعنفة بكسر الزاى وهو الوجه . والأم زعنفة بالكسر

(٢) قال الشيخ أبو يعقوب الذى رويت فى شعر جرير

حذارا على نفسى ابن احوز انه جلا كل وجه من معد فأسفرا

(٣) قوله عدى يعنى عدى بن ارطاة الفزارى قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله ويزى للخيار وواسط والخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المجاشعى وواسط بها قبر عدى بن ارطاة الفزارى

وأطفأت نيران المزون وأهلها ... وقد حاولوها فتنة ان تسعرا (١)
فلم تبق منهم راية يعرفونها ... ولم تبق من آل المهلب عسكرا
الا رب سامى الطرف من آل مازن ... اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

فهذا نظير ذلك والمزون عمان قال الكميت

فأما الأزد أزد أبي سعيد ... فأكره أن أسميها المزونا

وقال آخر يعنى الحرب

فان شمرت لك عن ساقها ... فويها حذيف ولا تسأم (٢)

ويروى عن أبي عبيدة من غير وجه ان نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فقال أرأيت نبى الله سليمان صلى الله عليه وسلم مع ما خوله الله واعطاه كيف عنى بالهدهد على قلته وضؤولته فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد قناء الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك قال نافع قف ياوقاف كيف يبصر ما تحت الأرض والفخ يعطى له بمقدار أصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس ويحك يا ابن الأزرق أما علمت انه اذا جاء القدر عشي البصر.

ومما سأله عنه أيضاً الاشارة فى قوله تعالى « الم ذلك الكتاب » فقال ابن عباس تأويله هذا القرآن قال أبو العباس هكذا جاء ولا احفظ عليه شاهدا عن ابن عباس وأنا أحسبه انه لم يقبله الا بشاهد وتقديره عند النحويين انهم كانوا وعدوا كتابا هكذا التفسير كما قال الله جل ثناؤه « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » يعنى بذاك اليهود وقال « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » فمعناه هذا الكتاب الذى كنتم تتوقعونه وبيت خفاف بن ندبة لمالك بن حمار وهو سيد بنى شمخ ابن فزادة اذ طعنه فقتله فقال

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا اننى انا ذلكا

على هذا يصح معناه يريد انا ذلك الذى سمعت به هذا تأويل هذا . وقوله

---

(١) المزون عمان بالفارسية (٢) تقول ويها لزيد اذا زجرته عن الشيء فاغريته به وواها له اذا تعجبت منه وحذيف يريد حذيفة فرخمه

يأطر متنه أى يثنى يقال أطرت القوس آطرها أطرا وهى مأطورة (١)

ومما سأله عنه قوله عز وجل« أجر غير ممنون » فقال ابن عباس غير مقطوع قال اتعرف ذلك العرب قال قد عرفه أخو بنى يشكر حيث يقول

وترى خلفهن من سرعة الرجـ ـع منينـا كأنه أهباء

قال أبو العباس منين يعنى الغبار وذلك أنهـا تقطعـه قطعا وراءها والمنين الضعيف المؤذن بانقطاع أنشدنى التوزى عن أبى زيد

يا ريها ان سلمت يمينى وسلم الساقى الذى يلينى

ولم تخنى عقد المنين

يريد الحبل الضعيف فهذا هو المعروف ويقال منين وممنون كقتيل ومقتول وجريح ومجروح وذكر التوزى فى كتاب الاضداد ان المنين يكون القوى يجعله فعيلا من المنة والمعروف هو الأول وقال غير ابن عباس أجر غير ممنون أى لا يمن عليهم فيكدر عندهم .

ويروى من غير وجه ان ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسأله حتى أملّه وجعـل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر بن عبد الله بن أبى ربيعـة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسـلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيئا من شعرك فأنشده

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر
بحاجـة نفس لم تقل فى جوابها فتبلغ عذراً والمقالة تعذر
تهيم الى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر
وأخرى اتت من دون نعم ومثلها نهى ذا النهى لو يرعوى او يفـكر
اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة لهـا كلما لاقيتـه يتنمر
عزيز عليـه أن أمر ببابها مسر لى الشحناء والبغض مظهر

(١) سيأتى تفصيل هـذا الخبر بمراثى الخنساء لأخويها صخر ومعاوية فى الجزء الثانى السباعى

ألكني اليها بالسلام فانه يشهر الماى بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها بمدفع أكنان أهذا المشهر
قفى فانظرى يا اسم هل تعرفينه أهذا المغيرى الذى كان يذكر
أهذا الذى أطريت نعتاً فلم أكن وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقالت نعم لا شك غير لونه سرى الليل يحيى نصه والتهجر
لئن كان أياه لقد حال بعدنا عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشى فيخصر

حتى اتمها وهى ثمانون بيتاً (١) فقال له ابن الأزرق لله أنت يا ابن عباس أنضرب اليك أكباد الأبل نسألك عن الدين فتعرض ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الأزرق أما أنشدك

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ما هكذا قال انما قال . فيضحى وأما بالعشى فيخصر قال أو تحفظ الذى قال قال والله ما سمعتها الا ساعتى هذه ولو شئت ان أردها لرددتها قال فارددها فانشده اياها . وروى الزبيريون أن نافعا قال له ما رأيت أروى منك قط فقال له ابن عباس ما رأيت أروى من عمر ولا أعلم من على وقوله فيضحى يقول يظهر للشمس ويخصر يقول فى البردين فاذا ذكر العشى فقد دل على عقيب العشى قال الله تبارك وتعالى (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) والضح الشمس وليس من ضحيت يقال جاء فلان بالضح والريح يراد به الكثرة قال علقمة

أغر أبرزه للضح راقبه مقلد قضب الريحان مفغوم

له فغمة أى رائحة طيبة يعنى ابريقاً فيه شراب . وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجه الى تبوك جاء أبو خيثمة وكانت له امرأتان وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانه ومهدت له فى ظل فقال أظل ممدود وثمرة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ماهذا بخير فركب

---

(١) سيأتى شطر كبير من اول هذه القصيدة فى باب الغزل انشاء الله . السباعى

ناقته ومضى فى أثره وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر تخلفوا أبو خيثمة أحدهم فجعل لايذكره أحد منهم الا قال دعوه فان يرد الله به خيرا يلحقه بكم فقيل ذات يوم يارسول الله نرى رجلا يرفعه الآل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فكان هو . هذا هو الضح اما اذا انبسطت الشمس فهو الضحى مقصور فاذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاء ممدود مفتوح الأول

١٠ لما تفرقت الخوارج على الأضرب الأربعة التى ذكرنا وكان الازارقة ذوى الحد والجد منهم انتهى الأمر اليهم وأقام نافع بالأهواز يعترض الناس ويقتل الأطفال فاذا أجيب الى المقالة جبى الخراج حتى اذا فشا عماله فى السواد ارتاع لذلك أهل البصرة فاجتمعوا الى الأحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا ليس بيننا وبين العدو الا ليلتان وسيرتهم ما ترى فقال الأحنف ان فعلهم فى مصركم ان ظفروا به كفعلهم فى سوادكم فجدوا فى جهاد عدوكم فاجتمع اليه عشرة آلاف فأتى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو المعروف ببة وكان والياً اذ ذاك عليهم من قبل عبد الله بن الزبير فسأله ان يؤمر عليهم فاختار لهم مسلم بن عبيس بن كريز وكان ديناً شجاعاً فأمره عليهم وشيعه فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال انى ماخرجت لامتيار ذهب ولا فضة وانى لأحارب قوما ان ظفرت بهم فما وراءهم الا سيوفهم ورماحهم فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل فى المعركة ابن عبيس وابن الأزرق وكان ابن عبيس تقدم الى اصحابه فقال ان أصبت فأميركم الربيع ابن عمرو الأجذم الغدانى فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطى فكان الرئيسان من بنى يربوع رئيس المسلمين من بنى غدانة بن يربوع ورئيس الخوارج من بنى سليط بن يربوع فاقتتلوا قتالا شديدا ولم يزل الربيع الأجذم يقاتلهم نيفاً وعشرين يوما

حتى قال يوما أنا مقتول لا محالة قالوا وكيف قال لأني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم غاداهم القتال فقتل فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري فأباها فقيل له ألا ترى ان رؤساء العرب بالحضرة وقد اختاروك من بينهم فقال مشؤومة ما يأخذها أحد الا قتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب والخوارج أعدّ بالآلات والدروع والجواشن فالتقى هو وعمران بن الحارث الراسبي وذلك بعد أن اقتتلوا زهاء شهر فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه .

الله أيد عمرانا وطهره   وكان عمران يدعو الله في السحر
يدعوه سرا واعلاناً ليرزقه   شهادة بيدي ملحادة غُدر
ولى صحابته عن حر ملحمة   وشد عمران كالضرغامة الهصر

ومما قيل من الشعر في يوم دولاب قول قطري

لعمرك اني في الحياة لزاهد   وفي العيش ما لم ألق ام حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها   شفاء لذي بث ولا لسقيم
لعمرك إني يوم ألطم وجهها   على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتني يوم دولاب ابصرت   طعان فتى في الحرب غير ذميم
غداة طفت علماء بكر بن وائل   وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدها   واحلافها من يحصب وسليم
وظلت شيوخ الازد في حومة الوغى   تعوم وظلنا في الجلاد نعومُ
فلم أر يوماً كان اكثر مقعصا   يمج دما من فائظ وكليم
وضاربة خدا كريما على فتى   أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولابٍ ولم تك موطنا   له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا   تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الأله نفوسهم   بجنات عدن عنده ونعيم

وقال آخر من الخوارج في ذلك

شمت ابن بدر والحوادث جمة — والحائرون بنافع بن الازرق
والموت حتم لا محالة واقع — من لا يصبحه نهارا يطرق
فلئن أميرَ المؤمنين أصابه — ريب المنون فمن يصبه يعلق

وقال آخر منهم فى هذا أيضاً

يرى من جاء ينظر من دجيل — شيوخ الأزد طافية لحاها

قول الربيع استشلتنى أى أخذتنى اليها واستنقذتنى يقال استشلاه واشتلاه وفى الحديث (ان السارق اذا قطع سبقته يده الى النار فان تاب استشلاها) وقال رؤبة * ان سليمان اشتلانا ابن على * وقول الناس أشليت كلبى أى أغريته بالصيد خطأ انما يقال آسدته . وأشليته دعوته . وقول أم عمران كالضرغامة الهصر فالضرغامة من أسماء الأسد والهصر الذى يهصر كل شىء أى يثنيه قال امرؤ القيس .

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت — هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

وقولها بيدى ملحادة غدر فلحاد مفعال من الالحاد كما تقول رجل معطاء يا فتى ومحسان ومكرام وأدخلت الهاء للمبالغة فقيل ملحادة كما تدخل فى راوية وعلامة ونسابة وغدر فعل من الغدر وكل اسم على مثال فُعل مصروف فى المعرفة والنكرة اذا كان اسماً أصلياً أو نعتاً فالأسماء نحو صرد ونغر وجعل وكذلك اذا كان جمعا نحو ظلم وغرف وان سميت بشىء من هذا رجلا انصرف فى المعرفة والنكرة وأما النعت فنحو رجل حطم كما قال . قد لفها الليل بسوّاق حطم . وكذلك مال لبد وهو الكثير من قوله جل جلاله (أهلكت مالا لبدا) فان كان الاسم على فعل معدولا عن فاعل لم ينصرف اذا كان اسم رجل فى المعرفة وينصرف فى النكرة وذلك نحو عمر وقثم لأنه معدول عن عامر وهو الاسم الجارى على الفعل فهذا مما معرفته قبل نكرته فاذا أريد به مذهب المعرفة جاز ان تبنيه فى النداء من كل فعل لأن المنادى مشار اليه وذلك قولك يا فسق ويا خبث تريد يا فاسق ويا خبيث وانما قالت بيدى ملحادة غدر فى غير النداء للضرورة فنقلته معرفة من النداء ثم جعلته نكرة لخروجه عن الاشارة فنعتت به ملحادة كما قال الحطيئة

أطوف ما أطوف ثم آوى　　الى بيت قعيدته لكاع

وهذا لا يقع الا فى النداء ولكن للشاعر نقله نكرة ونقله معرفة على حد ما كان له فى النداء فيلحق قولها غدر بقوله رجل حطم ومال لبد وما اشبهه وفعال فى المؤنث بمنزلة فعل فى المذكر ولو سميت رجلا حطما لصرفته من قولك هذا سائق حطم لأنه قد وقع نكرة غير معدول فهو فى النعوت بمنزله صرد فى الاسماء. وقول قطرى ولو شهدتنى يوم دولاب فلم ينصرف دولاب فانما ذاك لأنه أراد البلدة ودولاب اعجمى معرب وكل ما كان من اسماء الاعجمية نكرة فبغير الألف واللام فاذا دخلته الألف واللام فقد صار معربا وصار على قياس الاسماء العربية لايمنعه من الصرف الا ما يمنع العربي فدولاب فوعال مثل طومار وسولاف وكل شيء لا يخص واحدا من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل لأن هذا الاسم يلحق كل ما كان على بنيته وكذلك جمل وجبل وما أشبه ذلك فان وقع الاسم فى كلام العجم معرفة فلا سبيل الى ادخال الألف واللام عليه لأنه معرفة فلا معنى لتعريف آخرفيه فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون وكذلك اسحاق وابراهيم ويعقوب. وقوله غداة طفت علماء بكر بن وائل وهو يريد على الماء فان العرب اذا التقت فى مثل هذا الموضع لامان استجازوا حذف احداها استثقالا للتضعيف لأن ما بقى دليل على ما حذف يقولون علماء بنو فلان كما قال الفرزدق

وما سبق القيسى من ضعف حيلة　　ولكن طفت علماء قلفة خالد

وكذلك كل اسم من اسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التى فى قولك بنو لقرب مخرج النون من اللام وذلك قولك فلان من بلحرث وبلعنبر وبلهجيم. وأما قول الآخر فلئن أمير المؤمنين بنصب أمير بعد ان فلأن حرف الجزاء للفعل وأنه أراد فلئن أصاب أمير المؤمنين فلما حذف هذا الفعل وأضمر ذكر أصابه ليدل عليه ومثله قول النمر بن تولب

لا تجزعى ان منفسا أهلكته　　واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى

وقول ذى الرمة

اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته فقام بفأس بين وصليك جازر

لا ن اذا لا يليها الا الفعل وهي به أولى . ويعنى بأمير المؤمنين نافع بن الأزرق وادعى قتله سلامة الباهلي قال لما قتلته وكنت على برذون وَرد اذا برجل على فرس وأنا واقف فى خمس قيس ينادى يا صاحب الورد هلم الى المبارزة فوقفت فى خمس بنى تميم فاذا به يعرضها علىّ وجعلت أتنقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى فصرت الى رحلى ثم رجعت فرآنى فدعانى الى المبارزة فلما اكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته فنزلت لسلبه وأخذ رأسه فاذا به امرأة قد رأتنى حين قتلت نافعاً فخرجت لتثأر به

١١ لما قتل من قتل ممن بخازر من الخوارج فى أيام ابن الماحوز كره بيه القتال فأقام حارثة بن بدر الغدانى بازاء الخوارج يناوشهم على غير ولاية وكان يقول ماعذرناعند اخواننا من أهل البصرة ان وصل اليهم الخوارج ونحن دونهم فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير يخبرونه بقعود بيه عن القتال ويسألونه ان يولى والياً فكتب الى أنس بن مالك ان يصلى بالناس فصلى بهم أربعين يوماً وكتب الى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة فلقيه الكتاب وهو يريد الحج وهو فى بعض الطريق فرجع فاقام بالبصرة وولى أخاه عثمان محاربة الازارقة فخرج اليهم فى اثنى عشر الفاً ولقيه حارثة فيمن كان معه وعبيد الله بن الماحوز فى الخوارج بسوق الأهواز فلما عبروا اليهم دجيلا نهض اليهم الخوارج وذلك قبيل الظهر فقال عثمان لحارثة أما الخوارج الا ما أرى فقال له حارثة حسبك بهؤلاء فقال لا جرم والله لا اتغدى حتى أناجزهم فقال له حارثة ان هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فأبق على نفسك وجندك فقال أبيتم أهل العراق الاجبنا وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب أنت والله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب فغضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه الى ان غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخذ حارثة الراية وصاح بالناس أناحارثة بن بدر فثاب اليه قومه فعبر بهم دجيلاو بلغ فلّ عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا فعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومى وهو أخو عمر بن عبدالله

ابن أبي ربيعة المخزومى الشاعر وقد عرف فيما بعد بالقُباع لانه لما ولى البصرة عير على الناس مكاييلهم فنظر الى مكيال صغير فى مرآة العين وقد احاط بدقيق استكثره فقال ان مكيالكم هذا لقُباع والقباع الذى يخفى أو يخفى ما فيه يقال انقبع الرجل اذا استتر ويقال للقنفذ القبع وذلك انه يخفى رأسه قال فلما قدم البصرة كتب اليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد فأراد أن يوليه فقال رجل من بكر بن وائل ان حارثة ليس بذلك انما هو صاحب شراب وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر　　يصلى وهو أكفر من حمار

ألم تر أن للفتيان حظا　　وحظك فى البغايا والقمار

فكتب اليه القباع تكفى حربهم ان شاء الله فأقام حارثة يدافعهم فقال شاعر من بنى تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر

مضى ابن عبيس صابرا غير عاجز　　وأعقبنا هذا الحجازى عثمان

فأرعدَ من قبل اللقاء ابن معمر　　وأبرق والبرق اليمانى خوان

فضحتَ قريشا غثها وسمينها　　وقيل بنو تيم بن مرة عزلان

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم　　بما قام فيه للعراقين انسان

اذا قيل من حامى الحقيقة أومأت　　اليه معد بالأنوف وقحطان

ثم ان حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى فعبرت اليه الخوارج فهرب واصحابه يركض حتى أتى دجيلا فجلس فى سفينة واتبعه جماعة من اصحابه فكانوا معه وأتاه رجل من بنى تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه وقد توسط حارثة فصاح به يا حارث ليس مثلى ضيع فقال حارثة للملاح قرب فقرب الى جرف ولا فرضة هناك فطفر الرجل بسلاحه فى السفينة فساخت بالقوم جميعاً .

قوله فأرعد زعم الأصمعى انه خطأ وأن الكميت اخطأ فى قوله

أرعدوأبرق يا يزيـ　　ـد فما وعيدك لى بضائر

وزعم أن هذا البيت الذى يروى لمهلهل مصنوع محدث وهو قوله

أنبضوا معجس القسى وابرقـ　　ـنا كما ترعد الفحول الفحولا

وانه لا يقال الا رعد وبرق اذا أوعد وتهدد وهو يرعد ويبرق وكذا يقال رعدت السماء وبرقت وأرعدنا نحن وأبرقنا اذا دخلنا فى الرعد والبرق قال الشاعر فقل لأبى قابوس ماشئت فارعد .وروى غير الاصمعى أرعد وأبرق على ضعف . وقوله والبرق اليمانى خوان يريد والبرق اليمانى يخون وأجود النسب الى اليمن يمنى ويجوز يمان بتخفيف الياء وهو حسن وهو فى اكثر الكلام تكون الألف عوضا من احدى الياءين ويجوز يمانىّ فاعلم تكون الألف زائدة وتشدد الياء قال العباس بن عبد المطلب

ضربناهم ضرب الأحامس غدوة بكل يمانىّ اذا هز صمما

١٢ بعد أن ساخت السفينة بحارثة وصحبه أقام ابن الماحوز يجبي كور الأهواز ثلاثة أشهر ثم وجه الزبير بن على نحو البصرة فضج الناس الى الأحنف ابن قيس فأتى القباع فقال أصلح الله الأمير ان هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق الا ان يحصرنا فى بلدنا حتى نموت هزالا قال فسموا رجلا فقال الأحنف الرأى لا يخيل ما أرى لها الا المهلب بن أبى صفرة فقال أو هذا رأى جميع أهل البصرة اجتمعوا الىّ فى غد وجاء الزبير حتى نزل الفرات وعقد الجسر ليعبر الى ناحية البصرة وقد اجتمع له أهل الأهواز وكورها رغبة ورهبة فأتاه البصريون فى السفن وعلى الدواب ورجالة حتى اسودت بهم الأرض فقال اذ رآهم أبى قومنا الا كفرا فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات بازائهم واجتمع الناس عند القباع وخافوا الخوارج خوفا شديدا وكانوا ثلاث فرق فسمى قوم المهلب وسمى قوم مالك بن مسمع وسمى قوم زياد بن عمرو بن الاشرف العتكى فصرفهم ثم اختبر ماعند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذاك وعاد اليه من أشاروا بهما وقالوا قد رجعنا عن رأينا ما نرى لها الا المهلب فوجه الحارث اليه فأتاه فقال له يا أبا سعيد قد ترى ما رهقنا من هذا العدو وقد اجتمع أهل البصرة عليك وقال له الاحنف يا أبا سعيد انا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نر من يقوم مقامك فقال له الحارث وأومأ الى الأحنف ان هذا الشيخ لم يسمك الا ايثارا للدين وكل من فى مصرك مادّ عينه اليك راج ان يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك فقال

المهلب لا حول ولا قوة الا بالله انى عند نفسى لدون ما وصفتم ولست آبياً ما دعوتم اليه على شروط أشترطها قال الأحنف قل فقال على ان انتخب من أحببت قال ذاك لك قال ولى امرة كل بلد أغلب عليه قال وذاك لك قال ولى فىء كل بلد أظفر به قال الاحنف ليس ذاك لك ولا لنا انما هو فىء المسلمين فان سلبتهم اياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك أن تعطى أصحابك من فىء كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب فمن لى بذلك قال نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال قبلت فكتبوا بذلك كتاباً ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الحنفى وانتخب المهلب من جميع الأخماس فبلغت نخبته اثنى عشر الفا ونظروا ما فى بيت المال فلم يكن . الا مائتى الف درهم فعجزت فبعث المهلب الى التجار يقول ان تجارتكم مذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الأهواز وفارس عنكم فهلموا فبايعونى واخرجوا معى أوفكم ان شاء الله حقوقكم فتاجروه فاخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لأصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى اذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فاحضرت وأصلحت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور الى الفرات وأمر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشاطئ خاضت اليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا فصار هو وأصحابه على الشاطئ فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الازد

ان العراق وأهله لم يخبروا ... مثل المهلب فى الحروب فسلموا

أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبة ... واقل تهليلا اذا ما احجموا

التهليل التكذيب والانهزام . وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى وكان من فرسان بنى تميم وشجعانهم فقال عطية .

يدعى رجال للعطاء وانما ... يدعى عطية للطعان الأجرد

وقال آخر

وما فارس الا عطية فوقه ... اذا الحرب ابدت عن نواجذها الفما

به هزم الله الأزارق بعد ما أباحوا من المصرين حلا ومحرما

والى هذه المنقبة التى كانت للمهلب بن أبى صفرة فى هزيمة الأزارقة بعد ان أحاطوا بالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها وكان الباقون على الترحل فقلد حربهم فهزمهم الى الفرات ثم هزمهم «كما سيأتى» الى الأهواز ثم أخرجهم عنها الى فارس ثم الى كرمان يشير شاعر من ولده (١) اذ يذكر الحرب التى صاحبها صاحب الزنج بالبصرة ويرثى البلد

سقى الله مصرا خف أهلوه من مصر ... وماذا الذى يبقى على عقب الدهر
ولو كنت فيه اذ أبيح حريمه ... لمت كريما أو صدرت على عذر
أبيح فلم أملك له غير عبرة ... تهيب بها ان حاردت لوعة الصدر
ونحن رددنا أهلها اذ ترحلوا ... وقد نظمت خيل الازارق بالجسر
ومن يخش أطراف المنايا فاننا ... لبسنا لهن السابغات من الصبر
فان كريه الموت عذب مذاقه ... اذا ما مزجناه بطيب من الذكر
وما رزق الانسان مثل منية ... أراحت من الدنيا ولم تخز فى القبر

وفى هذا الشعر

ليشكر بنو العباس نعمى تجددت ... فقد وعد الله المزيد على الشكر
لقد جنبتكم أسرة حسدتكم ... فسلت على الاسلام سيفا من الكفر
وقد نغصتهم جولة بعد جولة ... يبيتون فيها المسلمين على ذعر

١٣ لما انهزم الخوارج أقام المهلب أربعين يوما يجبى الخراج بكور دجلة وأقام الخوارج بنهر تيرى والزبير بن على منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه فاسرع اليه الناس رغبة فى مجاهدة الخوارج وفى الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدى وعبد الله ابن رباح ومعاوية بن قرة المزنى وكان يقول «يعنى معاوية» لو جاء الديلم من هاهنا والحرورية من ها هنا لحاربت الحرورية ثم أبو عمران الجونى وكان يقول كان كعب يقول قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار ثم نهض المهلب

---

(١) قال الأخفش أنشدنيه يزيد المهلبى لنفسه

اليهم الى نهر تيرى فتنحوا عنه الى الأهواز وأقام يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن فى عسكرهم فاذا حُشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد فخطب المهلب الناس فذكر مَن هناك وقال للناس أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم ولم يزل مقيما حتى فهمهم وأحكم أمره وقوى أصحابه وكثرت الفرسان فى عسكره وتنام اليه زهاء عشرين الفا فاستخلف أخاه المعارك بن أبى صفرة على نهر تيرى ومضى يؤم سوق الاهواز وفى مقدمته المغيرة ابنه حتى اذا قاربهم المغيرة ناوشوه فانكشف عنه بعض اصحابه وثبت بقية يومه وليلته يوقد النيران ثم غاداهم القتال فاذا القوم قد أوقدوا النيران فى ثقلة متاعهم وارتحلوا عن سوق الأهواز فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب فأقام بسوق الأهواز وكتب بذلك الى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة كتاباً يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فأنا منذ خرجنا نؤم هذا العدو فى نعم من الله متصلة علينا ونقم من الله متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون الى أن حللنا سوق الأهواز والحمد لله رب العالمين الذى من عنده النصر وهو العزيز الحكيم. فكتب اليه الحارث القباع. هنيئا لك أخا الأزد الشرف فى الدنيا والذخر فى الآخرة ان شاء الله فقال المهلب لأصحابه ما أجفى أهل الحجاز أما ترونه يعرف اسمي واسم أبي وكنيتي.

١٤ بعد أن حل المهلب بسوق الأهواز لم يزل يبث الأحراس فى الأمن كما يبثهم فى الخوف ويذكي العيون فى الأمصار كما يذكيها فى الصحارى ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البيات وان بعد منهم العدو ويقول احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا هزمنا وغلبنا فان القوم خائفون وجلون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قام فيهم خطيباً فقال يا أيها الناس انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وانهم ان قدروا عليكم فتنوكم فى دينكم وسفكوا دماءكم فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس والعجل المفرط عثمان بن عبيدالله والمعصىّ المخالَف حارثة بن بدر فقتلوا جميعاً وقتلوا فالقوهم بجد وحد فانما هم مهنتكم وعبيدكم وعار

عليكم ونقص فى أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤا حريمكم ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى فوجه عبيد الله بن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل أبى صفرة من سبى الجاهلية فى خمسين رجلا منهم صالح بن مخراق الى نهر تيرى وبها المعارك بن أبى صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى الخبر الى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى وقد خرج واقد منها فاستنزله ودفنه وسكن الناس واستخلف ورجع الى أبيه وقد حل بسولاف والخوارج بها فواقعهم وحمل على بنى تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبد الرحمن الاسكاف فجعل يحض الناس وهو على فرس له صفراء يأتى الميمنة والميسرة والقلب فيحض الناس ويهون أمر الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل من الخوارج لاصحابه هل لكم فى فتكة فيها أريحية فخرج جماعة منهم على الاسكاف فقاتلهم وحده فارساً ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وباركا ثم كثرت به الجراح فذبب بسيفه وجعل يحثو التراب فى وجوههم والمهلب غير حاضر ثم قتل رحمه الله وحضر المهلب فأخبر فقال للحريش بن هلال وعطية العنبرى أأسلمتما سيد أهل العسكر لم تعيناه ولم تستنقذاه حسدا له لانه رجل من الموالى ووبخهما وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر فانهزم الناس وقتل سبعون رجلا وثبت المهلب وأبو المغيرة يومئذ وعرف مكانه ويقال حاص المهلب يومئذ حيصة وتقول الازد بل كان يرد المنهزمة ويحمى أدبارهم فقال رجل من بنى منقر بن عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

بسولاف أضعت دماء قومى   وطرت على مواشكة درور

وقال رجل آخر من بنى تميم

تبعنا الاعور الكذاب طوعاً   يزجى كل أربعة حمارا

فياندمى على تركى عطائى   معاينة وأطلبه ضمارا

اذا الرحمن يسر لى قفولا   فحرق فى قرى سولاف نارا

وبات المهلب فى ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار فى أربعة آلاف

فخطب أصحابه فقال والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم الا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع فان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فسيروا الى عدوكم على بركة الله فقام اليه الحريش فقال أنشدك بالله أيها الامير ألا تقاتلهم الا أن يقاتلوك فان بالقوم جراحاً وقد أثخنتهم هذه الجولة فقبل منه المهلب ومضى فى عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم ير منهم أحدا يتحرك فقال له الحريش ارتحل عن هذا الموضع فارتحل فعبر دجيلا وصار الى عاقول لا يؤتى الا من وجه واحد فأقام به ليستريح الناس وفى ذاك يقول ابن قيس الرقيات .

ألا طرقت من آل بيبة طارقه   على أنها معشوقة الدل عاشقه
تبيت وأرض السوس بيني وبينها   وسولاف رستاق حمته الازارقه
اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة   حرورية أضحت من الدين مارقه
أجازت الينا العسكرين كليهما   فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقال رجل من الخوارج فى ذاك اليوم

وكائن تركنا يوم سولاف منهم   أسارى وقتلى فى الجحيم مصيرها

قول المنقرى مواشكة يريد سريعة ويقال نحن على وشك رحيل ويقال ذميل مواشك اذا كان سريعاً قال ذو الرمة .

اذا ما رمينا رمية فى مفازة   عراقيبها بالشيظمى المواشك

ودرور فعول من در الشئ اذا تتابع . وقول الآخر الاعور الكذاب يعنى المهلب ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها وقال الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذباً الا ثلاثة الكذب فى الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل فى الحرب يتوعد ويتهدد . وجاء عنه صلى الله عليه وسلم « انما أنت رجل فخذل عنا فانما الحرب خدعة » وقال عليه السلام فى حرب الخندق لسعد ابن عبادة وسعد بن معاذ وهما سيدا الحيين الخزرج والاوس ائتيا بنى قريظة فان كانوا على العهد فأعلنا بذلك وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا لى لحناً أعرفه ولا تفتّا فى أعضاد المسلمين فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله عضل

والقارة (١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبشروا فان الامر ما تحبون قال أبو العباس فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ويضعف من أمر الخوارج فكان حي من الازد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب ليكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى   لو كنت تصدق ماتقول

وقوله وأطلبه ضمارا فالضمار معناه الغائب وأصله من قولك أضمرت الشيء أي أخفيته عنك ويقال مال عين للحاضر ومال ضمار للغائب قال الاعشى .

ومن لا تضيع له ذمة   فيجعلها بعد عين ضمارا

وقال أيضاً :

ترانا اذا أضمرتك البلا   د نجفى وتقطع منا الرحم

والفعل من هذا أضمر يضمر والمفعول به مضمَر والفاعل مضمِر والضمار اسم للفعل في معنى الاضمار وأسماء الافعال تشرك المصادر في معانيها تقول أعطيته عطاء فيشرك العطاء الاعطاء في معناه ويسمى به المفعول وتقول كلمته تكليما وكلاما في معناه والمصدر ينعت به الفاعل في قولك رجل عدل ورجل كرم ورجل نوم ويوم غم وغيم وينعت به المفعول في قولك رجل رضا وهذا درهم ضرب الامير وجاءني الخلق تعني المخلوقين . أما قول الخارجي وكائن تركنا فكائن معناه كم وأصله كاف التشبيه دخلت على أيّ فصارت بمنزلة كم ونظير ذلك له كذا درهما انما هي ذا دخلت عليها الكاف والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فاذا قال له كذا كذا درهما فهي كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لانه ضم العددين فاذا قال له كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ما جاز فيه العطف بعده ولكن كثرت كأي فخففت والتثقيل الأصل قال الله تبارك وتعالى وكأي من قرية أمليت لها وهي ظالمة وقال وكأي من نبي قاتل معه ربيون كثير وقد قرىء

---

(١) قال الاخفش سألت المبرد عن قولهما عضل والقارة فقال هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرادا أنهم في الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين

بالتخفيف كما تقدم في قول الخارجي وكما قال الشاعر

وكائن رددنا عنكم من مدجج　　يجيء أمام الألف يردى مقنعا

وقال الآخر .

وكائن ترى يوم الغميصاء من فتى　　أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

(قال أبو العباس) وهذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف وذلك هو الأصل وبعض العرب يقلب فيقول كيء يافتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال قال الشاعر .

وكيءٍ في بني دودان منهم　　غداة الروع معروف كميّ

١٥ فلما نزل المهلب العاقول ليستريح الناس أقام به ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارج بسِلى وسِليرى (١) فنزل قريباً منهم فقال ابن الماحوز لأصحابه ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالأمس وكسرتم حدهم فقال له واقد مولى أبي صفرة يا أمير المؤمنين انما تفرق عنهم أهل الضعف والجبن وبقى أهل النجدة والقوة فان أصبتهم لم يكن ظفرا هنيئا لاني أراهم لا يصابون حتى يصيبوا فان غلبوا ذهب الدين فقال أصحابه نافق واقد فقال ابن الماحوز لا تعجلوا على أخيكم فانه انما قال هذا نظرا لكم ثم توجه الزبير بن على الى عسكر المهلب لينظر ما حالهم فأتاهم في مائتين فحزرهم ورجع وأمر المهلب أصحابه بالتحارس حتى اذا أصبح ركب اليهم على تعبية صحيحة فالتقوا بسلى وسليرى فتصافوا فخرج من الخوارج مائة فارس فركزوا رماحهم بين الصفين واتكئوا عليها وأخرج اليهم المهلب عدادهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يريمون الا لصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم الى معسكرهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ثم ان الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة ثم ان رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلب فطعنه فحمل الخوارج بأجمعهم كما صنعوا يوم

---

(١) قال الاخفش سلى وسليرى بفتح السين منهما موضعان بالأهواز وسلى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت .

كأن غديرهم بجنوب سِلى　　نعام قاق في بلد قفار

سولاف فضعضعوا الناس وفقد المهلب وثبت المغيرة فى جمع اكثرهم أهل عمان ثم نجم المهلب فى مائة فارس وقد انغمست كفاه فى الدم وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر محشوة قزا وقد تمزقت وان حشوها ليتطاير وهو يلهث وذلك فى وقت الظهر فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل فى الفريقين فلما كان الغد غاداهم وقد كان وجه بالأمس رجلا من طاحية بن سود بن مالك بن فهم ابن الأزد يرد المنهزمين فمر به عامر بن مسمع فرده فقال ان الأمير أذن لى فبعث الى المهلب فأعلمه فقال دعه فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجبن والضعف وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف وقال لأصحابه ما بكم من قلة أيعجز أحدكم أن يرمى برمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عياش وقد كان المهلب قال لأصحابه أعدوا مخالى فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فانها تصد الفارس وتصرع الراجل ففعلوا وأمر المهلب منادياً ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجد والصبر ويطمعهم فى العدو ففعل حتى مر ببنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فضربوه فدعا المهلب بسيدهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركله برجله وهذا معروف فى الأزد فقال اصلح الله الأمير أعفنى من أم كيسان والركبة تسميها الأزد أم كيسان ثم حمل المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج فنادى مناديهم ألا ان المهلب قد قتل فركب المهلب برذونا أقصيرا شهب وأقبل يركض بين الصفين وان احدى يديه لفى القباء وما يشعر بها وهو يصيح انا المهلب فسكن الناس بعد ان كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل وكل الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدم ففعل وصاح بذكوان مولاه قدم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده انك تغرر بنفسك فذمره ثم صاح يابنى تميم أآمركم فتعصوننى وتقدم فتقدم الناس واجتلدوا أشد جلاد حتى اذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله فقال لاصحابه ابغونى رجلا جلدا يطوف فى القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا انا لم نر رجلا قط أشد منه فطوف ومعه النيران فجعل اذا مر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة وأجهز عليه

واذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله . ثم ان المهلب اقام فى عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى اذا كان نصف الليل وجه رجلا من اليحمد (١) فى عشرة فصاروا الى عسكر الخوارج فاذا القوم قد تحملوا الى أرجان فرجع المهلب فاعلمه فقال أناالهم الساعة أشد خوفا فاحذروا البيات . قال أبو العباس ويروى عن شعبة ابن الحجاج ان المهلب قال لاصحابه ان هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم الا من جهة البيات فاذا كان ذلك فاجعلوا شعاركم حم لاينصرون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ويروى انه كان شعار أصحاب على بن أبى طالب صلوات الله عليه فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب بن الماحوز فيهم فكتب الى الحارث القباع . بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا لقينا الأزارقة المارقة بحد وجد فكانت فى الناس جولة ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الأمل فصاروا درئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها والسلام . فكتب اليه القباع قد قرأت كتابك يا أخا الأزد فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها وذخر لك ثواب الآخرة ان شاء الله وأجرها ورأيتك أوثق حصون المسلمين وهادّ أركان المشركين وأخا السياسة وذا الرياسة فاستدم الله بشكره يتمم عليك نعمته والسلام . وكتب اليه أهل البصرة يهنئونه ولم يكتب اليه الأحنف ولكن قال اقرءوا عليه السلام . وقولوا له أنا لك على ما فارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس فى أضعافها كتاب الأحنف فلما لم يره قال لأصحابه أما كتب الينا فقال له الرسول حملنى اليك رسالة وابلغه فقال هذه أحب الى من هذه الكتب وقد كان فلّ المهلب صاروا الى البصرة فذكروا انه أصيب فهم أهلها بالنقلة الى

---

(١) قال الاخفش اليحمد من الازد والخليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد والفُرهود فى الأصل الحمل فان نسبت الى الحى قلت فراهيدى وان نسبت الى الحملان قلت فرهودى لاغير .

البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك قال الأحنف بن قيس البصرة بصرة المهلب . وقدم رجل من كندة يقال له فلان ابن ارقم فنعى ابن عم له فقال رأيت رجلا من الخوارج وقد مكن رمحه من صلبه فلما قدم المنعى قيل له فى ذلك فقال صدق ابن ارقم لما احسست برمحه بين كتفى صحت البقية فرفعه عنى وتلا « بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين » ووجه المهلب يعقب هذه الوقعة رجلا من الأزد برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز الى الحارث القباع فلما صار « بكريج دينار » لقيه حبيب وعبد الملك وعلى بنو بشير بن الماحوز فقالوا له ما الخبر وهو لا يعرفهم فقال قتل الله المارق ابن الماحوز وهذا رأسه معى فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس فلما ولى الحجاج دخل عليه على بن بشير وكان وسيما جسيما فقال من هذا فخبر فقتله ووهب ابنه الازهر وابنته لأهل الأزدى وكانت زينب بنت بشير مواصلة لهم فوهبوهما لها .

قال رجل من اصحاب المهلب فى يوم سلى وسليرى وقتل ابن الماحوز

ويوم سلى وسليرى أحاط بهم منا صواعق ماتبقى ولا تذر
حتى تركنا عبيد الله منجدلا كما تجدل جذع مال منقعر

وقال رجل من مواليه لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فأصبت أصل أذنه فصرعته ثم أخذت الحجر فضربت به آخر على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثاً . وكان المغيرة بن المهلب اذا نظر الى الرماح قد تشاجرت فى وجهه نكس على قربوس سرجه وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثر فى اصحابها حتى تخرمت الميمنة من أجله وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسما فكان المهلب يقول ما شهد معى حرباً قط الا رأيت البشرى فى وجهه .

وقال رجل من الخوارج فى هذا اليوم

فأن تك قتلى يوم سلى تتابعت فكم غادرت أسيافنا من قماقم
غداة نكر المشرفية فيهم بسولاف يوم المأزق المتلاحم

وقال آخر .

بسلى وسليرى مصارع فتية كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر .

بسلى وسليرى مصارع فتية　　كرام وعقرى من كميت ومن ورد

وقال آخر .

أتانا بأحجار ليقتلنا بها　　وهل تقتل الابطال ويحك بالحجر

ويروى أن رجلا منهم فى ذلك اليوم حمل على رجل من اصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمتاه فصاح به المهلب لا كثر الله مثلك فى المسلمين فضحك الخارجى وقال .

أمك خير لك منى صاحبا　　تسقيك محضا وتعل رائبا

قوله صواعق فالعرب تقول صاعقة وصواعق وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع والمنقعر المنقلع من أصله قال الله وهو أصدق القائلين . كأنهم اعجاز نخل منقعر . وقول الآخر المأزق المتلاحم فالمأزق تضايق الحرب والمتلاحم نعت له والمشرفية السيوف نسبت الى المشارف من أرض الشأم وهو الموضع الملقب مُوتة الذى قتل فيه جعفر بن أبي طالب واصحابه (١)

١٦ لما اجتمعت الخوارج بأرجان بعد قتل ابن الماحوز بايعوا الزبير بن على وهو من بنى سليط بن يربوع رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفاً بيناً فقال لهم اجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليهم فقال ان البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر وهو على الكافرين عقوبة وخزى وان يُصب منكم أمير المؤمنين فما صار اليه خير مما خلف . وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيس وربيعا الأجذم والحجاج بن باب وحارثة بن بدر واشجيتم المهلب وقتلتم أخاه المعارك والله يقول لأخوانكم من المؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس فيوم سلى كان لكم بلاء وتمحيصا ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا فلا تغلبن على الشكر فى حينه والصبر فى وقته وثقوا بأنكم المستخلفون فى الارض والعاقبة للمتقين ثم تحمل

---

(١) قال الأخفش كان المبرد لا يهمز موتة ولم أسمعها من علمائنا الا بالهمز

لمحاربة المهلب فنفحهم المهلب نفحة فرجعوا فأكنوا له فى غمض من غموض الارض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه فسار المهلب يطوف بعسكره ويتفقد سواده فوقف على جبل فقال ان من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أكنت فى سفح هذا الجبل كميناً فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا أنهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وكسفت الشمس فصاحوا بهم يا أعداء الله لو قامت القيامة لجددنا فى جهادكم ثم يئس الزبير من ناحية المهلب فضرب الى ناحية اصفهان ثم كر راجعاً الى أرجان وقد جمع جموعاً وكان المهلب يقول كأنى بالزبير وقد جمع جموعاً فلا ترهبوهم فتخبث قلوبكم ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاءوه من ارجان فألفوه مستعدا آخذا بأفواه الطريق فحاربوه فظهر عليهم ظهورا بينا ولم يزل على ذلك حتى عزل الحارث القباع وولى مصعب ابن الزبير العراق .

وفى هذه الوقائع يقول رجل من بنى تميم أحسبه من بنى رياح بن يربوح .

سقى الله المهلب كل غيث　　من الوسمى ينتحر انتحارا
فما وهن المهلب يوم جاءت　　عوابس خيلهم تبغى الغوارا

وقال المهلب يومئذ ما وقعت فى أمر ضيق من الحرب الا رأيت أمامى رجالا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم يجالدون وكأن لحاهم اذناب العقاعق وكانوا صبروا معه فى غير موطن . ومن فرسان المهلب الذين ابلوا فى ذلك اليوم الحريش بن هلال فأنه حمل على قيس الأكاف وكان قيس من أنجد فرسان الخوارج فطعنه فدق صلبه وقال .

قيس الأكاف غداة الروع يعلمنى　　ثبت المقام اذا لاقيت اقرانى

وقال رجل من بنى تميم من بنى عبشمس بن سعد

الا يا من لصب مستحن　　قريح القلب قد صحب المزونا
لهان على المهلب ما لقينا　　اذا ما راح مسرورا بطينا
يجر السابرى ونحن شعث　　كأن جلودنا كسيت طحينا

المزون عمان وهو اسم من اسمائها قال الكميت

فأما الأزد ازد أبي سعيد   فأكره ان اسميها المزونا

وقال جرير .

وأطفأت نيران المزون وأهلها   وقد حاولوها فتنة ان تسعرا

١٧ لما ولى مصعب بن الزبير العراق كتب الى المهلب ان اقدم واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس وقال لهم انى قد استخلفت عليكم المغيرة وهو ابو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما أردت صوابا قط الا سبقنى اليه ثم مضى الى مصعب وكتب مصعب الى المغيرة بولايته وكتب اليه انك ان لم تكن كأبيك فانك كاف لما وليتك فشمر واتزر وجد واجتهد ثم ولى المهلب البصرة وشخص هو الى «المذار» فقتل أحمر بن شميط ثم اتى الكوفة فقتل المختار ابن أبي عبيد الثقفى وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجياً ثم صار زبيريا ثم صار رافضياً فى ظاهره فلما اتهمه عبد الله بن الزبير وكان واليه على الكوفة عزله وولى رجلا من قريش مكانه فلما أطل الرجل قال المختار لجماعة من أهل الكوفة اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا اين تريد والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع فما أدرى ما الذى رده فغضب ابن الزبير على القرشى وعجزه ورده الى الكوفة فلما اشارفها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الأول فلام القرشى فلما كان فى الثالثة فطن ابن الزبير وعلم بذلك المختار وكان ابن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان علياً استطال درعا فقال لينقص منها كذا وكذا حلقة فقبض ابن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالأخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه فكان ابن الزبير اذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكل حتى اذا كان الأمر اليه حبس ابن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بنى هاشم فى سجن عارم وقال لتبايعن أو لأحرقنكم فأبوا بيعته وفى ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائذ   بل العائذ المظلوم فى سجن عارم
ومن يلق هذا الشيخ بالخيف من منى   من الناس يعلم انه غير ظالم
سمى النبى المصطفى وابن عمه   وفكاك أغلال وقاضى مغارم

وكان ابن الزبير يدعى العائذ لأنه عاذ بالبيت قال ابن قيس الرقيات

بلد تامن الحمامة فيه   حيث عاذ الخليفة المظلوم

ويدعى أيضاً المحل لأحلاله القتال فى الحرم وفى ذلك يقول رجل فى رملة أخته .

الا من لقلب معنى غزل   بذكر المحلة أخت المحل

فلما رأى المختار ان ابن الزبير قد فطن لما أراد أظهر تشيعه وكتب الى ابن الزبير من المختار بن أبى عبيد الثقفى خليفة الوصي محمد بن على أمير المؤمنين الى عبدالله بن اسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك فى وقت اظهاره طاعة ابن الزبير يدس الى الشيعة ويعلمهم موالاته اياهم ويخبرهم انه على رأيهم وحمد مذاهبهم وانه سيظهر ذلك عما قليل ثم وجه جماعة تسير الايل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم . لهذا قتله المصعب وقتل امرأته بنت النعمان بن بشير الانصارية وقد انكر الخوارج قتله اياها غاية الانكار ورأوه قد أتى بقتل النساء امرا عظيما لأنه ارتكب ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سائر نساء المشركين وللخواص منهن اخبار وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة فى ذلك

ان من اكبر الكبائر عندى   قتل حسناء غادة عطبول
قتلت باطلا على غير ذنب   ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا   وعلى المحصنات جر الذيول

وقال ابن قيس الرقيات يذكر قتله للمختار

والذى نغص ابن دومة ماتو   حى الشياطين والسيوف ظماء
فأباح العراق يضربهم بالسـ   ـيف صلتا وفى الضراب غلاء

فانما يريد بابن دومة المختار وبالذى نغصه مصعبا وقوله ما توحى الشياطين فانه

المختار كان يدعى انه يلهم ضرباً من السجاعة لأمور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول الناس هذا من عند الله عزوجل . فمن ذلك قوله ذات يوم « لتنزلن من السماء نار دهماء فلتحرقن دار اسماء » فذكر ذلك لاسماء بن خارجه فقال أقد سجع بى أبو اسحاق هو والله محرق دارى فتركه والدار وهرب من الكوفة ومن ذلك قوله « أما والذى شرع الاديان وجنب الأوثان وكره العصيان لاقتلن أزد عمان وجل قيس عيلان وتميما أولياء الشيطان حاشا النجيب ظبيان » فكان ظبيان النجيب يقول لم أزل فى عمر المختار أتقلب آمناً . وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله الخروج الى الطلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما فأبى عليه ابرهيم الا ان يستأذن محمد بن الحنفية فكتب اليه يستأذنه فعلم محمد ان المختار لا عقد له فكتب الى ابرهيم انه ما يسوءنى أن يأخذ الله بحقنا على يدى من يشاء من خلقه فخرج ابراهيم بن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج المختار يشيعه ماشياً فقال له ابراهيم اركب يا أبا اسحاق فقال انى أحب ان تغبر قدماى فى نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيعه فرسخين ماشياً ودفع الى قوم من خاصته حماما بيضا ضخاما وقال ان رأيتم الأمر لنا فدعوها وان رأيتم الأمر علينا فارسلوها وقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حصتم حيصة فانى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتى فى صور الحمام دوين السحاب ثم أعطاهم كرسياً قديم العهد يقال انه اشتراه من نجار بدرهمين فغشاه بالديباج وقال هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فضعوه فى براكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محل السكينة فى بنى اسرائيل فلما [illegible] ابن الاشتر « بخازر » وبها عبيد الله بن زياد قال من صاحب الجيش قيل ابن الاشتر قال أليس الغلام الذى كان يطير الحمام بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشىء وكان على ميمنة ابن زياد حضين بن نمير السكونى من كندة يقال السَّكونى والسُّكونى والسَّدوسى والسُّدوسى كذا كان أبو عبيدة يقول (١) وعلى ميسرته عمير بن الحباب فارس

---

(١) قال ابو الحسن السَّكونى اكثر

الاسلام فقال حصين بن نمير لابن زياد ان عمير بن الحباب غير ناس قتلى المرج وانى لا اثق لك به فقال ابن زياد انت لى عدوّ قال حصين ستعلم قال ابن الحباب فلما كان فى الليلة التى نريد ان نواقع ابن الاشتر فى صبيحتها خرجت اليه وكان لى صديقا ومعى رجل من قومى فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروى وملاءة وهو متشح السيف يجوس عسكره فيأمر فيه وينهى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت الى ولكن قال من هـذا فقلت عميـر بن الحباب فقال مرحبا بأبى المغلس كن بهذا الموضع حتى أعود اليك فقلت لصاحبى أرأيت أشجع من هذا قط يحتضنه رجل من عسكر عدوه «ولا يدرى من هو» فلا يلتفت اليه قال ثم عاد الى وكان فى أربعة آلاف فقال ما الخبر فقلت القوم كثير والرأى ان تناجزهم فانه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير فقال نصبح ان شاء ثم نحاكمهم الى ظبات السيوف وأطراف القنا فقلت انا منخزل عنك بثلث الناس غدا فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم فى أول النهار فارسل خاصة المختار الطير فتصايح الناس «الملائكة» فتراجعوا ونكس عمير بن الحباب رايته ونادى يالثارات المرج وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه واقتتل الناس حتى اختلط الظلام واسرع القتل فى أصحاب ابن زياد ثم انكشفوا ووضع السيف فيهم حتى أفنوا فقال ابن الاشتر لقد ضربت رجلا على شاطىء هذا النهر فرجع الىّ سيفى وفيه رائحة المسك ورأيت اقداما وجرأة فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب فانظروه فأتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد

قول المختار فى براكاء الحرب يقال براكاء وبروكاء وهو موضع اصطدام القوم قال الشاعر

وليس بمنقذ لك منه الا ... براكاء القتال أو الفرار

وقول ابن الحباب يا لثارات المرج فاعلم انك اذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول يا للرجال ويا للقوم ويا لزيد اذا كنت تدعوهم وانما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له وواجب ان تفتحها لأن أصل اللام الخافضة انما كان الفتح فكسرت مع المظهر ليفصل بينها وبين لام التأكيد تقول ان هذا لَزيد

لهذا أردت ان هذا زيد وتقول ان هذا لزيد اذا أردت أنه فى ملكه ولو فتحت لالتبستا فاذن وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها فقلت ان هذا له وان هذا لأنت اذا أردت لام التوكيد لانه ليس هاهنا لبس وذلك ان الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتا على الاصل والاستغاثة تردها الى أصلها من أجل اللبس والمدعو له فى بابه فاللام معه مكسورة تقول يا للرجال للماء ويا للرجال للعجب ويا لزيد للخطب الجليل قال الشاعر .

يا للرجال ليوم الاربعاء أما ... ينفك يبعث لى بعد النهى طربا

وقال آخر .

تكنفنى الوشاة فأزعجونى ... فيا للناس للواشى المطاع

وفى الحديث لما طعن العلج أو العبد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه صاح يا لله للمسلمين وتقول يا للعجب اذا كنت تدعو اليه ويا لغير العجب كأنك قلت يا للناس للعجب وينشد هذا البيت

يا لعنة الله والأقوام كلهم ... والصالحين على سمعان من جار

فيا لغير اللعنة كأنه قال ياقوم لعنة الله والأقوام كلهم . وزعم سيبويه ان هذه اللام التى للاستغاثة دليل بمنزلة الألف التى تبين بالهاء فى الوقف اذا أردت أن تسمع بعيداً فانما هى للاستغاثة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك يا قوماه على غير الندبة ولكن للاستغاثة ومد الصوت والقول كما قال محلهما عند العرب محل واحد فان وصلت حذفت الهاء لأنها زيدت فى الوقف لخفاء الألف كما تزاد لبيان الحركة فان وصلت أغنى مابعدها عنها تقول ياقوما تعالوا ويا زيدا لاتفعل ولا يجوز أن تقول يا لزيد وهو مقبل عليك وكذلك لايجوز أن تقول يا زيداه وهو معك انما يقال ذلك للبعيد أو ينبه به النائم . فان قلت يا لزيد ولعمرو كسرت اللام فى عمرو وهو مدعو لأنك انما فتحت اللام فى زيد لتفصل بين المدعو والمدعو اليه فلما عطفت على زيد استغنيت عن الفصل لانك اذا عطفت عليه شيئا صار فى مثل حاله ونظير ذلك الحكاية يقول الرجل رأيت زيدا فتقول من زيدا وانما حكيت قوله ليعلم انك انما تستفهمه عن الذى ذكر بعينه ولا تسأله

عن زيد غيره والموضع موضع رفع لانه ابتداء وخبر فان قلت ومن زيدأو فمن زيد لم يكن الا رفعاً لأنك عطفت على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لان العطف لا يكون مستأنفا ونظير هذا الذى ذكرت لك فى اللام قول الشاعر

يبكيك ناء بعيد الدار مغترب يا للكهول وللشبان للعجب

فقد أحكمت لك كل ما فى هذا الباب

١٨ لم يكد يتم للمصعب قتل المختار الذى كان قد أراحه قبلا من عبيد الله بن زياد حتى سكنت الفتنة الأموية وآلت الخلافة الى عبد الملك بن مروان فقال المصعب للمهلب أشر علىّ برجل أجعله بينى وبين عبد الملك فقال أذكر لك واحداً من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمى أو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى أو داود بن قحذم فقال أو تكفينى قال أكفيك ان شاء الله فولاه الموصل فشخص اليها وصار مصعب الى البصرة فسأل من يستكفى أمر الخوارج وشاور الناس فقال قوم ول عبيد الله بن أبى بكرة وقال قوم ول عمر بن عبيد الله ابن معمر وقال قوم ليس لهم الا المهلب فاردده اليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الامر بينهم فقال قطرى بن الفجاءة المازنى ان جاءكم عبيد الله بن أبى بكرة أتاكم سيد سمح جواد كريم مطيع لعسكره وان جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس جادّ يقاتل لدينه وملكه وبطبيعة لم أر مثلها لأحد فقد شهدته فى وقائع فما نودى فى القوم لحرب الا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه وان رد المهلب فهو من قد عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمده اذا أرسلتموه ويرسله اذا امددتموه لا يبدؤكم الا أن تبدءوه الا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم قال فولى المصعب عليهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج بأرجان وعليهم الزبير بن على السليطى فشخص اليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان فجمعوا له وأعدوا واستعدوا ثم أتوا سابور فسار اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن حسان الازدى ان المهلب كان يذكى العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم فقال له عمر أسكت

خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك فأقام هناك فلما كان ذات ليلة بيته الخوارج فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشيء فأقبل على مالك بن حسان فقال كيف رأيت قال قد سلم الله عز وجل ولم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها فقال أما انكم لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لرجوت ان أنفى هذا العدو ولكنكم تقولون قرشي حجازي بعيد الدار خيره لغيرنا فتقاتلون معي تعذيرا. ثم زحف الى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم الى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى اصلحها ثم عبروا وتقدم ابنه عبيد الله ابن عمر وأمه من بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب فقاتلهم حتى قتل فقال قطري لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يكن عمر يعلم بقتل ابنه حتى أفضى الى القوم وكان مع ابنه النعمان بن عباد فصاح به يا نعمان أين ابني فقال احتسبه فقد استشهد رحمه الله صابرا مقبلا غير مدبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم حمل على الناس حملة لم ير مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا في وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج وحمل على قطري فضربه على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وانتهبها فلما استقروا قال لهم قطري أما أشرت عليكم بالانصراف قال فجعلوه في وجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم في ذلك الوقت الغرز بن مهزم العبدي فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطري فقال اني مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فاجاب اليها فخلوا عنه وفي ذلك يقول في كلمة له

وشدوا وثاقي ثم ألجوا خصومتي الى قطري ذي الجبين المفلق

وحاججتهم في دينهم فحججتهم وما دينهم غير الهوى والتخلق

ثم انهم تراجعوا وتكاثفوا (١) وعادوا الى ناحية أرجان فسار اليهم عمر وكتب الى مصعب. أما بعد فأني قد لقيت الأزارقة فرزق الله عبيد الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا عليهم الظفر فتفرقوا شذر مذر وبلغتني عنهم عودة فيممتهم وبالله استعين وعليه أتوكل. ثم سار اليهم ومعه عطية بن عمرو وجماعة

---

(١) قال الاخفش تكاثفوا أعان بعضهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعض

ابن سعيد فالتقوا فألح عليهم حتى أخرجهم وانفرد من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلا منهم من مذكوريهم وشجعانهم وفى يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة الا صرعه فركض اليـه قطرى على فرس طِمر وعمر على مهر فاستعلاه قطرى بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصر به مجاعة فاسرع اليه فصاحت الخوارج بقطرى يا أبا نعامة [illegible] قطرى عن فرسه فطعنه مجاعة وعلى قطرى درعان فهتكهما واسرع السنان فى رأس قطرى فكشط عنه جلدة ونجا ثم ارتحل القوم الى اصبهان فأقاموا برهة ورجعوا الى الأهواز وقد ارتحل عمر بن عبيد الله الى اصطخر فامر مجاعة فجبى الخراج اسبوعا فقال كم جبيت قال تسعمائة الف فقال هى لك وفى ذلك يقول يزيد بن الحكم الثقفى لمجاعة

ودعاك دعوة مرهق فاجبته عمر وقد نسى الحياة وضاعا
فرددت عادية الكتيبة عن فتى قد كاد يترك لحمه اوزاعا

١٩ لما رجع الخوارج الى الأهواز وقد ارتحل عمر بن عبيد الله الى اصطخر كان عبد الله بن الزبير قد عزل المصعب وولى حمزة ابنه فوجه حمزة اليهم المهلب فحاربهم حتى أخرجهم عن الأهواز ثم رُد مصعب والمهلب بالبصرة فأرجعه الى الموصل وكان الخوارج باطراف اصبهان والوالى عليها عتاب بن ورقاء الرياحى فأقام الخوارج هناك شيئا يجبون القرى ثم أقبلوا الى الأهواز من ناحية فارس وكان بها عمر بن عبيـد الله فكتب اليه مصعب ما انصفتنا أقمت بفارس تجبى الخراج ومثل هـذا العدو يحاربك والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر ثم خرج من البصرة يريدهم وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم كذلك فتنحوا الى السوس ثم أتوا المدائن فقتلوا أحمر طيء وكان شجاعا وكان من فرسان عبيد الله بن الحُرّ وفى ذلك يقول الشاعر

تركتم فتى الفتيان احمر طيء بساباط لم يعطف عليه خليل

ثم خرجوا عامدين الى الكوفة فلما خالطوا سوادها وواليها الحارث بن عبد الله القباع تثاقل عن الخروج وكان جبانا فذمره ابراهيم بن الاشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتى اتى النخيلة وفى ذلك يقول الشاعر

ان القباع سار سيرا نكرا يسير يوما ويقيم شهرا

وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها ثم أرادوا قتلها وكانت جميلة فقالت أتقتلون من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد فتنتك ثم قدموها فقتلوها وقربوا أخرى وهم بحذاء القباع والجسر معقود بينهما وهو فى ستة آلاف والمرأة تستغيث به وتقول علام تقتلونى فوالله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت فجعل الناس يتفلتون الى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فاقام بين دباهى ودبيرى خمسة أيام والخوارج بقربه وهو يقول للناس فى كل يوم اذا لقيتم العدو فأثبتوا أقدامكم واصبروا فان أول الحرب الترامى ثم اشراع الرماح ثم السلة فثكلت رجلا أمه فر من الزحف فقال بعضهم لما اكثر عليهم أما الصفة فقد سمعناها فتى يقع الفعل وقال الراجز

ان القباع سار سيرا ملسا بين دباهى ودبيرى خمسا

فأخذ الخوارج حاجتهم «وكان شأن القباع التحصن منهم» ثم انصرفوا ورجع الى الكوفة فصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الى الزبير بن على أنا ابن عمك ولست أراك تقصد فى انصرافك من كل حرب غيرى فبعث اليه الزبير ان أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء وأقام الخوارج يغادونه القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكبير فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها فشاور المصعب الناس وبلغ الخوارج مشورته فقال لهم قطرى ان جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع فى أول المقنب ولا يظفر بكبير وان جاءكم عمر ابن عبيد الله ففارس يقدم فاما له واما عليه وان جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم وعزم المصعب على توجيه المهلب وان يشخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير اتى على خرج الى الرى وبها يزيد بن الحارث بن رؤيم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار خرج اليه فكان الظفر للخوارج فقتل يزيد ونادى يومئذ ابنه

حوشبا ففر عنه وعن أمه لطيفة وكانت جارية بعث بها على بن أبي طالب الى يزيد وكان قد دخل يعوده فقال له عندى جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فبعث فسماها يزيد لطيفة وقتلت معه يومئذ ففي ذلك يقول الشاعر .

مواقفنا في كل يوم كريهة أسر وأشفى من مواقف حوشب
دعاه يزيد والرماح شوارع فلم يستجب بل راغ تروّاغ ثعلب
ولوكان شهم النفس اوذا حفيظة رأى مارأى في الموت عيسى بن مصعب

وسيأتي خبر عيسى بن مصعب مستقصى (١) وقال الآخر

نجى حليلته وأسلم شيخه نُصب الأسنة حوشب بن يزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بردة يعيره بأمه وبلال مشدود عند يوسف ابن عمر «يا ابن حوراء» فقال بلال وكان جلدا ان الأمة تسمى حوراء وجيداء ولطيفة وزعم الكلبي ان بلالا كان جلدا حيث ابتلى قال ويعجبنى ان أرى الأسير جلدا وقال قال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف الحمد لله الذى أزال سلطانك وهد ركنك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفاً بالشريف مظهرا للعصبية فقال له بلال انما طال لسانك ياخالد لثلاث معك هن على الأمر عليك مقبل وهو عنى مدبر وأنت مطلق وأنا مأسور وأنت في طينتك وانا في هذا البلد غريب وانما جرى الى هذا لأنه يقال ان أصل آل الأهتم من الحيرة وانهم أشابة دخلت في بنى منقر من الروم .

٢٠ لما قتل الزبير بن على من قتل بالرى انحط على اصفهان فحصرها عتاب ابن ورقاء سبعة أشهر وعتاب يحاربه في بعضهن وتزعم الرواة انهم في أيام حصارهم كانوا يتواقفون ويحمل بعضهم على بعض وربما كانت مواقفة بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح ويكنى أبا هريرة ينادى بالخوارج وبالزبير بن على اذا تحاجز القوم مع المساء

يا ابن أبي الماحوز والأشرار كيف ترون يا كلاب النار

---

(١) بشرح أبيات لرجل من بنى تميم في الجود والشجاعة بباب الأدب والحكمة من الجزء الثانى السباعى

شد أبي هريرة المرار يهركم بالليل والنهار
ألم تروا جيا على المضمار تمسى من الرحمن في جوار

فغاظهم ذلك منه فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله اصحابه فظنت الخوارج أنه قد قتل فكانوا اذا تواقفوا نادوهم ما فعل المرار فيقولون ما به من بأس حتى أبلّ من علته فخرج اليهم فصاح يا أعداء الله أترون بي بأساً فصاحوا به قد كنا نرى انك لحقت بأمك الهاوية في النار الحامية فلما طال بعتاب الحصار قال لأصحابه ما تنتظرون والله ما تؤتون من قلة وانكم لفرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتم منهم وما بقي مع هذا الحصار الا ان تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل ان يضعف أحدكم عن ان يمشي الى قرنه فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارّون وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليخرج معي فخرج في الفين وسبعمائة فارس فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجد لم ير الخوارج مثله فعقروا منهم خلقاً وقتلوا الزبير بن علي (١) وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب ففي ذلك يقول الشاعر

ويوم بجيّ تلافيته ولولاك لاصطلم العسكر

وقال آخر من بني ضبة في تلك الوقعة

خرجت من المدينة مستميتا ولم أك في كتيبة ياسمينا
أليس من الفضائل ان قومي غدوا مستلئمين مجا هدينا .

(قال أبو العباس) نفسر أشياء من العربية تحتاج الى الشرح من ذلك قوله يهركم بالليل والنهار وقوله الم تروا جيا وقول الآخر ولولاك لاصطلم العسكر . فأما قوله يهركم فان كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديا فان المضارع منه على يفعُل نحو شده يشده وزره يزره ورده يرده وحله يحله وجاء منه حرفان على يفعِل ويفعُل فيهما جيد هره يهره اذا كرهه ويُهره أجود وعله بالحناء

---

(١) قتله الحارث بن عميرة الهمداني على ما سيأتي قريبا السباعي

يعله ويعُله أجود ومن قال حبيته قال احبه لا غير وقرأ أبو رجاء العطاردى فاتبعونى يحبكم الله وذلك ان بني تميم تدغم فى موضع الجزم وتحرك أو اخره لالتقاء الساكنين . وأماجيّ فالأجود فيها ان تقول . ألم تروا جيّ على المضمار. فلا تنون لانها مدينة والاسم أعجمي والمؤنث اذا سمى باسم أعجمى على ثلاثة أحرف لم ينصرف اذا كان مؤنثا وان كان أوسطه ساكنا نحو جور وحمص وما كان مثل ذلك ولو كان اسما لمذكر لانصرف فان صرفته جعلته اسما لبلد وان لم تصرفه جعلته اسما لبلدة أو لمدينة ألا ترى انك تصرف نوحاً ولوطاً وهما أعجميان وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك لأنك تصرف قدَماً لوسميت به رجلا فالأعجمي بمنزلة المؤنث لأن امتناعهما واحد . اما قوله لولاك فان سيبويه يزعم ان لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال اذا قلت لولاك فما الدليل على ان الكاف مخفوضة دون ان تكون منصوبة وضمير النصب كضمير الخفض فتقول انك تقول لنفسك لولاى ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رمانى وأعطانى . قال يزيد بن الحكم الثقفى

وكم موطن لولاى طحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق مُنهوى

والنيق أعلى الجبل وجرم الانسان خلقه فيقال له الضمير فى موضع ظاهره فكيف يكون مختلفاً وان كان هذا جائزا فلم لا يكون فى الفعل وما أشبهه نحو ان وما كان معها فى الباب وزعم الأخفش سعيد ان الضمير مرفوع ولكن وافق ضمير الخفض كما يستوى الخفض والنصب فيقال فهل هذا فى غير هذا الموضع قال أبوالعباس والذى أقوله ان هذا خطأ لا يصلح الا ان تقول لولا أنت كما قال الله عزوجل « لولا أنتم لكنا مؤمنين » ومن خالفنا يزعم ان الذى قلناه أجود ويدعى الوجه الآخر فيجيزه على بعده

٢١ لما قُتل الزبير بن على أدار الخوارج أمرهم بينهم فأرادوا تولية عبيدة بن هلال فقال أدلكم على من هو خير لكم منى من يطاعن فى قبل ويحمى فى دبر عليكم قطرى بن الفجاءة المازنى فبايعوه فوقف بهم فقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا الى فارس فقال ان بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ولكن نصير الى

الأهواز فان خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها فأتوا الأهواز ثم ترافعوا عنها الى « ايذج » وكان مصعب قد عزم على الخروج الى « باجميرا » فقال لأصحابه ان قطريا قد أطل علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها فبعث الى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج اليهم المهلب فلما أحس به قطرى تيمم نحو كرمان فاقام المهلب بالاهواز ثم كر قطرى عليه وقد استعد فكان الخوارج فى جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجنن ولكن المهلب حاربهم فنفاهم الى « رامهرمز » وكان الحارث بن عميرة الهمدانى قد صار اليه مراغما لعتاب بن ورقاء يقال انه لم يرضه عن قتله الزبير بن على وكان الحارث بن عميرة هذا هو الذى تولى قتله وحاص اليه اصحابه ففى ذلك يقول أعشى همدان

ان المكارم أكملت أسبابها لابن الليوث الغر من قحطان
للفارس الحامى الحقيقة معلما زاد الرفاق الى قرى نجران (١)
الحارث بن عميرة الليث الذى يحمى العراق الى قرى كرمان
ود الأزارق لو يصاب بطعنة ويموت من فرسانهم مائتان

ثم ان مصعبا خرج الى باجمير لقتال عبد الملك فقتل (٢) وأتى الخوارج خبر مقتله « بمسكن » (٣) ولم يأت المهلب واصحابه فتواقفوا يوماً على الخندق فناداهم الخوارج ماتقولون فى المصعب قالوا امام هدى قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا ضال مضل فلما كان بعد يومين أتي المهلب قتل مصعب وأن اهل الشأم اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته قتال الخوارج فلما تواقفوا

---

(١) ويروى . زاد الرفاق وفارس الفرسان .

(٢) سيأتى للمصعب حديث طويل قبل خروجه هذا مع زوجه سكينة بنت الحسين بن على وكانت له شديدة المحبة ومع ابنه عيسى الذى قتل معه وضرب به المثل آنفا فى الشهامة وذلك بشرح أبيات لاحد بنى تميم فى الجود والشجاعة بباب الأدب والحكمة من الجزء الثانى . السباعى

(٣) تقدم بشرح احدى خطب الحجاج رثاء ابن قيس الرقيات له وأنه قتل غدرا . السباعى

ناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا لا نخبركم قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا امام هدى قالوا يا أعداء الله بالأمس ضال مضل واليوم امام هدى ياعبيد الدنيا عليكم لعنة الله . تأويل قول أعشى همدان . زاد الرفاق الى قرى نجران : أن الرفقة اذا صحبها أغناها عن التزود كما قال جرير وأراد ابن له سفرا وفى ذلك السفر يحيى بن أبى حفصة فقال لأبيه زودنى فقال جرير

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا   الا ان يحيى نعم زاد المسافر
فما تنكر الكوماء ضربة سيفه   اذا أرملوا أو خف ما فى الغرائر

وقوله ويموت من فرسانهم يكون على وجهين مرفوعا ومنصوبا فالرفع على العطف ويدخل فى التمنى والنصب على الشرط والخروج من العطف وفى مصحف ابن مسعود « ودوا لو تدهن فيدهنوا » والقراءة فيدهنون على العطف وفى الكلام ود لو تأتيه فتحدثه بالرفع وان شئت نصبت الثانى

النبذة الرابعة فى خلافة عبد الملك

١ لما استقر الأمر لعبد الملك فى العراق بقتل مصعب كتب الى المهلب بولايته قتال الخوارج كما تقدم وولى خالد بن عبد الله بن أسيد العراق ولما قدم خالد البصرة أراد عزل المهلب فأشير عليه بألا يفعل وقيل له انما أمن أهل هذا المصر بان المهلب بالأهواز وعمر بن عبيد الله بفارس وقد تنحى عمر فان نحيت المهلب لم تأمن على البصرة فأبى الا عزله فقدم المهلب البصرة وخرج خالد الى الأهواز فأشخصه فلما صار « بكريج دينار » لقيه قطرى فمنعه حط أثقاله وحاربه ثلاثين يوماً ثم أقام قطرى بازائه وخندق على نفسه فقال المهلب ان قطريا ليس بأحق بالخندق منك فعبر دجيلا الى شق نهرتيرى واتبعه قطرى فسار الى مدينة نهرتيرى فبنى سورها وخندق عليها فقال المهلب لخالد خندق على نفسك فانى لا آمن عليك البيات فقال يا أبا سعيد الأمر أعجل من ذلك فقال المهلب لبعض ولده انى أرى امرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خندق علينا فخندق المهلب وأمر بسفنه ففرغت وأبى خالد أن يفرغ سفنه فقال المهلب لفيروز حصين صر معنا قال

يا أبا سعيد الحزم ماتقول غير انى أكره أن أفارق اصحابى قال فكن بقربنا قال أما هذه فنعم وقد كان عبد الملك كتب الى بشر بن مروان والى الكوفة فأمره أن يمد خالدا بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ففعل فلما قدم عبد الرحمن على خالد أقام قطرى يغاديهم القتال ويراوحهم اربعين يوما فقال المهلب لمولى لأبى عيينة انتبذ الى ذلك الناوس فبت عليه فى كل ليلة فمتى أحسست خبرا من الخوارج أو حركة أو صهيل خيل فأعجل الينا فجاءه ليلة فقال قد تحرك القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعد قطرى سفناً فيها حطب فأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج فى أدبارها حتى خالطهم فجعل لايمر برجل الا قتله ولا بدابة الا عقرها ولا بفسطاط الا هتكه فأمر المهلب يزيد ابنه فخرج فى مائة فارس فقاتل وأبلى يومئذ وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين فى مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثر أثرا جميلا وكان قد صرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن بن الأشعث كذلك فحامى عنهما اصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين فى الخندق فأخذ بيده رجل من الأزد فاستنقذه فوهب له عشرة آلاف درهم قال فأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء فجعل لا يرى الا قتيلا أو صريعا فقال للمهلب يا أبا سعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فالا تفعل عادوا اليك فقال اكفنى أمر الخندق فجمع له الأخماس فلم يبق شريف الا عمل فيه فصاح بهم الخوارج والله لولا هذا المزونى الساحر لكان الله قد دمر عليكم ثم مضى بهم قطرى الى كرمان فانصرف خالد الى البصرة وكانت الخوارج تسمى المهلب الساحر لانهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم . قال أعشى همدان لابن الأشعث فى كلمة طويلة

ويوم أهوازك لا تنسه ليس الثنا والذكر بالداثر

وقد ذكرنا فى قصر الممدود من أن مد المقصور لايجوز مايغنى عن اعادته (١) ونذكر فيروز حصين لما مر من ذكره كان فيروز حصين جيد البيت فى العجم

---

(١) راجع هامش الفهرس . السباعى

كريم المحتد مشهور الآباء فلما أسلم والى حصين بن عبد الله العنبرى من بنى العنبر ابن تميم بن مر ثم من ولد طريف بن تميم وكان فيروز حصين شجاعا جوادا نبيل الصورة جهير الصوت وتروى الرواة ان رجلا من العرب كانت أمه فتاة فقاول بنى عم له فسبوه بالعجمية ومر فيروز حصين فقال الرجل هذا خالى فمن منكم له خال مثله وظن أن فيروز لم يسمعها وسمعها فيروز فلما صار الى منزله بعث الى الفتى فاشترى له منزلا وجارية ووهب له عشرة آلاف درهم . ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما واقف ابن الأشعث «برستقاباذ» فيما بعد فنادى منادى الحجاج من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم فصل فيروز من الصف فصاح بالناس من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالى ووفائى من أتى برأس الحجاج فله مائة الف فقال الحجاج والله لقد تركنى اكثر التلفت وانى لبين خاصتى فلما أتى به الحجاج قال له أأنت الجاعل فى رأس أميرك مائة الف قال قد فعلت فقال والله لامهدنك ثم لأحملنك أين المال قال عندى فهل الى الحياة من سبيل قال لا قال فأخرجنى الى الناس حتى اجمع لك المال فلعل قلبك يرق لى ففعل الحجاج فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعه واعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد الى الحجاج فقال شأنك الآن فاصنع ما شئت فشد فى القصب النارى ثم سل حتى شرح ثم نضح بالخل والملح فما تأوه حتى مات

٢ لما مضى قطرى الى كرمان وانصرف خالد الى البصرة أقام قطرى بكرمان أشهرا ثم عمد لفارس فخرج خالد الى الأهواز وندب للناس رجلا فجعلوا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذا المصر انى قد وليت أخى قتال الأزارقة فولى أخاه عبد العزيز واستخلف المهلب على الأهواز فى ثلثمائة ومضى عبد العزيز فى ثلاثين الفا والخوارج «بدرابجرد» فجعل عبد العزيز يقول فى طريقه يزعم أهل البصرة ان هـذا الامر لايتم الا بالمهلب فسيعملون قال صعب بن زيد فلما خرج عبد العزيز عن الأهواز جاءنى كردوس حاجب المهلب فقال أجب الامير فجئت الى المهلب وهو فى سطح وعليه ثياب هروية فقال يا صعب أنا ضائع كأنى أنظر الى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافينى الازارقة ولا جند معى فابعث

رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا به اليّ قال فوجهت رجلا يقال له عمران بن فلان فقلت اصحب عسكر عبد العزيز واكتب الي بخبر يوم يوم فجعلت أورده على المهلب حتى اذا قاربهم عبد العزيز وقف وقفة فقال له الناس هذا يوم صالح فينبغي أن نتركك أيها الامير حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الأمر قريب فنزل الناس على غير أمره فلم يستتم النزول حتى ورد عليهم سعد الطلائع فى خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبد العزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فانا على غير تعبية فأبى فلم يزل فى آثارهم حتى اقتحموا عقبة فاقتحمها وراءهم والناس ينهونه ويأبى وكان قد جعل على بنى تميم عبس بن طلق الصريمي الملقب عبس الطعان وعلى بكر بن وائل مقاتل بن مسمع القيسى وعلى شرطته رجلا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم وكان لهم فى بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءها خرج عليهم الكمين وعطف سعد الطلائع فترجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعى صاحب الشرطة وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج على فرسخين يقتلونهم كيف شاءوا قال رجل حضر ذلك اليوم رأيت عبد العزيز وان ثلاثين رجلا يضربونه بأسيافهم وما تحيك فى جسده وكان العلاء بن مطرف السعدى ابن عم عمرو القنا يحب أن يلقى عمرا فى تلك الحروب مبارزة فلحقه عمرو وهو منهزم فضحك وقال متمثلا .

تمنانى ليلقانى لقيط أعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به انج أبا المصدى وكان عمرو يكنى أبا المصدى أيضا وكان العلاء قد حمل معه امرأتين له احداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل والأخرى بنت عمه وهى فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وتخلص بهما يومئذ وحمل الضبية أولا ففى ذلك يقول

ألست كريما اذ أقول لفتيتى قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل
ولو لم يكن عودى نضارا لاصبحت تجر على المتنين أم جميل

وكان عبد العزيز قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود امرأته

فسبوا النساء يومئذ وأخذوا أسرى لا تحصى فقذفوهم فى غار بعد ان شدوهم وثاقاً ثم سدوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه ونودى على السبى يومئذ فغولى بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين الفا وذلك الرجل من مجوس كانوا اسلموا ولحقوا بالخوارج ففرض لكل واحد منهم خمسمائه فكاد يأخذها فشق ذلك على قطرى وقال ما ينبغى لرجل مسلم ان يكون عنده سبعون الفا ان هذه فتنة فوثب اليها أبو الحديد العبدى فقتلها فأتى بها قطرى فقال يا أبا الحديد « مهيم » فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين قد تزايدوا فى هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة فقال قطرى قد أصبت وأحسنت فقال رجل من الخوارج

كفانا فتنة عظمت وجلت ... بحمد الله سيف أبى الحديد
أهاب المسلمون بها وقالوا ... على فرط الهوى هل من مزيد
فزاد أبو الحديد بنصل سيف ... رقيق الحد فعل فتى رشيد

قال الصعب بن زيد بعثنى المهلب لآتيه بالخبر فصرت الى قنطرة أربُك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم فلم أحسس خبرا فصرت مهجرا الى ان أمسيت فلما اظلمنا سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم فقلت ما وراءك قال الشر قلت فأين عبد العزيز قال أمامك فلما كان من آخر الليل اذا أنا بزهاء خمسين فارساً معهم لواء فقلت من هذا فقالوا هذا لواء عبد العزيز فتقدمت اليه فسلمت وقلت أصلح الله الأمير لا يكبرن عليك ما كان فانك كنت فى شرجند وأخبثه قال لى أو كنت معنا قلت لا ولكن كانى شاهد أمرك قال كأنك كنت معنا فقلت أرسلنى المهلب لآتيه بخبرك . ثم تركته واقبلت الى المهلب فقال لى ما وراءك قلت ما يسرك قد هزم وفل جيشه فقال ويحك وما يسرنى من هزيمة رجل من قريش وفل جيش من المسلمين قلت قد كان ذاك ساءك أو سرك فوجه رجلا الى خالد يخبره قال الرجل فلما أخبرت خالدا قال كذبت ولؤمت ودخل رجل من قريش فكذبنى وقال لى خالد والله هممت أن أضرب عنقك قلت اصلح الله الأمير ان كنت كاذباً فاقتلنى وان كنت صادقاً فأعطنى مطرف هذا المتكلف فقال خالد لبئس ما اخطرت به دمك قال فما برحت حتى دخل بعض الفل وقدم عبد العزيز سوق الأهواز فاكرمه

المهلب وكساه وقدم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبا وقال له تحسس عن الاخبار فان أحسست بخبر الأزارقة قريباً منك فانصرف الى البصرة فلم يزل حبيب مقيما والأزارقة تدنو منه حتى بلغوا قنطرة أربك فانصرف الى البصرة على نهر تيرى فلما دخلها أعلم خالد فغضب عليه فاستتر فى بنى هلال بن عامر ابن صعصعة فتزوج هناك فى استتاره الهلالية أم عباد بن حبيب قال الشاعر لخالد يفيل رأيه أى يخطئه

بعثت غلاما من قريش فروقة وتترك ذا الراى الا صيل المهلبا
أبى الذم واختار الوفاء وأحكمت قواه وقد ساس الأمور وجربا

وقال الحارث بن خالد المخزومى

فر عبدالعزيز لما رأى الأ بطال بالسفح نازلوا قطريا

ويروى

فر عبد العزيز اذ راء عيسى وابن داود نازلا قطريا
عاهد الله ان نجا ملمنايا ليعودن بعدها حُرميا
يسكن الخل والصفاح فرا ن وسلعا وتارة نجديا
حيث لا يشهد القتال ولا يسـ ـمع يوما لكر خيل دويا

وكتب خالد الى عبد الملك بعذر عبد العزيز وقال للمهلب ما ترى عبد الملك صانعا بى قال يعزلك قال أتراه قاطعا رحمى قال نعم أتته هزيمة أمية أخيك من البحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس قال أبو العباس فكتب عبد الملك الى خالد أما بعد فانى كنت حددت لك حدا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتى واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الأزارقة فقبح الله هذا رأيا أتبعث غلاماً غرا لم يجرب الحروب وتترك سيدا شجاعاً مدبرا حازماً قد مارس الحروب تشغله بالجباية . أما لو كافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيرى ما لا بقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فلفتتنى عنك وقد جعلت عقوبتك عزلك . قوله وما تحيك فى جسده يقال ما احاك فيه وما يحيك فيه وماحك ذا الأمر فى صدرى وماحكى فى صدرى وما احتكى

في صدري ويقال حاك الرجل في مشيته يحيك اذا تبختر . وهذا البيت الذي تمثل به عمرو القنا ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي يقوله يعني لقيط بن زرارة وكان يطلبه وقوله أعام لك يريد يا عامر فرخم وانما يريد الحي تعجبا أي لكم أعجب من تعنيه للقائي فدعا بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم لا ابن معاوية وانهم ناقلة في قيس ولذلك تمنعت بنو سعد من محاربتهم مع بني تميم يوم جبلة ولذلك أنذرهم كرب بن صفوان وهذا البيت وضعه سيبويه في باب النداء الذي معناه معنى التعجب وشبيه به قول الصلتان العبدي

فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله　　جرير ولكن في كليب تواضع

على معنى قوله فلله دره شاعرا . وقول قطري مهيم حرف استفهام معناه ما الخبر وما الأمر فهو دال على ذلك محذوف الخبر وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق فقال مهيم فقال تزوجت يارسول الله فقال أولم ولو بشاة وكان تزوج على نواة وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم وهذا خطأ وغلط فالعرب تقول نواة تعني بها خمسة دراهم كما تقول النش لعشرين درهما والأوقية لأربعين درهما فانما هو اسم لهذا المعنى . وقول الآخر أهاب يريد أعلن يقال أهبت به اذا دعوته مثل صوت قال الشاعر .

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب　　وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقول المخزومي اذ راء عيسى الأصل رأى ولكنه قلب فقدم الألف وأخر الهمزة كما قال كثير

وكل خليل راءني فهو قائل　　من اجلك هذا هامة اليوم أو غد

والقلب كثير في كلام العرب . وقوله ملمنايا يريد من المنايا ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما ومن كلام العرب ان يحذفوا النون اذا لقيت لام المعرفة ظاهرة فيقولون في بني الحارث وبني العنبر وما أشبه ذلك بلحارث وبلعنبر وبلهجيم كما يقولون

علماء بنو فلان فيحذفون احدى اللامين وقوله ليعودن بعدها حرمياً فالعرب تنسب الى الحرم فيقولون حِرمى وحُرمى على قولهم حُرمة البيت وحِرمة البيت قال النابغة الذبياني .

من قول حرمية قالت وقد رحلوا هل فى مخفيكم من يشترى أدما

والخل ها هنا موضع وأصله الطريق فى الرمل

٣ ولما عزل عبد الملك خالدا ولى بشر بن مروان وكان بالكوفة وكتب اليه أما بعد فانك أخو أمير المؤمنين يجمعك واياه مروان بن الحكم وان خالدا لا مجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله حرب الأزارقة فانه سيد بطل مجرب فامدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل . فشق عليه ما أمره فى المهلب وقال والله لأقتلنه فقال له موسى بن نصير ان للمهلب حفاظا وبلاء ووفاء وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى وعكرمة الى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل فسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال ما فعل أميركم المهلب قالوا قد تلقاك أيها الأمير وهو شاك فهم بشر ان يولى حرب الأزارقة عمر بن عبيد الله فقال له اسماء بن خارجة انما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك وقال له عكرمة بن ربعى اكتب الى أمير المؤمنين وأعلمه علة المهلب فكتب اليه يعلمه علة المهلب وان بالبصرة من يغنى غناءه ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم اليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعى فلما قرأ عبد الملك الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم فقال ان لك دينا ورأيا وحزما فمن لقتال هؤلاء الأزارقة قال المهلب قال انه عليل قال ليست علته بما نعته فقال عبد الملك أراد بشر ان يفعل ما فعل خالد وكتب يعزم عليه ان يولى المهلب فوجه اليه فقال أنا عليل ولا يمكننى الاختلاف فامر بحمل الدواوين اليه فجعل ينتخب فاعترض بشر عليه فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم الا يقيم بعد ثالثة وقد أخذت الخوارج الأهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج اليهم المهلب حتى صار الى «شهار طاق» فأتاه شيخ من بنى تميم فقال أصلح الله الأمير ان سنى ما ترى فهبنى لعيالى قال على أن تقول للأمير اذا خطب فحثكم

على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا وأهل النجدة منا ففعل الشيخ ذلك فقال بشر ما أنت وذاك قال لا شيء واعطى المهلب رجلا ألف درهم على ان يأتي بشرا فيقول له أيها الأمير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال نصيحة للأمير والمسلمين ولا أعود الى مثلها قال فامده بشر بالشرطة والمقاتلة وكتب الى خليفته بالكوفة ان يعقد لعبد الرحمن بن مخنف الأزدى على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه به مددا الى المهلب فلما أتاه الكتاب بعث الى عبد الرحمن فعقد له واختار له من كل ربع ألفين فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير البجلي وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحاق بن الأشعث الكندي وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس المذحجي فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت رأيي فيك وثقتي بك فكن عند ظني انظر هذا المزوني تخالفه في أمره وأفسد عليه رأيه فخرج عبد الرحمن وهو يقول ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام يأمرني ان أصغر شيخا من مشايخ أهلي وسيدا من ساداتهم فلحق بالمهلب فلما أحس الأزارقة بدنوه منهم انكشفوا عن الفرات فاتبعهم المهلب الى سوق الأهواز فنفاهم عنها ثم تبعهم الى رام هرمز فهزمهم منها فدخلوا فارس وابلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء حسنا تقدم فيه وهو ابن احدى وعشرين سنة فلما صار القوم بفارس وجه اليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن صبيح أيها الأمير ليس برأي قتل هذه الأكلب ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاولهم وكل بهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برامهرمز الا شهرا حتى أتاه موت بشر فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجه الى ابن اسحاق وابن زحر واستحلفهما الا يبرحا خلفا له ولم يفيا فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الاهواز وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب فخطبهم فقال انكم لستم كأهل الكوفة انما تذبون عن مصركم واموالكم وحرمكم فأقام منهم قوم وتسلل منهم ناس كثير وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان فوجه مولى

له بكتاب منه الى من بالأهواز يحلف فيه بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا الى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم الا قتله فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى فى وجوههم قبوله فقال انى لأرى وجوها ما القبول من شأنها فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما فى الكتاب وانصرف الى صاحبك فانك لا تدرى ما فى أنفسنا وجعلوا يستعجلونه فى قراءته ثم قصدوا قصد الكوفة فنزلوا النخيلة وكتبوا الى خليفة بشر يسألونه ان يأذن لهم فى الدخول فأبى فدخلوها بغير اذن فلم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف فى عدد قليل ولم ينشبوا ان ولى الحجاج العراق .

٤ لما أتى الحجاج العراق بعد ان أخضع الحجاز بقتل ابن الزبير دخل الكوفة قبل البصرة وذلك فى سنة خمس وسبعين فخطبهم وتهددهم . حدثنى التوزى فى اسناد ذكره آخره عبدالملك بن عمير الليثى قال بينا نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى آت فقال هـذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق فاذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قـد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفاً متنكباً قوساً يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بنى امية حيث تستعمل مثل هـذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمى ألا أحصبه لكم فقالوا امهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى (١)

ثم قال . يا أهل الكوفة انى لأرى رءوساً قد اينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى ثم قال (٢)

هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم

---

(١) هو لسحيم بن وثيل الرياحى .

(٢) الشعر لرويشد بن رميض العنبرى

ليس براعى ابل ولا غنم   ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال .

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى * مهاجر ليس باعرابى

وقال .

قد شمرت عن ساقها فشدوا   وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عُرُد   مثل ذراع البكر او أشد (١)

انى والله يا أهل العراق ما يقعقع لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد فُررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرما كم بى لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وانى والله ما أقول الا وفيت ولا أهم الا أمضيت ولا أخلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم . فلم يقل أحد منهم شيئا فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا هذا أدب ابن نهية (٢) والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد احد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام . قال أبو العباس ثم نزل فقال لوجوه أهلها ما كانت الولاة تفعل بالعصاة فقالوا كانت تضرب وتحبس فقال الحجاج ولكن ليس لهم عندى

---

(١) *لابد مما ليس منه بد*

(٢) زعم ابو العباس اذا ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج

الا السيف ان المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية لأهلها ما قوتل عدو ولا جبى فىء ولا عز دين ثم جلس لتوجيه الناس واعطائهم اعطياتهم فقال قد أجلتكم ثلاثا واقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور الا قتلته ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه اذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما عصياً فجاءه عمير بن ضابىء البرجمي بابنه فقال أصلح الله الأمير ان هذا أنفع لكم منى هو أشد بنى تميم أيدا وأجمعهم سلاحاً وأربطهم جأشا وأنا شيخ كبير عليل واستشهد جلساءه فقال الحجاج ان عذرك لواضح وان ضعفك لبين ولكنى أكره ان يجترىء بك الناس على وبعد فانت ابن ضابىء صاحب عثمان ثم أمر به فقتل فاحتمل الناس وان أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه . وفى رواية ابن عمير انه قال له أيها الأمير انى من الضعف على ما ترى ولى ابن هو أقوى على الاسفار منى فتقبله بدلا منى فقال له الحجاج تفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عمير ابن ضابىء البرجمى الذى يقول أبوه

هممت ولم افعل وكدت وليتنى ... تركت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطىء بطنه فكسر ضلعين من اضلاعه فقال ردوه فلما رد قال له الحجاج ايها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ان فى قتلك أيها الشيخ لصلاحا للمسلمين يا حرسى اضربن عنقه . فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه ان يلحقه بزاده

قال ابو العباس فى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدى (١)

أقول لعبد الله يوم لقيته ... أرى الأمر امسى منصباً متشعبا

تخير فاما ان تزور ابن ضابىء ... عميرا واما ان تزور المهلبا

« ويروى تجهز »

هما خطتا خسف نجاؤك منهما ... ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فما ان أرى الحجاج يغمد سيفه ... يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

---

(١) من اسد خزيمة وليس من أسد قريش

فأضحى ولو كانت خراسان دونه(١)   رآها مكان السوق أو هي اقربا(٢)

وخرج الناس عن الكوفة وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشد الحاحا وقد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بني يشكر وكان شيخاً كبيرا أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الأمير ان بي فتقا وقد عذرني بشر وقد رددت العطاء فقال انك عندي لصادق ثم أمر به فضربت عنقه ففي ذلك يقول كعب الأشقري أو الفرزدق

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة   تقرقر منها بطن كل عريف

ويروى عن ابن ميرة قال انا لنتغدى معه يوماً اذ جاء رجل من سليم برجل يقوده فقال اصلح الله الأمير ان هذا عاص فقال له الرجل انشدك الله أيها الأمير في دمي فوالله ماقبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا واني لحائك أخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد قال فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا فقال مالي اراكم صفرت ايديكم واصفرت وجوهكم وحد نظركم من قتل رجل واحد ان العاصي يجمع خلالا يخل بمركزه ويعصي اميره ويغر المسلمين وهو اجيرهم وانما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالي مخير فيه ان شاء قتل وان شاء عفا

ثم كتب الحجاج الى المهلب أما بعد فان بشرا رحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك وأنا أريك حاجتي اليك فأرني الجد في قتال عدوك ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فاني قاتل من قبلي ومن كان عندي من ولي من هرب عنك فأعلمني مكانه فاني أرى ان آخذ الولي بالولي والسمي بالسمي

فكتب اليه المهلب ليس قبلي الا مطيع وان الناس اذا خافوا العقوبة كبروا الذنب واذا امنوا العقوبة صغروا الذنب واذا يئسوا من العفو اكفرهم ذلك فهب لي هؤلاء الذين سميتهم عصاة فانما هم فرسان أبطال أرجو ان يقتل الله بهم العدو

---

(١) قال ابو الحسن الهاء في دونه عائدة على المهلب وسيأتي لأبي العباس ارجاعها الى السفر السباعي (٢) اقربا ظرف وقيل مفعول ثان .

و نادم على ذنبه

وقد كان الحجاج فى كل يوم يتفقد العصاة ويوجه الرجال فكان يحبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا فينسل الناس الى ناحية المهلب وكأن الحجاج لا يعلم فأذا رأى امراعهم تمثل

ان لها لسائقاً عشنزرا اذاونين و نيـة تغشمرا

العشنزر الصلب والتغشمر ركوب الرأس والمتغشمر الجاد على ما خيلت « رجع » قوله أنا ابن جلا انما يريد المنكشف الأمر ولم يصرف جلا لأنه أرادالفعل فحكى والفعل اذا كان فاعله مضمرا أو مظهرا لم يكن الا حكاية كقولك تأبط شرا وكما قال الشاعر .

كذبتم و بيت الله لا تأخذونها بنى شاب قرناها تصر وتحلب

وتقول قرأت اقتربت الساعة وانشق القمر لأنك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأت الحمد لله رب العالمين وقال الشاعر .

والله ما زيد بنام صاحبه (١)

وقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا لسحيم بن وثيل الرياحى وانما قاله الحجاج مثلا وقوله وطلاع الثنايا الثنايا جمع ثنيه والثنية الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل يقال له الخل وانما أراد به أنه جلد يطلع الثنايافى ارتفاعها وصعوبتها كما قال دريد بن الصمة يعنى أخاه عبد الله .

كميش الأزار خارج نصف ساقه بعيد من السوءات طلاع أنجد

والنجد ما ارتفع من الأرض وقوله انى لأرى رءوسا قد اينعت يريد ادركت يقال اينعت الثمرة ايناعاً وينعت يَنعاً ويُنعاً ويقرأ انظروا الى ثمره اذا اثمر ويَنعه ويُنعه كلاهما جائز قال أبو عبيدة هذا الشعر يختلف فيه فبعضهم ينسبه الى الأحوص وبعضهم ينسبهالى يزيد بن معاوية (٢) وهو :

ولها بالماطرين اذا أكل النمل الذى جمعا

---

(١) . ولا مخالط الليان جانبه .

(٢) قال أبو الحسن الصحيح انه ليزيد يصف جارية

خرفة حتى اذا ربعت سكنت من جلق بيعا
فى قباب حول دسكرة حولها الزيتون قد ينعا(١)

وقوله هذا أوان الشد فاشتدى زيم. يعنى فرسا أو ناقة والشعر للحطم القيسى وقوله قد لفها الليل بسواق حطم. فهو الذى لا يبقى من السير شيئا ويقال رجل حطم للذى يأتى على الزاد لشدة أكله ويقال للنار التى لا تبقى حطمة وقوله على ظهر وضم فالوضم كل ما قطع عليه اللحم قال الشاعر (٢)

وفتيان صدق حسان الوجو ه لا يجدون لشئ ألم
من ال المغيرة لا يشهدو ن عند المجازر لحم الوضم

وقوله قد لفها الليل بعصلبي أى شديد وأروع أى ذكى وقوله خراج من الدوى يقول خراج من كل غماء شديدة (٣) ويقال للصحراء دوية وهى التى لا تكاد تنقضى وهي منسوبة الى الدو والدو صحراء ملساء لا علم بها ولا أمارة. قال الحطيئة (٤)

وانى اهتدت والدو بينى وبينها وما خلت سارى الليل بالدو يهتدى

والداوية المتسعة التى تسمع لها دويا بالليل وانما ذلك الدوى من اخفاف الأبل تنفسح أصواتها فيها وتقول جهلة الأعراب ان ذلك عزيف الجن . وقوله والقوس فيها وترعرد فهو الشديد ويقال عُرُنْد فى هذا المعنى وقوله انى والله ما يقعقع لى بالشنان واحدها شن وهو الجلد اليابس فاذا قعقع به نفرت الأبل منه فضرب ذلك مثلا لنفسه وقال النابغة الذبيانى

كأنك من جمال بنى أقيش يقعقع بين رجليه بشن (٥)

---

(١) قال ابو الحسن أول هذه الابيات .

طال هذا الهم فاكتنعا وامر النوم فامتنعا

وبعد هذا ما انشده ابو العباس ويروى بالماطرون الرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها (٢) هو عمر بن عبدالله بن أبى ربيعة

(٣) غمى مقصور رواية عاصم (٤) يصف خيلها وانث على معنى المرأة

(٥) أقيش حى من عكل

وقوله ولقد فررت عن ذكاء يعنى تمام السن والذكاء على ضربين احدهما تمام السن والآخر الحدة حدة القلب فمما جاء فى تمام السن قول قيس بن زهير .
جرى المذكيات غلاب (١) وقال زهير (٢)

يفضله اذا اجتهدا عليه   تمام السن منه والذكاء

وقوله فعجم عيدانها يقول مضغها لينظر أيها أصلب يقال عجمت العود اذا مضغته وكذلك فى كل شىء قال النابغة

فظل يعجمُ أعلى الروق منقبضا   فى حالك اللون صدق غير ذى اود

والمصـدر العجم يقال عجمته عجما ويقال لنوى كل شىء عجم مفتوح ومن أسكن فقـد أخطأ قال الاعشى (٣) * وجذعانها كلقيط العجَم * وقوله طالما أوضعتم فى الفتنة الأيضاع ضرب من السير أماقول ابن الزبير فأضحى ولو كانت خراسان دونه . يعنى دون السفر رآها مكان السوق للخوف والطاعة (٤) وكان من قصة عمير بن ضابىء ان أباه ضابىء بن الحارث البرجمى وجب عليه حبس عند عثمان رحمه الله وأدب وذلك انه استعار من قوم كلبا فأعاروه اياه ثم طلبوه منه وكان فحاشا فرمى أمهم به فقال فى بعض كلامه

وأمكم لا تتركوها وكلبكم   فان عقوق الوالدات كبير

فلما دعى به ليؤدب شد سكينا فى ساقه ليقتل بها عثمان فعثر عليه فأحسن أدبه فاضطغن على عثمان ما فعل به وفى ذلك يقول

وقائلة ان مات فى السجن ضابىء   لنعم الفتى تخلو به وتواصله
وقائلة لايبعدن ذلك الفتى   ولا تبعدن أخلاقه وشمائله
وقائلة لا يبعد الله ضائبا   اذا الكبش لم يوجد له من ينازله
وقائلة لايبعـد الله ضائبا   اذا الخصم لم يوجد له من يقاوله

(١) ويروى غلاء   (٢) أى فى المعنى الآخر وهو الحدة حدة القلب لانه ذكر تمام السن قبله فى البيت فتعين أن يكون أراد بالذكاء الحدة . السباعى
(٣) غزاتك بالخيل ارض العدو   (٤) سبق لأبي الحسن تعويد الضمير على المهلب وأبنا هناك ارجاع ابى العباس له الى السفر . السباعي

فلا تتبعيني ان هلكت ملامة   فليس بعار قتل من لا أقاتله
هممت ولم أفعل وكدت وليتني   تركت على عثمان تبكي حلائله
وما الفتك ما آمرت فيه ولا الذي   تخبر من لاقيت انك فاعله

(قال أبو العباس) وشبيه بهذا ما حدثنا به عن أبي شجرة السلمي وكان من فتاك العرب (١) فأتى عمر بن الخطاب رحمه الله يستحمله فقال له عمر ومن أنت فقال أنا أبو شجرة السلمي فقال له عمر أي عدي نفسه ألست القائل حيث ارتددت

ورويت رمحي من كتيبة خالد   واني لأرجو بعدها أن أعمرا (٢)
وعارضتها شهباء تخطر بالقنا   ترى البيض في حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه بالدرة فسعى الى ناقته فحل عقالها واقبلها حرة بني سليم بأحث السير هرباً من الدرة وهو يقول

قد ضن عنها أبو حفص بنائله   وكل مختبط يوماً له ورق
مازال يضربني حتى خذيت له   وحال من دون بعض الرغبة الشفق
ثم التفت اليها وهي حانية   مثل الرتاج اذا ما لزه الغلق
اقبلتها الخل من شوران مجتهدا   اني لأزرى عليها وهي تنطلق

ويروى ان أبا شجرة هذا كان يرمي المسلمين يوم الردة فلا يغني شيئا فيقول

ها ان رمحي عنهم لمعبول   فلا صريح اليوم الا المصقول

قوله وكل مختبط يوما له ورق أصل هذا في الشجرة أن يختبطها الراعي وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها فضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله وقال زهير

وليس مانع ذي قربى وذي نسب   يوماً ولا معدمٍ من خابط ورقا (٣)

---

(١) أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى وأمه الخنساء وقال الطبري اسمه سليم ابن عبد العزى (٢) ويروى أن أعمرا بكسر الميم ومعناه أن افعل ذلك بكتيبة عمر (٣) قوله ولا معدم بالخفض عطف على توهم الباء في مانع ومثله ما أنشده

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة   ولا ناعبٍ الا ببين غرابُها

على توهم الباء في مصلحين ومن في خابط زائدة

وقوله حتى خـذيت له يقول خضعت له واكثر ما تستعمل العامة هـذه اللفظة بالزيادة تقول استخذيت له وزعم الأصمعي انه شك فيها وانه أحب ان يستثبت أهي مهموزة أم غير مهموزة قال فقلت لأعرابي أتقول استخذيت أم استخذأت قال لا أقولهما قات ولم فقال لأن العرب لا تستخذي وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم أذن خذواء وبمة خذواء أي مسترخية (١) قال الأصمعي وقلت لأعرابي أتهمز الفارة قال تهمزها الهرة. وقوله انى لأزرى عليها يقول استحثها يقال زرى عليه أي عاب عليه وأزرى به أي قصر به فيقول انها لمجتهدة واني لأزرى عليها أي أعيب عليها لطلبي النجاء والسرعة وقال الأخطل .

فظل يفدّيها وظلت كأنها   عقاب دعاها جنح ليل الى وكر

وقوله ها ان رميي عنهم لمعبول. يقول مخبول مردود والصريح المحض الخالص يقال ذلك للبن اذا لم يشبه ماء ويقال عربي صريح ومولى صريح أي خالص

٥ لما أخـذ الحجاج يشتد فى ارسال الناس الى المهلب ويطارد من يتشيع للخوارج هرب عنه أناس من هؤلاء وأناس من هؤلاء وانا لذاكرون من كل جملة صالحة ان شاء الله

فمن هرب من غـير الخوارج العُدَيل بن الفرخ العجلى فجعل لا يحل ببلدة الا ريع لأثر يراه من آثار الحجاج فيهرب حتى أبعد ففى ذلك يقول

يخشّوننى الحجاج حتى كأنما   يحرك عظم فى الفؤاد مهيض

ودون يد الحجاج من أن تنالنى   بَساط لايدى اليعملات عريض

فلم ينشب ان أتى به الحجاج ففى ذلك يقول العديل

فلو كنت فى سلمى أجأ وشعابها   لكان لحجاج علىّ دليل

بنى قبة الأسلام حتى كأنما   أتى الناس من بعد الضلال رسول

أجأ وسلمى جبلاطيئ وأجأ مهموزا وانما هو أجأ مقصور فاعلم قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجأ وسلمى   تخب نزائعا خبب الذئاب

---

(١) قال أبو الحسن البثمة نبت مسترخ على وجه الارض تأكله الأبل فتكثر عنه البانها .

والشاعر اذا احتاج الى قلب الهمزة قلبها فان كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء أو ساكنة جعلها على حركة ما قبلها وان كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها الفا وان كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء وان كانت قبلها ضمة جعلها واوا قال الفرزدق .

راحت بمسلمة البغال عشية ... فارعىْ فزارة لا هناك المربع

وقال حسان بن ثابت

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الرحمن بن حسان

وكنت أذل من وتد بقاع ... يشجج راسه بالفهر واجي

فاما قول الفرزدق فانه يقوله لما عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة الى قربه وولى عمر بن هبيرة قال

راحت بمسلمة البغال عشية ... فارعىْ فزارة لا هناك المربع

ولقد علمت اذا فزارة امرت ... أن سوف تطمع فى الامارة اشجع

فارى الأمور تنكرت أعلامها ... حتى أمية عن فزارة تنزع (١)

عزل ابن عمرو وابن بشر قبله ... وأخو هراة لمثلها يتوقع

ففى جواب هذا يقول الأسدى لما ولى خالد بن عبد الله القسرى

بكت المنابر من فزارة شجوها ... فالآن من قسر تضج وتخشع

وملوك خندف أسلمونا للعدى ... لله در ملوكنا ما تصنع (٢)

وأما قول حسان فليس من لغته سلت اسال مثل خفت أخاف وهما يتساولان هذا من لغة غيره وكانت هذيل سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحل لها الزنا .ويروى ان اسديا وهذليا تفاخرا فرضيا برجل فقال انى ما اقضى بينكما

---

(١) تُنزع رواية عاصم فمن روى تنزع بضم التاء يعنى تعزل ومن روى تنزع بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النزع فى القوس وهو الرمى يشير الى انها محتاجة الى رأيها وانها ترمى عن قوسها

(٢) كانوا كتاركة بنيها جانبا ... سفها وغيرهم تصون وترضع

الا ان تجملا لى عقـدا وثيقاً ألا تضربانى ولا تشتمانى فانما لست فى بلاد قومى ففعلا فقال يا أخا بنى اسد كيف تفاخر العرب وانت تعلم انه ليس حي أحب الى الجيش ولا ابغض الى الضيف ولا أقل تحت الرايات منـكم وأما أنت يا أخا هذيل فـكيف تـكلم الناس وفيكم خلال ثلاث كان منـكم دليل الحبشة على الـكعبة ومنـكم خولة ذات النحيين وسأتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الزنا ولـكن اذا أردتما بيتى مضر فعليكما بهذين الحيين من تميم وقيس قوما فى غير حفظ الله .

أما بيت عبـد الرحمن بن حسان فانه يقوله لعبـد الرحمن بن الحـكم بن أبى العاصى وكان يهاجيه فقال له فى كلمته

وأما قولك الخلفاء منا ... فهم منعوا وريدك من وداج
ولولاهم لـكنت كحوت بحر ... هوى فى مظلم الغمرات داجى
وكـنت أذل من وتد بقاع ... يشجج راسه بالفهر واجى

ومنهم سوّار بن المضرّب السعدى (١) فى ذلك يقول

اقاتـلىَ الحجاج انـ لم از ر له ... درابَ واترك عند هند فؤاديا
فان كانـ لا يرضيك حتى تردنى ... الى قطرىّ ما اخالك راضيا (٢)
اذا جاوزت درب المجيزين ناقتى ... فباست أبى الحجاج لمـا ثنانيـا
ايرجو بنو مروان سمعى وطاعتى ... وقومى تميم والفـلاة ورائيـا

وورائى ها هنا بمعنى أمامى قال الله عز وجل (وانى خفت الموالى من ورائى) وقال جل ثناؤه (وكان من ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)

ومنهم مالك بن الريب المازنى أحد بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وفى ذلك يقول

ان تنصفونا يال مروان نقترب ... اليـكم والا فأذنوا ببعاد
فأن لنا عنـكم مزاحا ومرحلا ... بعيس الى ريح الفلاة صوادى

---

(١) المضرب بفتح الراء (٢) فاعل يرضيك مضمر أومنوى تقديره فان كان لا يرضيك الأرضاء ولا يجوز ان يكون ما بعد يرضـيك الفاعل لأن سيبويه رحمه الله قال الفاعل لا يكون جملة وحتى تردنى جملة قاله ابن الابرش

فنى الارض عن دار المذلة مذهب وكل بلاد او طنت كبلادى (١)
فماذا ترى الحجاج يبلغ جهده اذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبدا من عبيد اياد
زمانَ هو العبد المقر بذلة يراوح صبيان القرى ويغادى

قال ذلك لأن الحجاج كان هو واخوه معلمين بالطائف وكان لقبه كليبا وفى ذلك يقول القائل

أينسى كليب زمان الهذال وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الازهر

يقول خبز المعلمين يأتى مختلفا لأنه من بيوت صبيان مختلفى الاحوال وأنشد ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

أما رأيت بنى بحر وقد حفلوا كأنهم خبز بقال وكُتاب
هذا طويل وهذا حنبل جحد يمشون خلف عمير صاحب الباب

وفى لقبه هذا يقول آخر من اهل الطائف .

كليب تمكن فى ارضكم وقد كان فينا صغير الخطر

أما من طاردهم الحجاج من شيعة الخوارج فكان منهم عمران بن حطان أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل وقد كان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم وفقيههم وكان من حديثه فى هربه فيما حدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن سلام انه لما أطرده الحجاج كان يتنقل فى القبائل فكان اذا نزل فى حى انتسب نسبا يقرب منه ففى ذلك يقول .

نزلنا فى بنى سعد بن زيد وفى عك وعامر عوثبان
وفى لخم وفى أدد بن عمرو وفى بكر وحى بنى الغدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامى وكان روح يقرى الأضياف

---

(١) كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء والاصح او طنت بفتح الهمزة وفتح الطاء قاله ش

وكان مسامرا لعبد الملك بن مروان أسيرا عنده فانتمى له من الأزد وفى غير هذا الحديث ان عبد الملك ذكر روحاً فقال من أعطى مثل ما أعطي أبو زرعة أعطى فقه أهل الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشأم . رجع الحديث فكان روح لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريباً عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطان الا عرفه وزاد فيه فذكر ذلك لعبد الملك فقال ان لى جارا من الأزد ما اسمع من أمير المؤمنين خبرا ولا شعرا الا عرفه وزاد فيه فقال عبد الملك خبرنى ببعض أخباره فخبره وانشده فقال ان اللغة عدنانية وانى لأحسبه عمران ابن حطان قال ثم تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله

ياضربة من تقى ما اراد بها   الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لأذكره حينا فاحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا (١)

فلم يدر عبد الملك لمن هو فرجع روح الى عمران فسأله عنه فقال هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب فرجع روح الى عبد الملك فاخبره فقال له عبد الملك ضيفك عمران بن حطان اذهب فجئنى به فرجع اليه فقال ان أمير المؤمنين قد أحب أن يراك قال عمران قد أردت ان اسألك ذلك فاستحييت منك فامض فانى بالاثر فرجع روح الى عبد الملك فاخبره فقال عبد الملك أما انك سترجع فلا تجده فرجع وقد ارتحل عمران وخلف رقعة فيها

ياروح كم من أخى مثوى نزلت به   قد ظن ظنك من لخم وغسان
حتى اذا خفته فارقت منزله   من بعد ما قيل عمران بن حطان

---

(١) قلبه الفقيه الطبرسى فقال .

ياضربة من شقى ما أراد بها   الا ليهدم من ذى العرش بنيانا
اني لأذكره يوماً فألعنه   ايها وألعن عمران بن حطانا

وقال محمد بن احمد الطبيب يرد عليه

يا ضربة من غدور صار ضاربها   أشقى البرية عند الله انسانا
اذا تفكرت فيه ظلت ألعنه   وألعن الكلب عمران بن حطانا

قد كنت جارك حولا ماتروعنى فيه روائع من انس ومن جان
حتى أردت بى العظمى فأدركنى ماادرك الناس من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ابن زنباع فان له فى النائبات خطوباً ذات ألوان
يوماً يمان اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معديا فعدنانى
لو كنت مستغفرا يوماً لطاغية كنت المقدم فى سرى واعلانى
لكن أبت لى آيات مطهرة عند الولاية فى طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث الكلابى أحد بنى عمرو بن كلاب فانتسب له أو زاعيا وكان عمران يطيل الصلاة وكان غلمان من بنى عامر يضحكون منه فأتاه رجل يوماً ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه زفر فقال من هذا فقال رجل من الأزد رأيته ضيفاً لروح بن زنباع فقال له زفر ياهذا أزديا مرة واوزاعيا مرة ان كنت خائفا أمناك وان كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى هرب وخلف فى منزله رقعة فيها .

ان التى أصبحت يعيا بها زفر أعيت عياء على روح بن زنباع
مازال يسألنى حولا لاخبره والناس من بين مخدوع وخداع
حتى اذا انقطعت عنى وسائله كف السؤال ولم يولع باهلاعى
فاكفف كما كف عنى اننى رجل اما صميم واما فقعة القاع
واكفف لسانك عن لومى ومسألتى ماذا تريد الى شيخ لاوزاع
أما الصلاة فانى غير تاركها كل امرئ للذى يعنى به ساعى
اكرم بروح بن زنباع وأسرته قوم دعا أوليهم للعلا داعى
جاورتهم سنة فيما أسر به عرضى صحيح ونومى غير تهجاع
فاعمل فانك منعىّ بواحدة حسب اللبيب بهذا الشيب من ناعى

ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم يعظمون أمر ابى بلال ويظهرونه فأظهر أمره فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى أهل عمان فارتحل عمران هاربا حتى أتى قوما من الازد فلم يزل فيهم حتى مات وفى ذلك يقول .

نزلنا بحمد الله فى خير منزل نسر بما فيه من الأنس والخفر

نزلنا بقوم يجمع الله شملهم وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
من الأزد ان الازد اكرم أسرة يمانية طابوا اذا نسب البشر
فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر
ام الحى قحطان فتلكم سفاهة كما قال لى روح وصاحبه زفر
وما منهما الا يسر بنسبة تقربنى منه وان كان ذا نفر
فنحن بنو الاسلام والله واحد وأولى عباد الله بالشكر من شكر

ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم فى القرآن والآثار وفى السير والسنن وفى الغريب والشعر وكان بمنزلته فى الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج الرهين المرادى ولكنه كان لا يرى القعود عن الحرب وفى ذلك يقول

يا نفس قد طال فى الدنيا مراوغتى لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا
انى لبائع ما يفنى لباقية ان لم يعقنى رجاء العيش تربيصا
وأسأل الله بيع النفس محتسبا حتى ألاقى فى الفردوس حرقوصا (١)
وابن المنيح ومرداسا واخوته اذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا

وهذه كلمة له وله أشعار كثيرة فى مذاهبهم .

وكان فى جملة الخوارج لدد واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت فنهم الذى طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى فيه الى قاتله وهو يقول «وعجلت اليك رب لترضى» وذكروا ان عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه فرأى منه ماشاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى ماشاء اربا ودهيا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل قال له قل فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذاهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع فى خاطرى ان الجنة خلقت لهم وانى أولى بالجهاد منهم ثم رجعت الى

(١) قال الاخفش حرقوص ذو الثدية

ماثبت الله على من الحجة وقرر فى قلبى من الحق فقلت له لله الآخرة والدنياوقد سلطنى الله فى الدنياومكن لنا فيها وأراك لست تجيب بالقول والله لاقتلنك ان لم تطع فأنا فى ذلك اذ دخل على بابنى مروان قال أبو العباس قال كان مروان اخا يزيد لأمه وامهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان أبيا عزيز النفس فدخل به فى هذا الوقت على عبد الملك باكيا لضرب المؤدب اياه فشق ذلك على عبد الملك فأقبل عليه الخارجى فقال له دعه يبك فانه ارحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى ألا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فأعجب ذلك من قوله عبد الملك فقال له متعجبا أما يشغلك ما أنت فيه ويعرضه عن هذا فقال ماينبغى ان يشغل المؤمن عن قول الحق شيء فأمر عبدالملك بحبسه وصفح عن قتله وقال يعتذر اليه لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتى ماحبستك ثم قال من شككنى ووهمنى حتى مالت بى عصمة الله فغير بعيد ان يستهوى من بعدى وكان عبد الملك من الرأى والعلم بموضع وتزعم الرواة ان رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتب فقال له معاوية اتجد نعتى فى شيء من كتب الله قال اى والله لو كنت فى امة لوضعت يدى عليك من بينهم قال فكيف تجدنى قال أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم قال معاوية فسرى عنى ثم قال لاتقبل هذا منى ولكن من نفسك فاختبر هذا الخبر قال ثم يكون ماذا قال ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجن الاموال ويصطنع الرجال ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تتشعب باقوام حتى يفضى الامر بها الى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لايزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرن لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال شدّما فأراه من بالشام من بنى أمية فقال ما أراه هاهنا فوجه به الى المدينة مع ثقاة من رسله فاذا عبد الملك يسعى مؤتزرا فى يده طائر فقال للرسل هاهوذا ثم صاح به الى أبو من قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك ماتجعل لى قال وما مقدارها

من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال مالى من مال ولكن أرأيتك ان تكلفت لك جعلا أأنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمتك أتؤخره عن وقته قال لا قال فحسبك ماسمعت . فذكروا ان معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يداعنده يجازيه بها فى مخلفيه فى وقته . وكان عبد الملك من اكثر الناس علما وابرعهم أدبا وأحسنهم فى شبيبته ديانة فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة فسلم عليه بها أول تسليمة والمصحف فى حجره فأطبقه وقال هذا فراق بينى وبينك قال أبو العباس وحدثنى ابن عائشة عن حماد بن سلمة فى اسناد ذكره ان عبد الملك كان له صديق من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم فقال له عبد الملك يوما وهو فى عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المرى من مرة غطفان تريد المدينة ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم رسول الله اعظم من جيشه فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال معاذ الله قال له يوسف ماقلت شاكا ولا مرتابا وانى لأجدك بجميع أوصافك قال له عبد الملك ثم ماذا قال ثم يتداولها رهطك قال الى متى قال الى أن تخرج الرايات السود من خراسان قال وحدثت عن أبى جعدبة قال كنت عند أمير المؤمنين المنصور فى اليوم الذى أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قال فغمه ذلك حتى امتنع من الغداء فى وقته وطال عليه فكره فقلت يا أمير المؤمنين أحدثك حديثا كنت مع مروان بن محمد وقد قصده عبد الله بن على فأنا لكذلك اذ نظر الى الأعلام السود من بعد فقال ماهذه البخت المجللة قلت هذه أعلام القوم قال فمن تحتها قلت عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس قال وايهم عبد الله فقلت الفتى المعروف الطويل الخفيف العارضين الذى رأيته فى وليمة كذا يأكل فيجيد فسألتنى عنه فنسبته لك فقلت ان هذا الفتى لتلقامة قال قد عرفته والله لوددت أن على بن أبى طالب مكانه قال فقال لى المنصور آلله اسمعت هذا من مروان بن محمد قلت والله لقد سمعته منه قال ياغلام هات الغداء .

« رجع » قال أبو العباس قول عمران . ياروح كم من أخى مثوى نزلت به .

يقال هذا أبومثواى وللأنثى هذه أم مثواى ومنزل الضيافة وما أشبهه المثوى وكذلك قال المفسرون فى قول الله عز وجل أكرمى مثواه أى اضافته ويقال من هذا ثوى يثوى ثُوِياً وكذلك مضى يمضى مضيا ويقال ثواء ومضاء كما قال

طال الثواء على رسم بيمئود اودى وكل جديد مرة مودى

وقوله فيه روائع من أنس ومن جان . الواحدة رائعة يقال راعنى يروعنى روعاً أى افزعنى قال الله تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الروع ويكون الرائع الجميل يقال جمال رائع يكون ذلك فى الرجل والفرس وغيرهما وأحسب الأصل فيهما واحدا انه يفرط حتى يروع كما قال الله جل ثناؤه يكاد سنا برقه يذهب بالابصار للأفراط فى ضيائه والرائع مهموز وكذلك كل فعل من الثلاثة مما عينه واو أوياء اذا كانت معتلة ساكنة تقول قال يقول وباع يبيع وخاف يخاف وهاب يهاب يعتل اسم الفاعل فيهمز موضع العين نحو قائل وبائع وخائف وهائب فان صحت العين فى الفعل صحت فى اسم الفاعل نحو عور الرجل فهو عاور وصيد فهو صايد والصيد داء يأخذ فى الرأس والعينين والشؤون وانما صحت فى عور وحول وصيد لانه منقول من احول واعور واصيد وقد احكمنا تفسير هذا فى الكتاب المقتضب وقوله

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معديا فعدنان

يريد انا يوما يمان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزا على معنى اتنقل يوما كذا ويوما كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر ينشد نصبا

أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة وفى الحرب أمثال النساء العوارك

العوارك هن الحوائض وكذلك قوله .

أفى الولائم أولادا لواحدة وفى المحافل أولادا لعلات

قال العلات سميت لان الواحدة تعل بعد صاحبتها وهو من العلل وهو الشرب الثانى اى يختلفون ويتحولون فى هذه الحالات ومن كلام العرب أتميميا مرة وقيسيا اخرى وكذلك ان لم تستفهم واخبرت قلت تميميا مرة علم الله وقيسيا أخرى أى تنتقل ومن ثم قال له زفر بن الحارث ازديا مرة وأوزاعيا مرة والرفع

على أنت جيد بالغ وقوله . لو كنت مستغفرا يوما لطاغية. يكون على وجهين لنفس طاغية والآخر للمذكر وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة كما يقال رجل راوية وعلامة ونسابة وكلاهما وجه ويقال جاءت طاغية الروم يراد الجماعة الطاغية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية وقوله عند الولاية اذا فتحت فهو مصدر الولى وفى القرآن العظيم مالكم من ولايتهم من شيء والولاية مكسورة نحو السياسة والرياضة والايالة وهى الولاية وأصله من الاصلاح يقال آله يؤله أولا اذا أصلحه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد ألنا وايل علينا تأويل ذلك قد ولينا وولى علينا وهذه كلمة جامعة يقول قد ولينا فعلمنا مايصلح الوالى وولى علينا فعلمنا مايصلح الرعيــة وقوله . اعيت عياء على روح بن زنباع . أنشدنيه الرياشى . أعيا عياها على روح بن زنباع وانكره كما انكرناه لأنه قصر الممدود وذلك فى الشعر جائز ولا يجوز مد المقصور . وقوله . حتى اذا انقطعت عنى وسائله . فالوسائل واحدها وسيلة وهى الذريعة والسبب يقال قد توسلت الى فلان قال رؤبة بن العجاج.

والناس ان فصلتهم فصائلا كل الينا يبتغى الوسائلا

وقوله ولم يولع بأهلاعى اى بافزاعى وترويعى والهلع من الجبن عند ملاقاة الاقران يقال نعوذ بالله من الهلع ويقال رجل هلوع اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فى كل واحد منهمــا غير الحق قال الله عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقال الشاعر

ولى قلب سقيم ليس يصحو ونفس ما تفيق من الهــلاع

وقوله . اما صميم واما فقعة القاع . الصميم الخالص من كل شيء يقال فلان من صميم قومه اى من خالصهم وقال جرير لهشام بن عبد الملك .

وتنزل من أمية حيث تلقى شؤون الرأس مجتمع الصميم

وقال بعض القرشيين

اذا ما كنت متخذا خليلا فلا تجعــل خليلك من تميم

بلوت صميمهم والعبد منهــم فــا ادنى العبيد من الصميم

وقوله واما فقعــة القاع يقال لمن لا أصل له هو فقعة بقاع وذلك لان الفقعة

لاعروق لها ولا أغصان والفقعة الكمأة البيضاء ويقال حمام فقيع لبياضه ومن ذا قول الشاعر

قوم اذا نسبوا يكون أبوهم عند المناسب فقعة فى قرقر

أما قوله . نسر بما فيه من الأنس والخفر . فأصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خفرة اذا كانت مستترة لاستحيائها قال ابن نمير الثقفى .

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب فى نسوة خفرات

وقوله . ان الأزد اكرم اسرة . يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أى اسرة أنت واصل هذا من الاجتماع يقال للقتب مأسور . ويروى .

يمانية قربْرا اذا نسب البشر . يريد قرُبوا وهذا جائز فى كل شىء مضموم او مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب تقول فى الاسماء فى فِخذ فخْذ وفى عضد عضْد وتقول فى الافعال كرْم عبد الله اى كرم وقد علْم الله اى علم قال الأخطل

فان أهجه يضجر كما ضجْر بازل من الأدْل دبْرت صفحتاه وكاهله

وقال آخر .

عجبت لمولود وليس له أب وذى ولد لم يلده أبوان

ولا يجوز فى ضرب ولا فى جمل ان يسكن لخفة الفتحة .

وقوله أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر . يقول أمن ربيعة أم من مضر . ويجوز فى الشعر حذف ألف الاستفهام لأن أم التى جاءت بعدها تدل عليها قال ابن ربيعة

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان

يريد أبسبع وقال التميمى .

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

والرواية على وجهين أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحى قحطان يريد أذا أم ذا أم ذا والأصلح فى الرواية من ربيعة أو مضر أم الحى قحطان لأن ربيعة أخو مضر فأراد من أحد هذين أم من الحى قحطان لأنه اذا قال أزيد عندك أم عمرو

فالجواب نعم أولا لأن أحد هذين عندك ومعنى الاول أيهما عندك . ويروى وحدثنيه المازنى ان صفية بنت عبد المطلب أتاها رجل فقال لها أين الزبير قالت وما تريد اليه قال أريد أن أباطشه فقالت ها هو ذاك فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فمر بها مغلولا فقالت

كيف رأيت زبرا أأقطا أو تمرا أم قرشيا صقرا

لم تشكك بين الأقط والتمر فتقول أيهما هو ولكنها أرادت أرأيته طعاماً أم قرشيا صقرا أى أأحد هذين رأيته أم صقرا ولو قالت أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه . وقوله . وما منهما الا يسر بنسبة . معناه وما منهما واحد فحذف لعلم المخاطب قال الله جل اسمه (وانْ من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أى وان احد ومعنى ان معنى ما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما أموت وأخرى ابتغى العيش أكدح

يريد فمنهما تارة وقوله

فنحن بنو الاسلام والله واحد وأولى عباد الله بالله من شكر

يقول انقطعت الولاية الا ولاية الاسلام لان ولاية الاسلام قد قاربت بين الغرباء قال الله عز وجل انما المؤمنون أخوة وقال عز وجل فباعد بين القرابة انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وقال نهار بن توسعة اليشكرى .

دعيّ القوم ينصر مدعيه ليلحقه بذى الحسب الصميم
أبى الاسلام لا أب لى سواه اذا افتخروا بقيس أو تميم

٦ لما كان من الحجاج ما كان فى الحث على قتال الخوارج كثر الناس على المهلب فقال اليوم قوتل هذا العدو ولما رأى ذلك قطرى قال انهضوا بنا نريد السرَدان فنتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال أو نأتى سابور وخرج المهلب فى آثارهم فأتى ارجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج نحوهم بسابور فعسكر بكازرون واستعدوا لقتاله فخندق على نفسه ثم وجه الى عبد الرحمن بن مخنف أن خندق على نفسك فوجه اليه خنادقنا سيوفنا فوجه اليه المهلب انى لا آمن

عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرطة جمل فأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأى ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادوا المهلب الحرب فبعث الى ابن مخنف يستمده فأمده بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا فجاءوا وعليهم أقبية بيض جدد فقاتلوا يومئذ حتى عرف مكانهم وحاربهم المهلب وابلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشد . ثم نظر المهلب الى رئيس من الخوارج يقال له صالح بن مخراق وهو ينتخب قوماً من جلة العسكر حتى بلغوا اربعمائة فقال لابنه المغيرة مايعد هؤلاء الاللبيات وانكشف الخوارج والامر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح . وفى ذلك يقول يزيد بن حبناء من الازارقة .

دعى اللوم ان العيش ليس بدائم ولا تعجلى باللوم يا أم عاصم
فأذ عجلت منك الملامة فاسمعى مقالة معنىّ بحقك عالم
ولا تعذلينا فى الهدية انما تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمهد من يكون نهاره جلادا ويمسي ليله غير نائم
يريد ثواب الله يوماً بطعنة غموس كشدق العنبرى بن سالم
أبيت وسربالى دلاص حصينة ومغفرها والسيف فوق الحيازم
حلفت برب الواقفين عشية لدى عرفات حلفة غير آثم
لقد كان فى القوم الذين لقيتهم بسابور شغل عن بزوز اللطائم
توقدُ فى أيديهم زاعبية ومرهفة تفرى شؤون الجماجم

وكان الحجاج كتب الى المهلب من قبل تلك الوقعة . أما بعد فانه بلغنى انك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو وانى وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعى وعباد بن حصين الحبطى وأخذتك وأنت من أهل عمان ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا فى مكان كذا والا أشرعت اليك صدر الرمح . فشاور المهلب بنيه فقالوا انه أمير فلا تغلظ عليه فى الجواب فكتب اليه ورد على كتابك تزعم انى أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت انك وليتنى وأنت

ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك فى فضلهما وغنائهما وبطشهما واخترتني وأنا رجل من الازد ولعمرى ان شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر فى واحدة منهن وزعمت انى ان لم القهم فى يوم كذا فى مكان كذا أشرعت الىّ صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن والسلام ثم كانت الوقعة فلما انصرف الخوارج قال المهلب لابنه المغيرة انى أخاف البيات على بنى تميم فانهض اليهم فكن فيهم فأتاهم المغيرة فقال له الحريش بن هلال يا أبا حاتم أيخاف الأمير ان يؤتى من ناحيتنا قل له فليبت آمنا فانا كافوه ماقبلنا ان شاء الله فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة الى أبيه سرى صالح بن مخراق فى القوم الذين أعدهم الى ناحية بنى تميم ومعه عبيدة بن هلال وهو يقول

انى لمذك للشراة نارها . ومانع ممن أتاها دارها وغاسل بالطعن عنها عارها.

فوجد بنى تميم أيقاظا متحارسين وخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول

لقد وجدتم وُقرا أنجادا لا كشفا ميلا ولا أوغادا
هيهات لا تلفوننا رقادا لا بل اذا صيح بنا آسادا

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم الى أين يا كلاب النار فقالوا انما أعدت النار لك ولأصحابك فقال كل مملوك لى حر ان لم تدخلوا النار ان دخلها مجوسي فيمابين سفوان وخراسان فقال بعضهم لبعض نأتى عسكر ابن مخنف فانه لا خندق عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب وقد زعموا انا أهون عليهم من ضرطة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم الا وقد خالطوهم فى عسكرهم وكان ابن مخنف شريفا يقول رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل

تروح وتغدو كل يوم معظما كأنك فينا مخنف وابن مخنف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقتل وقتل معه سبعون من القراء فيهم نفر من أصحاب على بن أبى طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عنده فجاءهم مغيثا فقاتلهم حتى

نوتث وصرع ووجه المهلب اليهم ابنه حبيبا فكشفهم ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف واصحابه رحمهم الله وصار جنده فى جند المهلب فضمهم الى ابنه حبيب فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن

تركت اصحابنا تدمى نحورهم　　وجئت تسعى الينا خضفة الجمل

فلامهم المهلب وقال بئس ما قلتم والله ما فروا ولا جبنوا ولكنهم خالفوا أميرهم أفلا تذكرون فراركم يوم دولاب وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عنى. قول ابن حبناء . من يكون نهاره جلادا ويمسى ليله غير نائم . يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة وفى القرآن بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكرهم فى الليل والنهار وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص

أما النهار ففى قيد وسلسلة　　والليل فى جوف منحوت من الساج

وقال آخر :

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى　　ونمت وما ليل المطىّ بنائم

ولو قال من يكون نهارَه جلادا ويمسى ليلَه غير نائم لكان جيدا وذاك انه أراد من يكون فى نهاره يجالد جلادا كما تقول انما أنت سيرا وانما أنت ضربا تريد تسير سيرا وتضرب ضربا فأضمر لعلم المخاطب انه لا يكون هو سيرا . ولو رفعه على أن يجعل الجلاد فى موضع المجالد على قوله أنت سير أى أنت سائر كما قالت الخنساء فانما هى اقبال وادبار لجاز . وفى القرآن قل ارأيتم ان أصبح ماؤكم غورا أى غائرا ولو قال ويمسى ليلُه غيرُ نائم لجاز أيضا يصير اسمه فى يمسى ويجعل ليله ابتداء وغير نائم خبره على السعة التى ذكرنا . وقوله غموس يريد واسعة محيطة والعنبرى ابن سالم رجل منهم يقال له الأشدق واللطائم واحدتها لطيمة وهى الأبل التى تحمل البز والعطر وقوله توقد فى أيديهم زاعبية يعنى الرماح والتوقد للأسنة والزاعبية منسوبة الى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح وتفرى تقد يقال فرى اذا قطع وأفرى اذا أصلح . وقول الحريش وجدتم وقرا جمع وقور والنجد ضد البليد وهو المتيقظ الذى لا كسل عنده ولا فتور والأميل فيه قولان

قالوا الذى لا يستقر على الدابة وقالوا هو الذى لا سيف معه والأكشف الذى لا ترس معه والأجمّ الذى لا رمح معه والحاسر الذى لا درع عليه والأعزل الذى لا يتقوم على ظهر الدابة والوغد الضعيف . وقول الآخر خضفة الجمل يريد ضرطة الجمل يقال خضف البعير(١) وأنشدنى الرياشى لأعرابى يذم رجلا اتخذ وليمة

انا وجدنا خلفا بئس الخلف　　أغلق عنا بابه ثم حلف

لا يدخل البواب الامن عرف　　عبد اذا ما ناء بالحمل خضف

يقال ناء بحمله اذا حمله فى ثقل وتكلف وفى القرآن ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة والمعنى ان العصبة تنوء بالمفاتيح وقد مضى تفسير هذا (٢)

٧ بعد أن انتهت تلك الوقعة وجه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثه فى مناجزة القوم وكتب اليه انك لتحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلب لاصحابه حركوهم فخرج فرسان من اصحابه اليهم فخرج اليهم من الخوارج جمع فاقتتلوا الى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أما تملون فقالوا لا حتى تملوا قالوا فمن انتم قالوا تميم قالت الخوارج ونحن بنو تميم فلما أمسوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من اصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها فكلما قتل رجل جاء رجل من اصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتموا فقالت لهم الخوارج ارجعوا فقالوا بل ارجعوا انتم فقالوا ويلكم من انتم فقالوا تميم قالوا ونحن تميم فرجع البراء بن قبيصة الى الحجاج فقال له مه قال رأيت قوماً لا يعين عليهم الا الله وكتب اليه المهلب انى منتظر بهم احدى ثلاث موت ذريع أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم وكان المهلب لا يتكل فى الحراسة على احد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده وبمن يحل محلهم فى الثقة عنده وقال أبو حرملة العبدى يهجو المهلب

عدمتك يا مهلب من أمير　　أما تندى يمينك للفقير

بدولاب أضعت دماء قوم　　وطرت على مواشكة درور

---

(١) وتقول العرب حبَج الرجل وحبَق وخضف ورَدَم كل ذلك اذا ضرط (٢) بأن الكلام جاء على القلب والقلب كثير فى كلام العرب . السباعى

فقال المهلب ويحك والله انى لأقيكم بنفسى وولدى قال جعلنى الله فداء الامير فذاك الذى نكره منك ما كلنا يحب الموت قال ويحك وهل عنه محيص قال لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تقدم عليه اقداما قال المهلب أما سمعت قول الكلحبة اليربوعى

فقلت لكأس ألجميها فانما نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا

قال بلى والله قد سمعته ولكن قولى أحب الىّ منه

فلما وقفتم غدوة وعدوكم الى مهجتى وليت أعداءكم ظهرى
وطرت ولم أحفل مقالة عاجز يساق المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب بئس حشو الكتيبة والله أنت فان شئت أذنت لك فانصرفت الى أهلك فقال بل أقيم معك أيها الامير فوهب له المهلب واعطاه فقال يمدحه

يرى حتما عليه أبو سعيد جلاد القوم فى أولى النفير
اذا نادى الشراة أبا سعيد مشى فى رفل محكمة القتير

الرفل الذيل وقال المهلب ما يسرنى ان فى عسكرى الف شجاع بدل بيهس ابن صهيب فقيل له أيها الأمير بيهس ليس بشجاع فقال أجل ولكنه سديد الرأى محكم العقل وذو الرأى حذر سؤل فأنا آمن ان يغتفل فلو كان مكانه الف شجاع قلت انهم ينشامون حتى يحتاج اليهم . ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بسابور وبين المهلب وبين الشراة عقبة فقال المهلب من يكفينا هذه العقبة الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلب سلاحه وقام الى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله دعانا الأمير الى ضبط العقبة والحظ فى ذلك لنا فلم نطعه ثم لبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا اليه فاذا المهلب والمغيرة لا ثالث لهما فقالوا انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك ان شاء الله فلما اصبحوا اذا بالشراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه يزلق وتلقاه مدرك بن المهلب فى جماعة معه حتى ردوهم فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس اذا الشراة قد تألبوا فقال المهلب سبحان الله أفى مثل هذا اليوم يا مغيرة اكفنيهم فخرج اليهم المغيرة وأمامه سعد

ابن نجد القردوسى (١) وكان شجاعا متقدما فى شجاعته وكان المهلب اذا ظن برجل ان نفسه قد أعجبته قال له لو كنت سعد بن نجد القردوسى ما عدا فخرج أمام المغيرة وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كريه الوجه شديد الحملة صحيح الفروسية فأقبل يحمل على الناس وهو يقول .

نحن صبحنا كم غداة النحر بالخيل أمثال الوشيج تجرى

فخرج اليه سعد بن نجد ثم تجاولا ساعة فطعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع يومئذ المغيرة فحامى عليه سعد وذبيان السختيانى وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عند سقطته حتى صاروا الى أبيه المهلب فقالوا قتل المغيرة ثم أتاه ذبيان السختيانى فاخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته

٨ وجه الحجاج بعد ذلك الجراح بن عبد الله الى المهلب يستبطئه فى مناجزة القوم وكتب اليه أما بعد فانك جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا واكثر عددا وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا ولكنك اتخذت أكلا وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا انكرتنى والسلام . فقال المهلب للجراح يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة الا احتلتها ولا مكيدة الا اعملتها وما العجب من ابطاء النصر وتراخى الظفر ولكن العجب ان يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال ولا يزالون كذلك الى العصر وينصرف اصحابه وبهم قرح وبالخوارج قرح وقتل فقال له قد أعذرت فكتب المهلب الى الحجاج أتانى كتابك تستبطئنى فى لقاء القوم على أنك لا تظن بى معصية ولا جبنا وقد عاتبتنى معاتبة الجبان وأوعدتنى وعيد العاصى فاسأل الجراح والسلام . فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاك قال والله ما رأيت أيها الأمير مثله قط ولا ظننت ان احدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون الى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتخابطون بالعمد ثم يروحون كانلم

---

(١) وقردوس من الازد

يصنعوا شيئا رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشد ما مدحته أباعقبة قال الحق أولى . وكانت رُكب الناس قديماً من الخشب فكان الرجل يُضرب ركابه فينقطع فاذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد وهو أول من أمر بطبعها وفى ذلك يقول عمران بن عصام العنزى .

ضربوا الدراهم فى امارتهم وضربت للحدثان والحرب
حلقا ترى منها مرافقهم كمناكب الجمالة الجرب

وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحي من بنى رياح بن يربوع بن حنظلة وهو والى اصبهان يأمره بالمسير الى المهلب وان يضم اليه جند عبد الرحمن ابن مخنف وان كل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه وأنت على أهل الكوفة فاذا دخلتم بلدا فتحه لأهل الكوفة فانت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة فقدم عتاب فى احدى جماديين من سنة ست وسبعين على المهلب وهو بسابور وهى من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس وعتاب على أصحاب ابن مخنف والخوارج فى أيديهم كرمان وهم بازاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحى فوجه الحجاج الى المهلب رجلين يستحثانه مناجزة القوم أحدهما يقال له زياد بن عبد الرحمن من بنى عامر بن صعصعة والآخر من آل أبى عقيل جد الحجاج فضم المهلب زيادا الى ابنه حبيب وضم الثقفى الى يزيد ابنه وقال لهما خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة فغادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبد الرحمن وفقد الثقفى ثم باكروهم فى اليوم الثانى وقد وجد الثقفى فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبا منهم والثقفى يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدى .

الا يا اصبحانى قبل عوق العوائق وقبل اختراط القوم مثل العقائق
غداة حبيب فى الحديد يقودنا نخوض المنايا فى ظلال الخوافق
حرون اذا ما الحرب طار شرارها وهاج عجاج الحرب فوق البوارق
فمن مبلغ الحجاج ان امينه زيادا أطاحته رماح الأزارق

فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانيــة أشــهر حتى ظهر شبيب فــكتب الحجاج الى عتاب يأمره بالمصير اليــه ليوجهه الى شبيب وكتب الى المهلب بأن يرزق الجند فرزق أهل البصرة وأبى ان يرزق أهل الــكوفة فقال له عتاب ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الــكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال عتاب للمهلب قد كان يبلغني انك شجاع فرأيتك جبانا وكان يبلغني انك جواد فرأيتك بخيــلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لــكنك مُعم مخول فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف ووثب ابن نعيم بن هبيرة بن أخي مصقلة على عتاب فشتمه وقد كان المهلب كارهاً للحلف فلمارأى نصرة بكر بن وائل له سره الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكده فغضبت تميم البصرة لعتاب وغضبت أزد الــكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب فقال لعتاب يا أبا ورقاء ان الأمير يصير لك الى كل ما تحب وسأل اباه أن يرزق أهل الــكوفة فأجابه فصلح الأمر فــكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب وقال عتاب انى لأعرف فضله على أبيه وقال رجل من الأزد من بنى اياد بن سود

الا أبلغ بنى ورقاء عنا فلولا اننــا كنا غضابا
على الشيــخ المهلب اذ جفانا للاقت خيلــكم منا ضرابا

وكان المهلب يقول لبنيه لا تبــدءوهم بقتال حتى يبدءوكم فيبغوا عليــكم فانهم اذا بغوا نصرتم عليهم . قول الصلتان العبدى . وقبل اخترّاط القوم مثــل العقائق . يعنى السيوف والعقائق جمع عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة برق أى كأنه لمعة برق ويقال انعقّ البرق اذا تبسم وللعقيقة مواضع يقال فلان بعقيقة الصبا أى بالشعر الذى ولد به لم يحلقــه ويقال عققت الشئ أى قطعته ومن ذا فلان يعق أبويه وكــذا عققت عن الصبى اذا ذبحت عنه وقال اعرابى

ألم تعلمى يادار بلجاء أننى اذا أجدبت أو كان خصبا جنابها
أحب بلاد الله ما بين مشرف الىَّ وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تميمتى وأول ارض مس جلدى ترابها

٩ لما استدعى الحجاج عتابا ليوجهه الى شبيب شخص اليه سنة سبع وسبعين

فوجهه اليه فقتله شبيب وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا منهم كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بها اصحاب المهلب فرفع ذلك الى المهلب فقال أنا اكفيكموه ان شاء الله فوجه رجلا من اصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر قطرى فقال ألق هذا الكتاب فى عسكر قطرى واحذر على نفسك وكان الحداد يقال له أبزى فمضى الرسول وكان فى الكتاب أما بعد فان نصالك قد وصلت الىّ وقد وجهت اليك بالف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب والدراهم الى قطرى فدعا بابزى فقال ماهذا الكتاب قال لا أدرى قال فهذه الدراهم قال ما أعلم علمها فأمر به فقتل فجاء عبد ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبين فقال له ما حال هذه الدراهم قال يجوز أن يكون امرها كذبا ويجوز أن يكون حقا فقال له قطرى قتل رجل فى صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه فى جماعة ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل انما سجدت لك ففعل النصرانى فقال له قطرى انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا . (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر ذلك عيسى شيئاً فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فانكر ذلك عليه وقال أقتلت ذمياً فاختلفت الكلمة فبلغ ذلك المهلب فوجه اليهم رجلا يسألهم عن شيء تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فمؤمن من أهل الجنة وأما الآخر الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الاختلاف فخرج قطرى الى حدود اصطخر فأقام شهرا والقوم فى اختلافهم ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخراق ياقوم انكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم

فيكم لما ظهر من اختلافكم فعودوا الى سلامة القلوب واجتماع الكلمة وخرج عمرو القنا فنادى يا أيها المحلون هل لكم فى الطراد فقد طال العهد به ثم قال

الم ترأنا مذ ثلاثون ليلة   قريب واعداء الكتاب على خفض

فتهايج القوم وأسرع بعضهم الى بعض فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب وصار فى وسط الأزارقة فجعلت الرماح تحطه وترفعه واعتورت رأسه السيوف وعليه ساعد حديد فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيئاً واستنقذه فرسان من الأزد بعد ان صرع وكان الذى صرعه عَبيدة بن هلال وهو يقول

انا ابن خير قومه هلال * شيخ على دين أبى بلال * وذاك دينى آخر الليالى

فقال رجل للمغيرة كنا نعجب كيف تصرع والآن نعجب كيفُ تنجو وقال المهلب لبنيه ان سرحكم لغارّ ولست آمنهم عليه أفوكلتم به أحدا قالوا لا فلم يستتم الكلام حتى أتاه آت فقال ان صالح بن مخراق قد أغار على السرح فشق ذلك على المهلب وقال كل أمر لا أليه بنفسى فهو ضائعٌ وتذمر عليهم فقال له بشر ابن المغيرة ارح نفسك فان كنت انما تريد مثلك فوالله لا يعدل أحدنا شسع نعلك فقال خذوا عليهم الطريق فثار بشر بن المغيرة ومدرك والفضل ابنا المهلب فسبق بشر الى الطريق فاذا رجل أسود من الازارقة يشلّ السرح أى يطرده وهو يقول .

نحن قمعناكم بشل السرح   وقد نكأنا القرح بعد القرح

ولحقه الفضل ومدرك فصاحا برجل من طيء اكفنا الاسود فاعتوره الطائي وبشر بن المغيرة فقتلاه وأسرا رجلا من الأزارقة فقال له المهلب ممن الرجل قال رجل من همدان قال انك لشين همدان وخلى سبيله وكان عياش الكندى شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك فقال المهلب لاوألت نفس الجبان بعد عياش وقال المهلب ما رأيت كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيد فيهم

قوله بشل السرح الشل الطرد ويقال نكأت القرحة مهموز ونكيت العدوّ غير مهموز من النكاية ونكأت القرحة نكأ قال ابن هرمة

ولا أراها تزال ظالمة   تحدث لى قرحة وتنكؤها

١٠ ثم ان الحجاج وجه الى المهلب رجلين أحدهما من كلب والآخر من سليم يستحثانه بالقتال فقال المهلب متمثلا

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وقال ليزيد حركهم فحركهم فتهايجوا وذلك فى قرية من قرى اصطخر فحمل رجل من الخوارج من بنى تميم ولا أدرى أعمرو القنا هو أو غيره على رجل من اصحاب المهلب فطعنه فشك فخذه بالسرج فقال المهلب للرجلين كيف تقاتل قوما هذا طعنهم وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرقاد وهو من فرسان المهلب وأحد بنى مالك بن ربيعة على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة وقد وضع عليها القطن فلما حمل يزيد ولى الجمع وحماهم فارسان فقال يزيد لقيس الخشنى مولى العتيك مَن لهذين قال أنا فحمل عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس فصرعه وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا الى الارض فصاح قيس اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا معانقه امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد أما انت فبارزتها على انها رجل فقال ارأيت لو قتلت أما كان يقال قتلته امرأة . وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسى فقال غلام له يقال له خلاج والله لوددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير الى مستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين فقال له مولاه وكيف تمنيت اثنتين قال لأعطيك احداهما وآخذ الأخرى فقال ابن المنجب

أخلاج انك لن تعانق طفلة شرقا بها الجادى كالتمثال
حتى تلاقى فى الكتيبة معلما عمرو القنا وعبيدة بن هلال
وترى المقعطر فى الكتيبة مقدما فى عصبة قسطوا مع الضلال
أو أن يعلمك المهلب غزوة وترى جبالا قد دنت لجبال

وكان بدر بن الهذيل شجاعا وكان لحانة فكان اذا أحسّ بالخوارج نادى ياخيل الله اركبى وله يقول القائل

واذا طلبت الى المهلب حاجة عرضت توابع دونه وعبيد
العبد كردوس وعبد مثله وعلاج باب الاحمرين شديد

وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسنا عرف مكانه فيه وكانت بينه وبين بنى المهلب جفوة فقال لهم يابنى عم انى قد قصرت عن شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأنى لا موصول ولا محروم فاجعلوا لى فرجة أعش بها هبونى امرأ رجوتم نصره أو خفتم لسانه فرجعوا له ووصلوه وكلموا فيه المهلب فوصله الشعر الذى تمثل به المهلب لأوس بن حجر وقوله زبنته يقول دفعته ولم يترمرم أى لم يتحرك يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم وقول ابن المنجب طفلة يقول ناعمة واذا كسرت الطاء فقلت طفلة فهى الصغيرة والجادىّ الزعفران والكتيبة الجيش وانما سمى الجيش كتيبة لانضمام اهله بعضهم الى بعض وبهذا سمى الكتاب ومنه قولهم كتبت البغلة والناقة وكتبت القربة اذا خرزت ذلك الموضع منها والمعلم الذى قد شهر نفسه بعلامة اما بعمامة صبيغ واما بشهرة واما بغير ذلك وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه معلما يوم بدر بريشة نعامة فى صدره وكان أبو دجانة وهو سماك بن خرشة الانصارى يوم أحد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ سيفى هذا بحقه قالوا وما حقه يارسول الله قال أن يضرب به فى العدو حتى يتحنى قال أبو دجانة أنا فدفعه اليه فلبس مشهرة فاعلم بها وكان قومه يعلمون لما بلوا منه انه اذا لبس تلك المشهرة لم يبق فى نفسه غاية ففعل وخرج يمشى بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله عز وجل الا فى مثل هذا الموضع . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليا رضوان الله عليه يقول لفاطمة ورمى اليها بسيفه فقال هاك حميدا فاغسلى عنه الدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقه معك سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وفى بعض الحديث وقيس بن الربيع وكل هؤلاء من الانصار . عاد الحديث الى ذكر الخوارج وعمرو القنا من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكان شجاعا بئيسا قال رجل من عبد القيس من اصحاب المهلب

سائل بنا عمرو القنا وجنوده وأبا نعامة سيد الكفار

وأبو نعامة قطرى وعبيدة بن هلال من بنى يشكر بن بكر بن وائل وكان

مع تقدمه فى الفروسية خطيبا شاعرا ذا فطنة ويروى أن قاضى قطرى وهو رجل من بنى عبد القيس سمع قوله

علا فوق عرش فوق سبع ودونه   سماء ترى الارواح من دونها تجرى

فقال له العبدى كفرت الا أن تأتى بمخرج قال عبيدة نعم روح المؤمن تعرج الى السماء قال صدقت . وقال يذكر رجلا منهم

يهوى وترفعه الرماح كأنه   شلو تنشب فى مخالب ضارى

فثوى صريعا والرماح تنوشه   ان الشراة قصيرة الاعمار

تنوشه تأخذه وتتناوله قال الله عز وجل وأنى لهم التناوش من مكان بعيد أى التناول ومثل بيته هذا قول حبيب الطائى

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى   افناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

وقال أيضا فى شبيه بهذا المعنى

ان ينتحل حدثان الموت أنفسكم   ويسلم الناس بين الحوض والعطن

فالماء ليس عجيبا ان أعذبه   يفنى ويمتد عمر الآجن الأسن

وقال أيضا

عليك سلام الله وقفا فاننى   رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال القاسم بن عيسى

أحبك يا جنان فأنت منى   مكان الروح من بدن الجبان

ولو انى أقول مكان روحى   لخفت عليك بادرة الزمان

لاقدامى اذا ما الحرب جاشت   وهاب حماتها حر الطعان

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى

أكان الجبان يرى انه   يدافع عنه الفرار الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان   ويسلم منها الشجاع البطل

رجع الحديث والمقعطر من عبد القيس وقوله قسطوا أى جاروا يقال قسط يقسط فهو قاسط اذا جار قال الله جل ثناؤه وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ويقال أقسط يقسط فهو مقسط اذا عدل قال الله تعالى ان الله يحب المقسطين

أما قول الآخر العبد كردوس فهو رجل من الازد وكان حاجب المهلب وقوله وعلاج باب الأحمرين شديد فالعرب تسمى العجم الحمراء وقد فسرنا ذا (١) وقوله توابع اراد به الرجال فجاز فى الشعر وانما رده الى أصله للضرورة وما كان من النعوت على فاعل فجمعه فاعلون لئلا يلتبس بجمع فاعلة التى هى نعت وقد قلنا فى هذا ولم قالوا فوارس وهالك فى الهوالك . (٢)

١١ لما توغل المهلب وراء الخوارج ولى الحجاج كردما بلاد فارس فوجهه اليها والحرب قائمة فقال رجل من اصحاب المهلب

ولو رآها كردم لكردما كردمة العير أحس الضيغما

الضيغم الاسد والكردمة النفور فكتب المهلب الى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن اصطخر ودراب جرد لأرزاق الجند ففعل وكان قطرى هدم مدينة اصطخر لان أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه أز اذمرد بن الهربذ بمائة الف درهم فلم يهدمها (٣) فواقعه المهلب فهزمه ونفاه الى كرمان واتبعه ابنه المغيرة وقد كان دفع اليه سيفا وجه به الحجاج الى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى ابنه المغيرة بعد ماتقلد به فرجع به المغيرة اليه وقد دماه فسر المهلب بذلك وقال مايسرنى ان أكون كنت دفعته الى غيرك من ولدى اكفنى جباية خراج هاتين الكورتين وضم اليه الرقاد فجعلا يجبيان ولا يعطيان الجند شيئا ففى ذلك يقول رجل منهم واحسبه من بنى تميم فى كلمة له

ولو علم ابن يوسف ما نلاقى من الآفات والكرب الشداد
لفاضت عينه جزعا علينا وأصلح ما استطاع من الفساد
الا قل للأمير جزيت خيرا أرحنا من مغيرة والرقاد
فما رزقا الجنود بها قفيزا وقد ساست مطامير الحصاد

يقال ساس الطعام وأساس اذا وقع فيه السوس وداد واداد من الدود وروى

---

(١) راجع هامش الفهرس السباعى . (٢) راجع هامش الفهرس . السباعى
(٣) تقدمت له حكاية مع الحجاج عن محمد بن المنتشر الهمدانى السباعى

ابو زيد ديد فهو ممدود فى هذا المعنى قال فحاربهم المهلب بالسيرجان حتى نفاهم عنها الى جيرفت واتبعهم فنزل قريبا منهم

١٢ لما نفى المهلب القوم الى جيرفت ونزل قريبا منهم اختلفت كلمتهم وكان سبب ذلك ان عبيدة بن هلال اليشكرى اتهم بامرأة رجل حداد رأوه مرارا يدخل منزله بغير اذن فأتوا قطريا فذكروا ذلك له فقال لهم ان عبيدة من الدين بحيث علمتم ومن الجهاد بحيث رأيتم فقالوا انا لا نقارّه على الفاحشة فقال انصرفوا ثم بعث الى عبيدة فأخبره وقال انا لا نقار على الفاحشة فقال بهتونى ياأمير المؤمنين فما ترى قال انى جامع بينك وبينهم فلا تخضع خضوع المذنب ولا تتطاول تطاول البرىء فجمع بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم الآيات فبكوا وقاموا اليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا ففعل فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بنى قيس ابن ثعلبة والله لقد خدعكم فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة فى اقامة الحد ثبتا وكان قطرى قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطريا فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطرى انى استعملته وله ضياع وتجارات فأوغر ذلك صدورهم وبلغ هذا المهلب فقال ان اختلافهم أشد عليهم منى وقالوا لقطرى ألا تخرج بنا الى عدونا قال لا ثم خرج فقالوا قد كذب وارتد فاتبعوه يوما فاحس بالشر فدخل دارا مع جماعة من أصحابه فصاحوا به يادابة اخرج الينا فخرج اليهم فقال رجعتم بعدى كفارا فقالوا أولست دابة قال الله عزوجل (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) ولكنك قد كفرت بقولك انا قد رجعنا كفارا فتب الى الله عزوجل قال فشاور عبيدة بن هلال فقال ان تبت لم يقبلوا منك ولكن قل انما استفهمت فقلت أرجعتم بعدى كفارا فقال ذلك فقبلوه منه فرجع الى منزله وعزم ان يبايع المقعطر العبدى فكرهه القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم ابغ لنا غير المقعطر فقال قطرى أرى طول العهد قد غيركم وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله وأقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم فقال صالح ان الناس قبلنا

ساموا عثمان بن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصى ففعل ويجب على الامام أن يعفى الرعيـة مما كرهت فأبى قطرى أن يعزله فقال له القوم انا خلعناك وولينا عبدربه الصغير فانفصل الى عبد ربه اكثر من الشطر وجلهم الموالى والعجم وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القراء ثم ندم صالح فقال لقطرى هـذه نفحـة من نفحات الشيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا الى عدوك فأبى قطرى الا المقعطر فحمل فتى من العرب على صالح فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله ومعنى أجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه . قال عنترة

وآخر منهـم أجررت رمحى وفى البجـلى معبـلة وقيع

فنشبت الحرب بينهـم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم الى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديدا فأجلت الحرب عن ألفى قتيل فلما كان الغد باكروهم القتال فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة وأقام عبد ربه بها وصار قطرى خارجا منها بازائهم فقال له عبيدة يا أمير المؤمنين أن أقمت لم آمن هذه العبيد عليك الا أن تخندق فخندق على باب المدينة وجعل يناوشهم وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الامير عاجلهم قبل أن يصطلحوا فقال المهلب انهم لن يصطلحوا ولـكن دعهم فأنهم سيصيرون الى حال لا يفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطرى فقل انى لم أزل ارى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذا فبان خطؤه أيقيم بين المهلب وعبد ربه يغاديه هذا القتال ويراوحه هذا فنمى الـكلام الى قطرى فقال صدق تنحوا بنا عن هذا الموضع فان اتبعنا المهلب قاتلناه وان اقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون فقال له الصلت بن مرة ياأمير المؤمنين ان كنت تريد الله فأقدم على القوم وان كنت تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا وأنشأ يقول

قل للمحلين قد قرت عيونـكم بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناسا عـلى دين ففيرنا طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم عن الجدال وأغناهم عن الخطب

انى لا هو نكم فى الأرض مضطربا مالى سوى فرسى والرمح من نشب

ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه منه فارتحل قطرى هاربا وفى هربهم هذا يقول عبيدة بن هلال .

مازالت الاقدارحتى قذفتنى بقومس بين الفرّخان وصول

١٣ لما ارتحل قطرى وبلغ ذلك المهلب قال لهريم بن عدى بن أبى طحمة المجاشعي انى لا آمن ان يكون قطرى كادنا بترك موضعه فاذهب فتعرف الخبر فمضى هريم فى اثنى عشر فارسا فلم ير فى العسكر الاعبدا وعلجا فسألهما عن قطرى وأصحابه فقال مضوا يرتادون غير هـذا المنزل فرجع هريم الى المهلب فأخبره فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطرى ثم جعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشى ففى ذلك يقول رجل من سدوس يقال له المعنق وكان فارسا

ليت الحرائر بالعراق شهدننا ورأيننا بالسفح ذى الاجبال

فنكحن أهل الجزء من فرساننا والضاربين جماجم الابطال

ووجه المهلب يزيد الى الحجاج يخبره انه قد نزل منزل قطرى وانه مقيم على عبد ربه ويسأله ان يوجه فى اثر قطرى رجلا جلدا فى جيش فسر ذلك الحجاج سرورا أظهره (حدثنا يموت بن المزرع البصرى قال حدثنا رفيع بن سلمة المنبز بدماذ قال حدثنا ابو عبيدة قال قال الحجاج يوما لعمائر العرب وهم فى مجلسه ما احسب هذا المزونى يعنى المهلب يناصحنا فى حربنا والرأى مشترك فقالوا الرأى للامير أصلحه الله ان يكتب الى ابن الفجاءة باطعامه بعض الارضين فاذا هو نخع بطاعته واظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه فقال وفقكم الله وكتب الى ابن الفجاءة وانفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى قطرى بن الفجاءة سلام عليك الموحد الله والمصلى عليه محمد عليه السلام أما بعد فانك كنت اعرابيا بدويا تستطعم الكسرة وتخف الى التمرة ثم خرجت تحاول ماليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت عليه بما زين لك وادعنى فقد آن لك . فلما أوصل الغضبان الكتاب الى قطرى قال ياغلام ازبر هـذه الصحيفة فتلا عليه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء فقال ياغضبان ألفيتنى

محزونا وانشأ يقول

فيا كبدا من غير جوع ولا ظما　　وواكبدا من وجد أم حكيم
فلو شهدتني يوم دولاب أبصرت　　طعان فتى فى الحرب غير لئيم
غداة طفت علماء بكر بن وائل　　وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول حدنا　　وآب عميد الأزد غير ذميم

يعني المهلب وأم حكيم هذه امرأة من الخوارج قتلت بين يديه ثم قال يا غلاما كتب

بسم الله الرحمن الرحيم من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على من اتبع الهدى ذكرت فى كتابك انى كنت بدويا استطعم الكسرة وابدر الى التمرة وبالله لقد قلت زورا بل الله بصرني من دينه ما اعماك عنه اذ أنت سائح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر وذكرت أن الضرورة طالت بي فهلا برزلى من حزبك من نال الشبع واتكأ فاتدع أما والله لئن ابرزا لله صفحتك وأظهرلى صلعتك لتنكرن شيعتك ولتعلمن أن مقارعة الابطال ليس كتسطير الامثال). ثم كتب الى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب وفى الكتاب . أما بعد فانك تراخى عن الحرب حتى تأتيك رسلى فترجع بعذرك وذلك انك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ولو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم ولعمرى ما أنت والقوم سواء لان من ورائك رجالا وأمامك أموالا وليس للقوم الا مامعهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير . فقال المهلب لاصحابه ان الله عز وجل قد أراحكم من اقران اربعة قطرى بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع وانما بين أيديكم عبد ربه فى خشار من خشار الشيطان تقتلونهم ان شاء الله فكانوا يتغادون القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون كانما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم الى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قد بان عذرك وأنا مخبر الامير فكتب المهلب اليه . أما بعد فانى لم أعط رسلك على قول الحق أجرا ولم أحتج منهم مع المشاهدة الى تلقين ذكرت انى اجم القوم ولا بد من راحة يستريح فيها

الغالب ويحتال فيها المغلوب وذكرت ان فى ذلك الجمام ماينسى القتلى وتبرأ منه الجراح وهيهات ان ينسى ما بيننا وبينهم تأبى ذلك قتلى لم تجن وقروح لم تتقرف ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ان طمعوا حاربوا وان ملوا وقفوا وان يئسوا انصرفوا وعلينا ان نقاتلهم اذا قاتلوا ونتحرز اذا وقفوا ونطلب اذا هربوا فان تركتني والرأى كان القرن مقصوما والداء باذن الله محسوما وان اعجلتني لم أطعك ولم أعص وجعلت وجهى الى بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس . ولما اشتد الحصار على عبدربه قال لاصحابه لا تفتقروا الى من ذهب عنكم من الرجال فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره والمسلم اذا صح توحيده عز بربه وقد أراحكم الله من غلظة قطرى وعجلة صالح بن مخراق واختلاط عبيدة بن هلال ووكلكم الى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونية وانتقلوا عن منزلكم هذا من قتل منكم قتل شهيدا ومن سلم من القتل فهو المحروم وقدم فى هذا الوقت على المهلب عبيد بن أبى ربيعة ابن أبى الصلت الثقفى يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال له خالفت وصية الأمير وآثرت المدافعة والمطاولة فقال له المهلب ما تركت جهدا فلما كان العشى خرج الأزارقة وقد حملوا حرمهم واموالهم وخف متاعهم لينتقلوا فقال المهلب لأصحابه الزموا مصافكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب فقال له عبيد هذا لعمرى أيسر عليك فقال للناس ردوهم عن وجهتهم وقال لبنيه تفرقوا فى الناس وقال لعبيد بن أبى ربيعة كن مع يزيد فخذه بالمحاربة أشد الأخذ وقال لأحد الامينين كن مع المغيرة ولا ترخص له فى الفتور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عقرت الدواب وصرع الفرسان وقتلت الرجال فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الخسيس أشد قتال وسقط رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادى يقول

الليل ليل فيه ويل ويل وسال بالقوم الشراة السيل
ان جاز للاعداء فينا قول

فلما عظم الخطب فيه بعث المهلب الى المغيرة خل عن الرمح عليهم لعنة الله

فخلى لهم عنه ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من « جيرفت » ودخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خلفوه من رقيق وختم عليه هو والثقفى والأمينان .

١٤ لما ارتحل الخوارج عن جيرفت ودخلها المهلب أمر باتباعهم فاذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الا قوى يأتى الرجل بالدلو قد شدها فى طرف رمحه فيستقى بها وهناك قرية فيها أهلها قال فغاداهم القتال وضم الثقفى الى يزيد وأحد الأمينين الى المغيرة واقتتل القوم الى نصف النهار فقال المهلب لأبى علقمة العبدى وكان شجاعا عاتيا أمدد بخيل اليحمد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال له ان جماجمهم ليست بفخار فتعار وليست أعناقهم كرادئ فتنبت (١) وقال لحبيب بن اوس كر على القوم فلم يفعل وقال

يقول لى الأمير بغير علم تقدم حين جد به المراس
فمالى ان اطعتك من حياة ومالى غيرَ هذا الرأس راس

نصب غير لأنه استثناء مقدم وقد فسرناه (٢) وقال لمعن بن المغيرة بن أبى صفرة احمل فقال لا الا ان تزوجنى ام مالك بنت المهلب ففعل فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم وقال .

ليت من يشترى الغداة بمال هالكه اليوم عندنا فيرانا
نصل الكر عند ذاك بطعن ان للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج فالتفت عند ذلك المهلب الى المغيرة فقال ما فعل الأمين الذى كان معك قال قتل وكان الثقفي قد هرب وقال ليزيد ما فعل عبيد بن أبى ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الأمين الآخر للمغيرة أنت قتلت صاحبى فلما كان العشى رجع الثقفى فقال رجل من بنى عامر بن صعصعة .

ما زلت يا ثقفى تخطب بيننا وتغمنا بوصية الحجاج

---

(١) قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لأعذاق النخل كراد وهو فارسى اعرب (٢) راجع هامش الفهرس . السباعي

حتى اذا ما الموت أقبل زاخرا ... وسما لنا صرفا بغير مزاج
وليت يا ثقفي غير مناظر ... تنساب بين أحزة وفجاج
ليست مقارعة الكماة لدى الوغى ... شرب المدامة فى اناء زجاج

الاحزة جمع حزيز وهو متن ينقاد من الأرض ويغلظ والفجاج الطرق واحدها فج وقال المهلب للأمين الآخر ينبغي ان تتوجه مع ابنى حبيب فى الف رجل حتى تبيتوا عسكرهم فقال ما تريد أيها الأمير الا ان تقتلنى كما قتلت صاحبي قال ذاك اليك وضحك ولم تكن للقوم خنادق فكان كل حذرا من صاحبه غير ان الطعام والعدة مع المهلب وهم فى زهاء ثلاثين الفا فلما أصبح اشرف على واد فاذا هو برجل معه رمح مكسور قد خضبه بالدماء وهو ينشد

جزانى دوائى ذو الخمار وصنعتى ... اذا بات أطواء بنىّ الأصاغر
أخادعهم عنه ليغبق دونهم ... وأعلم غير الظن أنى مغاور
كأنى وابدان السلاح عشية ... يمر بنا فى بطن فيحان طائر

فدعاه المهلب فقال أتميمى أنت قال نعم قال أحنظلى قال نعم قال أيربوعى قال نعم قال أثعلبى قال نعم قال أمن آل نويرة قال نعم انا من ولد مالك بن نويرة وسبحان الله أيها الأمير أيكون مثلى فى عسكرك لا تعرفه قال عرفتك بالشعر قال فمكثوا اياما على غير خنادق يتحارسون ودوابهم مسرجة ولم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها عبد ربه جمع أصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله فى الدنيا يهبها لكم فى الآخرة فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا نسي به ما كان قبله فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعنى على الموت فبايعه أربعون رجلا من الأزد وغيرهم فصرع بعضهم وقتل بعض وجرح بعض فقال عبد الله بن رزام الحارثى وكان من أهل نجران لأصحاب المهلب احملوا فقال المهلب أعرابى مجنون فحمل وحده فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع ثم كر ثانية ففعل

حملته الأولى وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو القنا ولم يترجل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء اربعمائة . موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا انا اذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب بأصحابه الأرض الأرض وقال لبنيه تفرقوا فى الناس ليروا وجوهكم ونادى الخوارج ألا ان العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدى أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يا بنى انى أرى موطنا لا ينجو فيه الا من صبر وما مر بى يوم مثل هذا منذ مارست الحروب وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا فاجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا فهرب عمرو القنا وأصحابه واستأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج فأمر المهلب بأن يدفع كل جريح الى عشيرته وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف الى جيرفت .

قول الشاعر ذو الخمار يعنى فرسا وكان ذو الخمار فرس مالك بن نويرة قال جرير يهجو الفرزدق .

بيربوع فخرت وآل سعد　　فلا مجدى بلغت ولا افتخارى

بيربوع فوارس كل يوم　　يوارى شمسه رهج الغبار

عتيبة والأحيمر وابن عمرو　　وعتاب وفارس ذى الخمار

وقوله أطواه يقال رجل طوى البطن أى منطو يخبر انه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم جياع وذلك قوله . أخادعهم عنه ليغبق دونهم . والغبوق شرب آخر النهار وهذا شئ تفتخر به العرب قال الأسعر الجعفى

لكن قعيدة بيتنا مجفوة　　باد جناجن صدرها ولها غنى

تقفى بعيشة أهلها وثابة　　أو جرشعا نهد المراكل والشوى

١٥ لما عاد المهلب الى جيرفت بعد قتل عبد ربه والقضاء على اصحابه قال الحمد لله الذى ردنا الى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيش ثم نظر الى قوم فى عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولونى درعى فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صير بهم اليه قال ما أنتم قالوا نحن قوم جئنا نطلب غرتك لنفتك بك

فأمر بهم فقتلوا ثم وجه كعب بن معدان الاشقرى ومرة بن تليد الأزدى من أزد شنوءة فوفدا على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فانشده

يا حفص انى عدانى عنكم السفر (١) فقال له الحجاج أشاعر أم خطيب قال كلاهما ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال له اخبرنى عن بنى المهلب قال المغيرة فارسهم وسيدهم . وكفى بيزيد فارسا وشجاعا . وجوادهم وسخيهم قبيصة . ولا يستحيي الشجاع أن يفر من مدرك . وعبد الملك سم ناقع . وحبيب موت زعاف . ومحمد ليث غاب . وكفاك بالمفضل نجدة . قال فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أملوا وأمنوا ما خافوا . قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات . قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها . قال فكيف كنتم انتم وعدوكم قال كنا اذا أخذنا عفونا واذا أخذوا يئسنا منهم واذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف افلتكم قطرى قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه الى الذى نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان الحد عندنا آثر من الفل قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشا فيهم الأمن وشملهم النفل قال أكنت أعددت لى هذا الجواب قال لا يعلم الغيب الا الله قال فقال الحجاج هكذا تكون والله الرجال المهلب كان أعلم بك حيث وجهك وكان كتاب المهلب الى الحجاج . بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافى بالاسلام فقدما سواه الذى حكم بألا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده . أما بعد فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم اكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا اكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ونوم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة فى وقت امكانها وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . فكتب اليه الحجاج أما بعد فان الله عز وجل قد

---

(١) وقد سهرت فأردى نومى السهر

فعل بالمسلمين خيرا وأزاحهم من حد الجهاد وكنتَ أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابى هـذا فاقسم فى المجاهدين فيئهم وتفل الناس على قدر بلائهم وفضل من رأيت تفضيله وان كانت بقيت من القوم بقية تخلف خيلا تقوم بأزائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهما من ولدك ولا ترخص لأحد فى اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم علىّ وعجل القدوم ان شاء الله. فولى المهلب ابنـه يزيد كرمان وقال له يابنى انك اليوم لست كما كنت اعالك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج ولن تحتمل الا على ما احتمل عليه أبوك فأحسن الى من معك وان انـكرت من انـاس شيئا فوجهه الىّ وتفضل على قومك ثم قدم المهلب على الحجاج

١٦ لما قدم المهلب على الحجاج اجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الأيادى

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه ... هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
لا مترفا اذ رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعاً طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم الرأى لا قحما ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير والله لكأنى اسمع الساعة قطريا وهو يقول «المهلب كما قال لقيط الايادى» ثم أنشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى امتلأ سرورا . فقال المهلب انا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أحدّ ولـكن دمغ الحق الباطل وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للتقوى وكان ما كرهناه من المطاولة خـيرا مما أحببناه من العجلة فقال له الحجاج صدقت اذكر لى القوم الذين أبلوا وصف لى بلاءهم فأمر المهلب الناس فـكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ماذخر الله لـكم خير لـكم من عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم فى البلاء وتفاضلهم فى الغناء وقـدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمدا وقال انه والله لو تقدمهم أحد فى البلاء لقدمته عليهم ولولا أن

أظلمهم لاخرتهم قال الحجاج صدقت وما أنت بأعلم بهم منى وان حضرت وغبت انهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر المهلب معن بن المغيرة بن أبى صفرة والرقاد واشباههما فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذا فارس العرب فقال الرقاد أيها الامير انى كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمنى الصبر ويجعلنى أسوة نفسه وولده ويجازينى على البلاء صرت أنا واصحابى فرسانا فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم وزاد ولد المهلب الفين وفعل بالرقاد وجماعة شبيها بذلك

وقال جيب بن عوف من قواد المهلب

أبا سعيد جزاك الله صالحة ... فقد كفيت ولم تعنف على أحد
داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا ... وكنت كالوالد الحانى على الولد

وقال المغيرة بن حبناء الحنظلى من أصحاب المهلب

انى امرؤ كفنى ربى واكرمنى ... عن الامور التى فى رعيها وخم
وانما أنا انسان أعيش كما ... عاشت رجال وعاشت قبلها أمم
ماعاقنى عن قفول الجند اذقفلوا ... عنى بما صنعوا عجز ولا بكم
ولو أردت قفولا ما تجهمنى ... اذن الأمير ولا الكتاب اذرقموا
ان المهلب ان اشتق لرؤيته ... أو امتدحه فان الناس قد علموا
ان الأريب الذى ترجى نوافله ... والمستعان الذى تجلى به الظلم
القائل الفاعل الميمون طائره ... أبو سعيد اذا ما عدت النعم
ازمانَ ازمانَ اذعض الحديد بهم ... واذ تمنى رجال انهم هزموا

قول الحجاج نفل الناس أى اقسم بينهم والنفل العطية التى تفضل كذا كان الأصل وانما تفضل الله عز وجل بالغنائم على عباده قال لبيد . ان تقوى ربنا خير نفل(١) وقال جل جلاله (يسألونك عن الأنفال) ويقال نفلتك كذا وكذا أى أعطيتك ثم صار النفل لازماً واجباً . وقول الأيادى رحب الذراع فالرحب الواسع وانما هذا مثل يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين والذراعين وليس المعنى

---

(١) وباذن الله ريث وعجل .

على تباعد الخلق ولـكن على سهولة الأمر عليه قال الشاعر

رحيب الذراع بالتى لا تشينه وان قيلت العوراء ضاق بها ذرعا

وكذا قوله عز وجل (يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله مضطلعا انما هو مفتعل من الضليع وهو الشديد يريد انه قوى على أمر الحرب مستقل بها وقوله . يكون متبعاً طورا ومتبعاً ،أى قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس واتبع فعلم ما يصلح الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قـد ألنا وايل علينا أى قد اصلحنا أمور الناس وأصلحت أمورنا وقوله على شزر مريرته فهذا مثل يقال شزرت الحبل اذا كررت فتله بعد استحكامه راجعا عليه والمريرة الحبل والضرع الصغير الضعيف والقحم آخر سن الشيـخ قال العجاج

رأين قحما شاب واقلحما طال عليـه الدهر فاسلهما

والمقلحم مثل القحم وهو الجاف ويقال للصبى مقلحم اذا كان سيىء الغذاء أو ابن هرمين ويقال رجـل انقحل وامرأة انقحلة اذا أسن حتى ييبس والمسلهـم الضامر قال الشاعر . لما رأتنى خلقا انقحلا . ويقال فى معنى قحم قحر ويقال بعير قحارية فى هذا المعنى وقوله لايطعم النوم الا ريث يبعثه هم فريث وعوض مما يضاف الى الأفعال وتأويله انه لا يطعم النوم الا يسيرا حتى يبعثه الهم فمعناه مقدار ذلك . ومما يضاف الى الافعال اسماء الزمان كقوله عز ذكره (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهـم) فاسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل نحو قولك آتيك يوم يخرج زيد وجئتك يوم قام عبد الله وما كان منها فى معنى الماضى جاز ان يضاف الى الابتـداء والخبر فتقول جئتك يوم زيد أمير ولا يجوز ذلك فى المستقبل وذلك لأن الماضى فى معنى اذ وأنت تقول جئتك اذ زيد أمير والمستقبل فى معـنى اذا فلا يجوز ان تقول أجيئك اذا زيد أمـير فلذلك لا يجوز أجيئك يوم زيد أمير فاما الأفعال فى اذا واذ فهى بمنزلة واحدة تقول جئتك اذ قام زيد وأجيئك اذا قام زيد فهـذا واضح بين . ومما يضاف الى الفـعل ذو فى قولك افعل ذاك بذى تسـلم وافعلاه بذى تسلمان معناه بالذى يسلمكما . ومن ذلك آية فى قوله

باية تقدمون الخيل شعثا كأن على سنابكها مداما

والنحو يتصل ويكثر وانما تركنا الاستقصاء لأنه موضع اختصار

الفصل الثانى فى الموالى

١ كانت قريش تعز الحليف وتكرم المولى وتكاد تلحقه بالصميم وكانت العرب تفعل ذلك ولقريش فيه تقدم

٢ ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش موتة زيدا مولاه وقال ان قتل فأميركم جعفر . وأمر اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا فى امارته وكانت امرته على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصارفقال عليه الصلاة والسلام ان طعنتم فى امارته لقد طعنتم فى امارة أبيه قبله ولقدكان لها أهلا وان اسامة لها لاهل . وقالت عائشة لوكان زيدحياً ما استخلف رسول الله غيره . وقال عبدالله بن عمرلأبيه لم فضلت أسامة عليّ وأنا وهو سيان فقال كان أبوه أحب . الى رسول الله من أبيك وكان هوأحب الى رسول الله منك . وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أسامة أذى من مخاط أولعاب فكأنها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . وقال له يوماً ولم يكن أسامة من أجمل الناس لوكنت جارية لنحلناك وحليناك حتى يرغب الرجال فيك . وفى بعض الحديث انه قال أسامة من أحب الناس اليّ .

٣ ويروى ان سلمان أخذ من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها فى فيه فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أباعبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا . . وكان صلى الله عليه وسلم أدى الى بنى قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولاه ولذا قال على بن أبى طالب سلمان منا أهل البيت .

٤ ودخل سديف مولى أبى العباس على أبى العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف أقبل على ابى العباس وقال

لا يغرنك ما ترى من أناس ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

فاقبل عليه سليمان فقال قتلتنى أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فدخل فاذا المنديل قد ألقى فى عنق سليمان ثم جر فقتل .

٥ ودخل شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على وقد أجلس ثمانين رجلا من بنى أمية على سمط الطعام فمثل بين يديه فقال

أصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وأواسى
ذلها أظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظنى وغاظ سوائى قربهم من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدا وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذى بحران أضحى ثاويا بين غربة وتناسى
نعم شبل الهراش مولاك شبل لو نجا من حبائل الأفلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً ثم قال لشبل لولا انك خلطت كلامك بالمسألة لأغنمتك جميع أموالهم ولعقدت لك على جميع موالى بنى هاشم قوله الآساس واحدها أس وتقديره فعل وأفعال وقد يقال للواحد أساس وجمعه أسس والبهلول الضحاك . وقوله بعد ميل من الزمان وياس يقال فيك ميل علينا وفى الحائط ميل وكذلك كل منتصب . وقوله واقطعن كل رقلة الرقلة النخلة الطويلة ويقال اذا وصف الرجل بالطول كأنه رقلة والأوامى ياؤه مشددة فى الأصل وتخفيفها يجوز ولو لم يجز فى الكلام لجاز فى الشعر لأن القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه فى القوافى جائز كقوله .

. أصحوت اليوم أم شاقتك هر (١) . وواحدها آسيّة وهي أصـل البناء بمنزلة الأساس . وقوله وغاظ سوائي تقول ما عنـدى رجل سوى زيد فتقصر اذا كسرت أوله فاذا فتحت اوله على هذا المعنى مددت قال الأعشى

تجانف عن جو اليمامة ناقتى وماقصدت من أهلها لسوائكا

والسواء ممدود فى كل موضع وان اختلفت معانيه فهذا واحد منه والسواء الوسط ومنه قوله عز وجل فاطلع فرآه فى سواء الجحيم وقال حسان

يا ويح انصار النبى ورهطه بعد المغيب فى سواء الملحد

والسواء العدل والاستواء ومنـه قوله عز وجل الى كلمة سواء بيننا وبينكم ومن ذلك عمرو وزيد سواء والسواء التمام يقال هذا درهم سواء وأصـله من الأول . وقوله عزوجل فى أربعة أيام سواءً للسائلين معناه تماما ومن قرأ سواءٍ فانما وضعه فى موضع مستويات والنمارق واحدتها نمرقة وهى الوسائد قال الفرزدق

وانا لتجرى الكأس بين شروبنا وبين أبى قابوس فوق النمارق

وقال نصيب .

اذا ما بساط اللهو مـد وقربت للذاته انماطه ونمـارقه

وقوله مصرع الحسين وزيدا يعنى زيد بن على بن الحسين كان خرج على هشام بن عبدالملك وقتله يوسف بن عمر الثقفى وصلبه بالكناسة عريانا هو وجماعة من أصحابه ويروى الزبيريون انه كان بين يوسف بن عمر وبين رجل احنة فكان يطلب عليه علة فلما ظفر بزيد بن على واصحابه أحسوا بالصلب فاصلحوا من أبدانهم واستحدوا فصلبوا عراة وأخذ يوسف عـدوه ذلك فنحله انه كان من اصحاب زيد فقتـله وصلبه ولم يكن استحد لانه كان عند نفسه آمنا . وكان بالكوفة رجل معتوه عقده التشيع فكان يجئ فيقف على زيد واصحابه فيقول صلى الله عليك يا ابن رسول الله فقد جاهدت فى الله حق جهاده وانـكرت الجور ودافعت الظالمين ثم يقبل عليهـم رجلا رجـلا فيقول وأنت يا فلان فجزاك الله خيرا فقـد جاهدت فى الله حق جهاده وانـكرت الجور ونصرت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ومن الحب جنون مستعر

حتى يقف على عـدو يوسف فيقول فأما أنت يا فلان فوفور عانتـك يدل على انك برىء مما قرفت به . وقال حبيب بن جَدَرة الهلالى ويقال جُدْرة (١) وهى السلعة وهو من الخوارج يعنى زيد بن على

يابا حسـين لو شراة عصابة　　صبحوك كان لوردهم اصـدار

يابا حسين والجديد الى بـلى　　أولاد دَرْزَة اسلموك وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط أولاد درزة وتقول لمن تسبه ابن فرتنى وتقول للصوص بنو غبراء وفى هذا باب . ويروى أن شاعرا لبنى أمية قال معارضا للشيع فى تسميتهم زيدا المهدى والشاعر هو الاعور الكلبى

صلبنا لـكم زيدا على جذع نخلة　　ولم نر مهديا على الجذع يصلب

ونظر بعد زمين الى رأس زيد ملقى فى دار يوسف وديك ينقره فقال قائل من الشيعة

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد　　طالما كان لاتطاه الدجاج

وقوله وقتيلا بجانب المهراس يعنى حمزة بن عبد المطلب والمهراس ماء بأحد ويروى فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه على فى دَرَقة بماء من المهراس فعافه فغسل به الدم عن وجهه وقال ابن الزبعرى فى يوم أحد

ليت أشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الاسل

فاسأل المهراس من ساكنه　　بعد أبدان وهام كالحجل

وانما نسب شبل قتـل حمزة الى بنى أمية لان أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد والقتيل الذى بحران هو ابرهيم بن محمد بن على وهو الذى يقال له الامام وكان يقال ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العَقر فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن أبى طالب واصحابه ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب واصحابه

---

(١) قال الاخفش الصحيح عندنا ابن خِدرة بالخاء وكسرها وقال المبرد لم اسمعه الا جَدَرة ويقال جُدره

٦ ويروى أن المهدى نظر اليـه ويد عمارة بن حمزة فى يده فقال له رجل من هذا يا أمير المؤمنين فقال أخى وابن عمى عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر ذلك المهدى كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت أن تقول ومولاى فأنفض والله يدك من يدى فتبسم أمير المؤمنين المهدى

٧ وقد كان فى قريش مَن فيه جفوة و نبوة للموالى كان نافع بن جُبَير أحد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشي قال واقوماه وان قيل عربى قال واىادتاه وان قيل مولى أو عجمى قال اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت .

٨ ولم يكن الا كرام للموالى فى جفاة العرب زعم الأصمعي قال سمعت اعرابيا يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا فى الجنة قال أرى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبـل ذلك . ويروى أن ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فأما العجم فهم عبيدك والامر اليك . وزعم الليثى (١) انه كانت بين جعفر ابن سليمان و بين مسمع بن كردين منازعة و بين يدى مسمع مولى له ذو بهاء ورواء ولسن فوجـه جعفر الى مسمع مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان أنصفنى والله جعفر أنصفته وان حضر حضرت معه وان عَنَد عن الحق عندت عنه وان وجه الىّ مولى مثل هذا واومأ الى مولى جعفر وجهت اليه مولى مثل هـذا عاضا لما يكره واومأ الى مولاه فعجب أهل المجلس من وضعه مولاه ذاك الذى تبهى بمثله العرب وقـد قيل الرجل لأبيه والمولى من مواليـه وفى بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طينة المعتق

٩ ويروى أن رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هداب المازنى وهو فى ذلك الوقت سـيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى أذن له فى هدم داره فأدخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحها سأفا كف عنه ثم قال يا عمرو قد أريتك القدرة وسأريك العفو

(١) هو الجاحظ

١٠ قال أبو العباس قال الليثى أعتق سعيد بن العاصي أبا رافع الا سهما واحدا فيه من اسهم لم يسم عددها لنا فاشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السهم فاعتقه وكان لأبى رافع بنون أشراف منهم عبيد الله بن أبى رافع وحديثه أثبت الحديث عن على بن أبى طالب وكان كالكاتب له وكان عبيد الله ابن أبى رافع شريفاً وكان ينسب الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولى عمرو بن سعيد الأشدق المدينة لم يعمل شيئا قبل ارساله الى عبيد الله بن أبى رافع فقال له مولى من أنت قال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبرزه فضربه مائة سوط ثم قال له مولى من أنت فقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه مائة أخرى فلما رأى عبد الله اخاه عبيدا غير راجع وأن عمرا قد ألح عليه فى ضربه قام الى عمرو فقال له اذكر الملح فأمسك عنه والملح هاهنا اللبن يريد الرضاع كما قال أبو الطمحان القينى

وانى لارجو ملحها فى بطونكم ... وما بسطت من جلد أشعث أغبرا (١)

وكما قال الآخر

لا يبعد الله رب العباد ... والملحُ ما ولدت خالده

١١ ويروى ان عبيد الله بن أبى رافع أتى الحسن بن على بن أبى طالب فقال انا مولاك فقال فى ذلك مولى لتمام بن عباس بن عبد المطلب يعذله ويعيره

جحدت بنى العباس حق أبيهم ... فما كنت فى الدعوى كريم العواقب

متى كان اولاد البنات كوارث ... يحوز ويدعى والدا فى المناسب

(قال أبو العباس) يريد ان العباس أولى بولاء مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن العم مدعو والدا فى كتاب الله تعالى وهو يحوز الميراث . وقال رجل من الثقفيين أنشدت مروان بن أبى حفصة هذين البيتين فوقع عندى أنه من هذا أخذ قوله .

انى يكون وليس ذاك بكائن ... لبنى البنات وراثة الأعمام

---

(١) كذا وقعت الرواية والصواب أغبرِ لان قبله

ولو علمت صرف البيوع لسرها ... بمكة أن تبتاع حمضا بأذخر قاله (ش)

الفى سهامهم الكتاب فما لهم ان يشرعوا فيه بغير سهام

وقال طاهر بن على بن سليمان بن عبد الله بن العباس للطالبين

لو كان جدكم هناك وجدنا فتنازعا فيها لوقت خصام

كان التراث لجدنا من دونه فحواه بالقربى و بالاسلام

حق البنات فريضة معروفة والعم أولى من بنى الاعمام

١٢ وذكر الزبيريون عن ابن الماجشون قال جاءني رجل من لد أبى رافع فقال انى قد قاولت رجلا من موالى بعض العرب فقلت أنا خير منك فقال بل أنا خير منك فما الذى يجب لى عليه فقلت ليس فى هذا شيء فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم انه خير منى قال قلت قد يتصرف هذا على غير الحسب قال فلما رآنى لا أقضى له بشيء قال لى أنت دافع مغرما لان ولائى عنده ليس فى موضع مرضى قال وصدق فى بنى تيم لتيم من هو أشرف ولاء منى

١٣ وحدثت ان اسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان فى أمر ضيعة يدعيها كل واحد منهما فلجت بهما الخصومة فقال عمرو يا اسامة اتأنف ان تكون مولاى فقال اسامة والله ما يسرنى بولائى من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبك ثم ارتفعا الى معاوية فلجا بين يديه فى الخصومة فتقدم سعيد بن العاصي الى جانب عمرو فجعل يلقنه الحجة فتقدم الحسن الى جانب اسامة يلقنه فوثب عتبة بن ابى سفيان فصار مع عمرو ووثب الحسين فصار مع اسامة فقام عبد الرحمن ابن أم الحكم فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن العباس فجلس مع اسامة فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع اسامة فقال معاوية الجلية عندى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اقطع هذه الضيعة أسامة فانصرف الهاشميون وقد قضى لهم فقال الأمويون لمعاوية هلا اذ كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل التحزب أو أخرتها عن هذا المجلس فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس .

١٤ وكان الذى اعتد به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جبير لما أتى به اليه بعد انقضاء امر ابن الاشعث وكان سعيد عبدا لرجل من بنى أسد بن خزيمة

فاشتراه سعيد بن العاصى فى مائة عبد فاعتقهم جميعا أن قال له الحجاج ياشقى ابن كُسيرٍ أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها الا عربى فجعلتك اماما قال بلى قال أفما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء الا لعربى فاستقضيت أبا بردة بن ابى موسى الأشعرى وامرته الا يقطع أمرا دونك قال بلى قال اوما جعلتك فى سمارى وكلهم من رءوس العرب قال بلى قال أو ما اعطيتك مائة الف درهم لتفرقها فى أهل الحاجة ثم لم أسألك عن شىء منها قال بلى قال فما أخرجك علىّ قال بيعة كانت لابن الأشعث فى عنقى فغضب الحجاج ثم قال أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك فى عنقك قبل والله لأقتلنك ياحرسى اضرب عنقه .

١٥ ونظر الحجاج فاذا جل من خرج مع عبد الرحمن «من الفقهاء وغيرهم» من الموالى فاحب ان يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ويخلطهم بأهل القرس والأنباط فقال انما الموالى علوج وانما أتى بهم من القرى فقراهم أولى بهم فأمر بتسييرهم من الأمصار واقرار العرب بها وأمر بان ينقش على يد كل انسان منهم اسم قريته وطالت ولايته فتوالد القوم هناك فخبثت لغات اولادهم وفسدت طبائعهم فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرج من كان فى سجن الحجاج من المظلومين فيقال انه أخرج فى يوم واحد ثمانين الفا ورد المنقوشين فرجعوا فى صورة الأنباط ففى ذلك يقول الراجز

جارية لم تدر ما سوق الأبل أخرجها الحجاج من كن وظل
لو كان بدر حاضرا وابن حَمَل ما نقشت كفاك فى جلد جَمَل

وقال شاعر لأهل الكوفة لما استقضى عليها نوح بن دراج (١)

يا أيها الناس قد قامت قيامتكم اذ صار قاضيكم نوح بن دراج
لو كان حياله الحجاج ما سلمت كفاه ناجيةً من نقش حجاج

ويروى عن حسان المعروف بالنبطى صاحب منارة حسان فى البطيحة قال أريت الحجاج فيما يُرَى النائم فقلت أصلح الله الأمير ما صنع الله بك فقال يانبطى أهذا عليك قال فرأيتنا لا تفلت من نقشه فى الحياة ومن شتمه بعد الوفاة

(١) وينسب للفرزدق .

ويروى عن حسان انه قص هـذه الرؤيا على محمد بن سيرين فقال له ابن سيرين لقد رأيت الحجاج بالصحة (قال أبو العباس) وحدثت من ناحية الزبيريين ان الجحاف بن حكيم دخل على عبد الملك والاخطل عنده فلما بصر به الأخطل قال

الا ابلغ الجحاف هل هو ثائر　　بقتلى اصيبت من سليم وعامر

فقال الجحاف

بلى سوف نبكيهم بكل مهند　　ونبكى عميرا بالرماح الخواطر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترىء على بمثل هذا ولو كنت مأسورا لك فخـم الأخطل خوفا فقال له عبد الملك انا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتنى منه فى اليقظة فمن يجيرنى منه فى النوم ومن هذا أو نحوه أخذ السلمى (١)قوله

وعلى عدوك يا ابن عم محمد　　رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبـه رعتـه واذا هـدا　　سلت عليه سيوفك الأحلام

الفصل الثالث ـ فى الشعراء

١ من جميل محاورات العرب ما روى لنا عن يحيى بن محمد بن عروة عن أبيه عن جده قال . أقحمت السنة علينا النابغة الجعدى فلم يشعر به ابن الزبير حين صلى الفجر حتى مثل بين يديه يقول .

حكيت لنا الصديق لما وليتنا　　وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس فى العدل فاستووا　　فعاد صباحا حالك اللون مظلم

أتاك أبو ليلى يشق به الدجى　　دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لترفع منه جانبا ذعذعت به　　صروف الليالى والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليـلى فأيسر وسائلك عندنا الشعر أما صفوة أموالنا فلبنى أسد وأما عفوتها فلآل الصديق ولك فى بيت المال حقان حق بصحبتك رسول الله صـلى الله عليـه وسلم وحق بحقـك فى المسلمين ثم أمر له

---

(١) قال ابو الحسن هو أشجع السلمي يقوله للرشيد

بسبع قلائص وراحلة رحيل ثم أمر بان توقر له حبا وتمرا فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستجمع به الحب فيأكله فقال له ابن الزبير لشدما بلغ منك الجهد يا أبا ليلى فقال له النابغة أما على ذلك لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما استرحمت قريش فرحمت وسئلت فأعطت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين .

قوله اقحمت السنة يكون على وجهين يقال اقتحم اذا دخل قاصدا واكثر ما يقال من غير أن يدخل ويكون من القحمة وهى السنة الشديدة وهو أشبه الوجهين والآخر حسن والسنة الجدب يقال اصابتهم سنة أى جدب ومن ذا قوله جل وعز ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أى بالجدب وقوله صفوة فهى فى معنى الصفو واكثر ما يستعمل الكسر والباب فى المصادر للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجلسة والركبة والمشية والنيمة كأنها خلقة والعفوة انما هو ماعفا أى ما فضل وخذ العفو قالوا الفضل وكذلك قوله جل اسمه ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله عشمشم يريد الموثق الخلق الشديد وذعذعت أى أذهبت ماله وفرقت حاله وقوله راحلة رحيل أى قوية على الرحلة معودة لها ويقال فحل فحيل أى مستحكم فى الفحلة وفى الحديث أن ابن عمر قال لرجل اشتر لى كبشا لأضحى به أملح واجعله أقرن فحيلا وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين الفارط الذى يتقدم القوم فيصلح لهم الدلاء والارشية وما أشبه ذلك من أمرهم حتى يرووا ومن ذلك قول المسلمين فى الصلاة على الطفل اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض .

٢ وحدثت أن عمر بن عبدالله بن أبى ربيعة أتى المدينة فأقام بها ففى ذلك يقول

يا خليلىّ قد مللت ثوائى ... بالمصلى وقد شنئت البقيعا

فلما أراد الشخوص شخص معه الاحوص بن محمد فلما نزلا «ودّان» صار اليهما نصيب فمضى الاحوص لبعض حاجته فرجع الى صاحبيه فقال انى رأيت كثيرا بموضع كذا فقال عمر فابعثوا اليه ليصير الينا فقال الاحوص أهو يصير اليكم هو والله اعظم كبرا من ذلك قال فاذاً نصير اليه فصاروا اليه وهو جالس على جلد كبش

فوالله مارفع منهم أحدا ولا القرشى ثم أقبل على القرشى فقال يا أخا قريش والله لقد قلت فأحسنت فى كثير من شعرك ولكن خبرنى عن قولك

قالت لها أختها تعاتبها ... لاتفسدن الطواف فى عمر (١)
قومى تصدى له ليبصرنا ... ثم اغمزيه يا أخت فى خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرت تشتد فى أثرى

والله لو قلت هذا فى هرة أهلك ما عدا أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك أهكذا يقال للمرأة انما توصف بالخفر وانها مطلوبة ممتنعة هلا قلت كما قال هذا وضرب بيده على كتف الاحوص .

ادور ولولا ان أرى أم جعفر ... بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زوّارا ولكن ذا الهوى ... اذا لم يزر لابد ان سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر ... وانى الى معروفها لفقير

قال فامتلأ الاحوص سرورا فاقبل عليه فقال يا أحوص خبرنى عن قولك

فان تصلى أصلك وان تعودى ... لهجر بعد وصلك لا أبالى

أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت هلا قلت مثل ماقال هذا وضرب بيده على جنب نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب ... وقل ان تملينا فما ملك القلب

قال فانتفخ نصيب ثم أقبل عليه فقال له ولكن خبرنى عن قولك يا أسود

أهيم بدعد ماحييت وان أمت ... فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

كأنك اغتممت الا يفعل بها بعدك «ولا يكنى» فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت الفرقة . والفرقة لعبة على خطوط فاستواؤها انقضاؤها (٢)

(٣) قال وحدثت ان كثيرا دخل على عبد الملك بن مروان وعنده الاخطل فانشده فالتفت عبد الملك الى الاخطل فقال كيف ترى فقال حجازى مجوّع مقرور

---

(١) كذا وقعت الرواية لاتفسدن على النهى والصحيح لتفسدن على القسم كأنها قالت والله لتفسدن (٢) قال أبو الحسن الطبين هى السدر فاذا زيد فى خطوطه سمته العرب الفرقة وتسميه العامة السدر

دعنى أضغمه يا أمير المؤمنين فقال له هذا الاخطل فقال له كثير مهلا فهلا ضغمت الذى يقول

لا تطلبن خؤولة فى تغلب فالزنج اكرم منهم أخوالا(١)
والتغلبى اذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الامثالا

فسكت الاخطل فما اجابه بحرف قال أبو العباس سمعت من ينشد هذا الشعر . والتغلبى اذا تنبح للقرى . وهو أبلغ

٤ وخبرت أن نصيبا نزل بامرأة تكنى أم حبيب من أهل ملل وكانت تضيف فى ذلك الموضع وتقرى ولا يزال الشريف قد نزل بها فأفضل عليها الفضل الكثير ولا يزال الشريف ممن لم يحلل بها يتناولها بالبر ليعينها على مروتها فنزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش فلما أرادوا الرحلة عنها وصلها القرشيان وكان نصيب لا مال معه فى ذلك الوقت فقال لها ان شئت فلك أن اوجه اليك بمثل ما أعطاك أحدهما وان شئت قلت فيك شعرا فغزلت ام حبيب (٢) فقالت بل الشعر فقال

الاحى قبل البين ام حبيب وان لم تكن منا غدا بقريب
وان لم يكن انى احبك صادقا فما أحد عندى اذا بحبيب
تهام أصابت قلبه ملليـة غريب الهوى واهاً لكل غريب

٥ وحدثت ان نصيبا اتى عبد الملك فانشده فاستحسن عبد الملك شعره وسر به فوصله ثم دعا بالغداء فطعم منه فقال له عبد الملك يانصيب هل لك فيما يتنادم عليه فقال يا أمير المؤمنين تأمانى قال قد أراك فقال يا أمير المؤمنين جلدى أسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح ولست فى منصب وانما بلغ بى مجالستك ومؤاكلتك عقلى وأنا أكره يا امير المؤمنين ان ادخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه فأعفاه . وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفدة وفدها عليه وقد أكلا هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما أحللته ولكنى

(١) أخوالا منصوب على الحال ومن زعم انه تميز فقد اخطأ (٢) أى مالت الى ان يتغزل بها

أمنع اهل عملى منه وأكره ان أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فأعفاه .

٦ وقال مسلمة بن عبد الملك يوما لنصيب أمدحت فلانا «لرجل من أهله» فقال قد فعلت قال أوحرمك قال قد فعل قال فهلا هجوته قال لم أفعل قال ولم قال لانى كنت أحق بالهجاء منه اذ رأيته موضعا لمدحى فأعجب به مسلمة فقال اسألنى قال لا أفعل قال ولم قال لان كفك بالعطية أجود من لسانى بالمسألة فوهب له ألف دينار .

٧ وحدثت ان الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له فكان فيما أنشده .

وقد رأينا بها حورا منعمة   بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فثنى نصيب خنصره فقال له الكميت ماتصنع فقال أحصى خطأك تباعدت فى قولك. تكامل فيها الدل والشنب . هلا قلت كما قال ذو الرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس   وفى اللثات وفى انيابها شنب

ثم أنشده فى أخرى

كأن الغطامط من جريها   أراجيز أسلم تهجو غفارا (١)

فقال له نصيب ما هجت أسلم غفارا قط فاستحيا الكميت فسكت

قال ابو العباس والذى عابه نصيب من قوله. تكامل فيها الدل والشنب. قبيح جدا وذلك ان الكلام لم يجر على نظم ولا وقع الى جانب الكلمة مايشاكلها وأول ما يحتاج اليه القول ان ينظم على نسق وان يوضع على رسم المشاكلة وخبرت ان عمر بن لجأ قال لابن عم له أنا أشعر منك قال له وكيف قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وأنشد عمرو بن بحر .

وشعر كبعر الكبش فرق بينه   لسان دعى فى القريض دخيل

وبعر الكبش يقع متفرقا فمن ذلك قول ابنة الحطيئة له لما نزل فى بنى كليب ابن يربوع تركت الثروة والعدد ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش يقال بعر وبعر

---

(١) وقعت الرواية من جريها وصوابه من غليها لانه يصف قدرا فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذى يرتفع .

وشعر وشعر وشمع وشمع ويقال للصدر قص وقصص وكذلك نهر ونهر وزعم الاصمعى انه سأل اعرابيا وهو بالموضع الذى ذكره زهير فى قوله

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم ماء بشرقى سلمى فيد أوركك

قال الاصمعى فقلت للاعرابى أتعرف ركَكا فقال لا ولكن قد كان هاهنا ماء يسمى ركا فهذه ليست فيها لغتان ولكن الشاعر اذا احتاج الى الحركة اتبع الحرف المتحرك الذى يليه الساكن مايشاكله فحرك الساكن بتلك الحركة قال عبد مناف بن ربع الهذلى (١)

اذا تجاوب نوح قامتا معه ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

يريد الجلد فهذا مطرد (٢) ومن مذاهبهم المطردة فى الشعر ان يلقوا على الساكن الذى يسكن مابعده للتقييد حركة الاعراب كما قال الراجز (٣)

أنا ابن ماوية اذجد النقُر . يريد النقْر يافتى وهو النقر بالخيل فلما اسكن الراء ألقى حركتها على الساكن الذى قبلها (٤) وشبيه بهذا قوله

عجبت والدهر كثير عجبه من عنزى سبنى لم اضربُه

اراد لم أضربه يافتى فلما أسكن الهاء التى حركتها على الباء وكان ذلك فى الباء أحسن لخفاء الهاء وقال ابو النجم . أقول قرب ذا وهذا أزحلُه . يريد أزحله يافتى (٥) وقال طرفة

حابسى ربع وقفت به لو أطيع النفس لم أرُمه

ولم يلزمه رد الياء لما تحركت الميم لان تحركها ليس لها على الحقيقة وانما هى حركة الهاء . (قال أبو العباس) واما قول الشاعر

حديث بنى بدر اذا ما لقيتهم كنزو الدبى فى العرفج المتقارب

(١) ش ربعى (٢) قال ابن القوطية لعج الحب قلبه والصرد جسده أحرقه.
(٣) قال ابن السيد أحسبه لعبيد بن ماوية (٤) النقر صويت باللسان يسكن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس .

أخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفا غير جاف غضيض

(٥) اقول قرب ذا وهذاك ازحله كذا عن ش .

فليس كقوله وشعر كبعر الكبش ولكنه وصفهم بضؤولة الاصوات وسرعة الكلام وادخال بعضه فى بعض والذى يحمد الجهارة والفخامة وأنشدت لرجل قال يمدح الرشيد

جهير الكلام جهير العطاس   جهير الرواء جهير النغم
ويخطو على الاين خطو الظليم   ويعلو الرجال بخلق عمم (١)

ويروى ان الرشيد كان يأتزر فى الطواف فيذنب ازاره ويباعد بين خطاه فاذا رجع بيده كاد يفتن من يراه فعند ذلك مدح بهذا الشعر . ويروى ان عائشة رحمها الله نظرت الى رجل متماوت فقالت ما هذا فقالوا أحد القراء فقالت قد كان عمر بن الخطاب قارئا فكان اذا قال أسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجع

ويروى ان عمر بن الخطاب رحمه الله نظر الى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه بالدرة وقال لا تمت علينا دينا اماتك الله . ويروى ان عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس أتته وفود من الروم وقام السماطان فأتى برجل منهم وعطس أحد من فى السماطين فاخفى عطسته فقال له عبد الملك لما انقضى أمر الوفد هلا اذ كنت لئيم العطاس أتبعت عطستك صيحة حتى تخلع بها قلب العلج وكان العباس بن عبد المطلب رحمه الله أجهر الناس صوتا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس يوم حنين يا عباس اصرخ بالناس

ويروى ان غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاستسقطت الحوامل لشدة صوته . وقد طعن فى قول النابغة الجعدى (٢)

زجر أبى عروةَ السباعَ اذا   اشفق ان يختلطن بالغنم (٣)

وذلك ان الرواة احتملت هذا البيت على انه كان يزجر الذئب ونحوها مما يغير على الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه فقال من يطعن فى هذا السبع أشد

(١) الرجل هو العمانى الشاعر وقوله عمم اى جسيم والاين الاعياء ويكون الاين الحية وهو الايم (٢) وأزجر الكاشح العدو اذا اغتابك عندى زجرا على وضم. (٣) ويروى زجرابى عروة السباعِ بخفض السباع كما قيل قيس الرقيات فصار على هذا يعرف بابى عروةِ السباعِ مثل ذلك

أيدا من الغنم فاذا فعل ذلك بالسبع هلكت الغنم قبله فقال من يحتج له ان الغنم كانت قد أنست بهذا منه والصوت الرائع انس لمن انس به كالرعد القاصف الذى لولا خشية صاعقته لم يفزع كبير فزع ولو جاء أقل منه من جوف الأرض لذعر ولم يبعد أن يقتل اذا أتى من حيث لم يعتد وجملة هـذا البيت انه وصف شدة صوت المذكور وتأويله انه من تكاذيب الاعراب .«وفيها باب»

٨ دخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك بن المنذر ابن الجارود ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسرى فقال يا أبت هذه عمر بن يزيد الأسيدى ضرب آنفا ألف سوط فمات فشد على حمار فقال الفرزدق كانك والله يا بنى بمثل هذا الحديث قد تحدث به عن أبيك وكان الحسن اذ ذاك عند محبوس له فقال يا أبا فراس ما عندك ان كان ذلك فقال والله يا أبا سعيد لله أحب الى من سمعى وبصرى ومن مالى وولدى ومن أهلى وعشيرتى أفتراه يخذلنى فقال الحسن لا وكان عمر بن يزيد الأسيدى شريفا حدثنى التوزى عن أبى عبيدة قال كان رجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسيدى ورجل أهل الشام عمر بن هبيرة الفزارى ورجل أهل الكوفة بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى فقيل ذلك لعمر ابن عبد العزيز فقال أجل لولا خب فى بلال فقال بلال لما بلغه ذلك رمتنى بدائها وانسلت وقتله مالك بن المنذر تعصبا فيما تذكره المضرية فلما دخل مالك على هشام أقبل على أصحابه فقال أما رأيتم عمر بن يزيد اما انى ما تمنيت ان تكون امى ولدت رجلا من العرب غـيره ثم قال لمالك قتلت والله خيرا منـك حسبا ونسبا ودينا وعقبا فقال وكيف يا أمير المؤمنين ألست ابن المنذر بن الجارور وابن مالك بن مسمع وكان جده لأمه . وجعل عمر والسياط تأخذه ينادى يا هشاماه ففى ذلك يقول الفرزدق

أَلم يك مقتل العبدى ظلما   أبا حفص من الكبر العظام

قتيـل جماعة فى غير حق   يقطع وهو يدعو ياهشام

٩ والتقى الحسن والفرزدق فى جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدرى مايقول الناس يا أبا سعيد قال وما يقولون قال يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس

وشر الناس فقال الحسن كلا لست بخيرهم ولست بشرهم ولكن ما أعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة وخمس نجائب لا يدركن يعنى الصلوات الخمس فزعم بعض التميمية انه رئى فى النوم فقيل له ما صنع بك ربك فقال غفرلى فقيل له بأى شىء فقال بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن . وماتت بنت عم للمنصور فحضر جنازتها وجلس لدفنها وأقبل أبو دلامة الشاعر فقال له المنصور ويحك ما أعددت لهذا اليوم فقال يا أمير المؤمنين ابنة عمك هذه التى واريتها قبيل قال فضحك المنصور حتى استغرب

١٠ وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى فى اسناد ذكره قال كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم فيسر بذلك ويجذل به ويقول ايه فِدا لكم أبى وأمى كذا والله كان آباؤكم (١)

١١ قال أبو العباس ونظر اليه أبو هريرة الدوسى فقال له مهما فعلت فقنطك الناس فلا تقنط من رحمة الله ثم نظر الى قدميه فقال انى أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقعا صالحا يوم القيامة . يقال قَنِط يقنَط وقنَط يقنِط وكلاهما فصيح فاقرأ بايهما شئت وكذلك نقم ينقم ونقم ينقم .

١٢ والفرزدق يقول فى آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله الا يكذب ولا يشتم مسلما .

ألم ترنى عاهدت ربى واننى ... لَبين رتاج قائما ومقام
على حلفة لا اشتم الدهر مسلما ... ولا خارجا من فىّ زور كلام

وفى هذا الشعر

أطعتك يا ابليس تسعين حجة ... فلما انقضى عمرى وتم تمامى
رجعت الى ربى وأيقنت اننى ... ملاق لأيام المنون حمامى

قوله لَبين رتاج فالرتاج غَلَق الباب ويقال باب مرتج أى مغلق ويقال أرتج على فلان أى أغلق عليه الكلام وقول العامة ارتُجّ عليه ليس بشىء الا ان

---

(١) قال أبو الحسن انما هو فِداء لكم فمن فتح قصر لا غير ومن كسر مد لكنه قصر الممدود على هذه الرواية .

التوزى حدثنى عن أبى عبيدة قال يقال ارتُجّ عليه ومعناه وقع فى رجة أى فى اختلاط وهذا معنى بعيد جدا وقوله ولا خارجا انما وضع اسم الفاعل فى موضع المصدر أراد لا اشتم الدهر مسلما ولا يخرج خروجا من فىّ زور كلام لأنه على ذا اقسم والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل يقال ماء غورٌ أى غائر كما قال الله عز وجل (ان أصبح ماؤكم غورا) ويقال رجل عدل أى عادل ويوم غم أى غام وهـذا كثير جدا فعلى هذا جاء المصدر على فاعل كما جاء اسم الفاعل على المصدر يقال قم قائما فيوضع فى موضع قم قياما وجاء من المصدر على لفظ فاعل حروف منها فلج فالجاوعوفى عافية واحرف سوى ذلك يسيرة وجاء على مفعول نحو رجل ليس له معقول وخذ ميسوره ودع معسوره لدخول المفعول على المصدر يقال رجل رضا أى مرضى وهذا درهم ضرب الأمير أى مضروبه وهذه دراهم وزن سبعة أى موزونة وكان عيسى بن عمر يقول انما قوله لا اشتم حال فأراد عاهدت ربى فى هذه الحال وأنا غير شاتم ولا خارج من فى زور كلام ولم يذكر الذى عاهد عليه وقال الفرزدق فى أيام نسكه ايضا

أخاف وراء القبر ان لم يعافنى ... أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا قادنى يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى ... الى النار مغلول القلادة موثقا
اذا شربوا فيها الحميم رأيتهم ... يذوبون من حر الحميم تمزقا

١٣ وحدثنى بعض أصحابنا عن الاصمعي عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخزوم عن أبى شَفقل راوية الفرزدق قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد ان أطلق النوار فقلت انى أخاف عليك ان تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه فقال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد فقال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال تعلمن ان النوار منى طالق ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا فقال لى الفرردق يا هـذا ان فى قلبى من النوار شيئا فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت منى مطلقة نوار

(١)وكانت جنتى فخرجت منها كآدم حين اخرجه الضرار
ولوانى ملكت يدى ونفسى لكان على للقدر الخيار

قال الاصمعى ما روى المعتمر هذا الشعر الا من أجل هذا البيت

الفصل الرابع فى المغنين

١ حدثت أن عمر الوادى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى صرد من الارض فسمعت غناء من القرار لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن اليه ولو بذهاب نفسى فانحدرت اليه فاذا عبد اسود فقلت أعد على ما سمعت فقال لى والله لو كان عندى قرى أقريك ما فعلت ولكنى أجعله قراك فأنى ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ثم انبرى يغنينى

وكنت اذا مازرت سعدى بأرضها أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها اذا ماقضت أحدوثة لو تعيدها (٢)

قال عمر فحفظته عنه ثم تغنيت به على الحالات التى وصف فاذا هو كما ذكر

٢ وتحدث الزبيريون عن خالدصامة انه كان من أحسن الناس ضربا بالعود قال فقدمت على الوليد بن يزيد وهو فى مجلس ناهيك به مجلسا فألفيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبى السمح وابن عائشة وأبو كامل غزيّل الدمشقى فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة الىّ فغنيته

سرى همى وهم المرء يسرى وغار النجم الا قيد فتر
أراقب فى المجرة كل نجم تعرض أو على المجراة يجرى
لهمّ ما أزال له قرينا كأن القلب أبطن حر جمر

---

(١)وكنت كفاقىء عينيه عمدا فأصبح لا يضىء له النهار
وما فارقتها شبعا ولكن رأيت الزهد يأخذ ما أعار

(٢) تحلل أحقادى اذا ما لقيتها وتبقى بلا ذنب على حقودها
وكيف يحب القلب من لا يحبه بلى قد تريد النفس من لا يريدها

على بكر أخي فارقت بكرا   وأي العيش يصلح بعد بكر

فقال لى أعد ياصام فعملت فقال لى من يقول هذا الشعر فقلت هذا يقوله عروة بن أذينة يرثي أخاه بكرا فقال لى الوليد . وأى العيش يصلح بعد بكر . هذا العيش الذى نحن فيه والله قد تحجر واسعا على رغم أنفه . وحدثت أن سكينة بنت الحسين أنشدت هذا الشعر فقالت ومن بكر فوصف لها فقالت أذاك الأسيد الذى كان يمر بنا والله لقد طاب كل شئ بعد ذاك حتى الخبز والزيت

٣ وروى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملك « وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية واليها كان ينسب » قال يوما يقال ان الدنيا لم تصف لاحد قط يوما فاذا خلوت يومى هذا فاطووا عنى الاخبار ودعونى ولذتى وما خلوت له ثم دعا بحبابة فقال اسقينى وغنينى نخلوا فى أطيب عيش فتناولت حبابة حبة رمان فوضعتها فى فيها فغصت بها فماتت فجزع يزيد جزعا أذهله ومنع من دفنها حتى قال له مشايخ بنى أمية ان هذا عيب لا يستقال وانما هذه جيفة فأذن فى دفنها وتبع جنازتها فلما واراها قال أمسيت والله فيك كما قال كثير

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى   فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل راءنى فهو قائل   من اجلك هذا هامة اليوم أو غد

فعد بينهما خمسة عشر يوماً (قال أبو العباس) قوله راءنى يريد رآنى ولكنه قلب فأخر الهمزة ونظير هذا من الكلام قسىّ فى جمع قوس وانما الاصل قووس ولما أخر الواوين أبدل منهما ياءين كما يجب فى الجمع تقول دلو ودُلى وعات وعُتى وان شئت قلت دِلى وعِتى من أجل الياء فان كان فعول لواحد قلت عُتُو ويجوز القلب والوجه فى الواحد اثبات الواو كما تقول مغزو ومدعو ويجوز مغزىّ ومدعىّ وفى القرآن وعتوا عتوا كبيرا وقال أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال ارجعى الى ربك راضية مرضية والاصل مرضوة لانه من الواو من الرضوان . ومن القلب قولهم طأمن ثم قالوا اطمأن فأخروا الهمزة وقدموا الميم ومثل هذا كثير جدا وقوله هذا هامة اليوم أو غد يقول ميت فى يومه أو فى غده يقال انما فلان هامة

أى يصير فى قبره وأصل ذلك شئ كانت العرب تقوله «وقد فسرناه» (١)

وحدثنى عبد الصمد بن المعذل قال سمعت اسحاق بن ابراهيم الموصلى يتحدث قال حججت مع أمير المؤمنين الرشيد فلما قفلنا فنزلنا المدينة آخيت بها رجلا كان له سن ومعرفة وأدب فكان يتعنى فانى ذات ليلة فى منزلى اذا أنا بصوته يستأذن على فظننت أمرا قد فدحه ففزع فيه الى فأسرعت نحو الباب فقلت ما جاء بك فقال اذاً أخبرك . دعانى صديق لى الى طعام عتيد وشراب قد التقى طرفاه وشواء رشراش وحديث ممتع وغناء مطرب فأجبته وأقمت معه الى هذا الوقت فأخذت منى حميا الكأس مأخذها ثم غنيت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب ... وقل ان تملينا فما ملك القلب

فكدت أطير طربا ثم وجدت فى الطرب نقصا اذ لم يكن معي من يفهم هذا كما فهمته ففزعت اليك لأصف لك هذه الحال ثم أرجع الى صاحبى . وضرب نعليه موليا عنى فقلت قف أكلمك فقال مابى الى الوقوف اليك من حاجة

وحدثنى غير واحد من أصحابنا عن ابى زيد سعيد بن أوس الانصارى يسنده قال كانت ولمة فى أخوالنا وهم حى يقال لهم بنو نبيط من الانصار قال فحضر الناس وجاء حسان بن ثابت وقد ذهب بصره ومعه ابنه عبدالرحمن يقوده فلما وضع الطعام وجىء بالثريد قال حسان لابنه يابنى أطعام يد أم طعام يدين فقال بل طعام يد فأكل ثم جىء بالشواء فقال أطعام يد أم طعام يدين فقال بل طعام يدين فأمسك وفى المجلس قينتان تغنيان بشعر حسان

أنظر خليلى بباب جلق هل ... تؤنس دون البلقاء من أحد

قال وحسان يبكي يذكر ماكان فيه من صحة البصر والشباب وعبد الرحمن يومئ اليهما أن زيدا قال أبو زيد فلأعجبنى ما أعجبه من أن تبكيا أباه . يقول

(١) على زعم أن الرجل كان عندهم اذا قتل فلم يدرك به الثأر يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدى فيصيح على قبره اسقونى اسقونى فان قتل قاتله كف ذلك الطائر قال ذو الاصبع العدوانى

ياعمرو ان لا تدع شتمى ومنقصتى ... أضربك حتى تقول الهامة اسقونى. السباعى

عجبت ما الذى اشتهى من أن تبكيا أباه فقوله أعجبنى أى تركنى أعجب ومثله قول ابن قيس الرقيات

ألا هزئت بنا قرشيـ ـة يهتز موكبها
رأت بى شيبة فى الرأ س عنى ما أغيبها
فقالت ابن قيس ذا وبعض الشيب يعجبها

أى تتعجب منه

٦ وحدثنى عبد الصمد بن المعذل قال كان خليلان الاموى يتغنى ويرى ذاك زائدا فى الفتوة وكان خليلان شريفا وذا نعمة واسعة فحضر يوما منزل عقبة ابن سلم الهنائى وهو أمير البصرة وكان عاتيا جبارا فلما طعما وخلوا نظر خليلان الى عود موضوع فى جانب البيت فعلم انه عرض له به فأخذه فتغنى

بابنة الأزدى قلبى كئيب مستهام عندها ما يؤوب
ولقد لاموا فقلت دعونى ان من تلحون فيه حبيب

فجعل وجه عقبة يتغير وخليلان فى سهو عما فيه عقبة يرى أنه محسن ثم فطن لتغير وجه عقبة فعلم أنه لما تغنى به فقطع الصوت وجعل مكانه

ألا هزئت بنا قرشيـ ـة يهتز موكبها

فسرى عن عقبة فلما انقضى الصوت وضع خليلان العود ووكد على نفسه الحلف ألا يغنى عند من يجوز أمره عليه أبدا

٧ وحدثت ان رجلا تغنى بحضرة الرشيد بشعر مدح به على بن ريطة وهو على ابن أمير المؤمنين المهدى وتغناه المغنى على جهل وهو

قل لعلى أيا فتى العرب وخير نام وخير منتسب
أعلاك جداك يا على اذا قصر جد فى ذروة الحسب

ففتش عن المغنى فوجده لم يدر فيمن الشعر فبحث عن أول من تغنى فيه فاذا هو عبد الرحيم الرقاص فأمر به فضرب اربعمائة سوط

٨ وحدثت ان معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناء أعجبه فلما أصبح قال ليزيد من كان ملهيك البارحة فقال له ذاك سائب خاثر قال اذا

فأخثر له من العطاء

٩ وحدثت ان معاوية قال لعمرو امض بنا الى هذا الذى قد تشاغل باللهو وسعى فى هدم مروءته حتى ننعى عليه « أى نعيب عليه فعله » يريد عبدالله بن جعفر بن أبى طالب فدخلا اليه وعنده سائب خاثر وهو يلقى على جوار لعبدالله فأمر عبد الله بتنحية الجوارى لدخول معاوية وثبت سائب مكانه وتنحى عبدالله عن سريره لمعاوية فرفع معاوية عمرا فأجلسه الى جانبه ثم قال لعبد الله أعد ما كنت فيه فأمر بالكراسى فالقيت وأخرج الجوارى فتغنى سائب بقول قيس ابن الخطيم .

ديار التى كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب
ومثلك قد أصبيت ليست بكنة ولا جارة ولا حليلة صاحب

ورده الجوارى عليه فحرك معاوية يديه وتحرك فى مجلسه ثم مد رجليه فجعل يضرب بهما وجه السرير فقال عمرو اتئد يا أمير المؤمنين فان الذى جئت لتلحاه أحسن منك حالا وأقل حركة فقال معاوية أسكت لا ابا لك فان كل كريم طروب

١٠ وحدثت من غير وجه ان سفيان بن عيينة قال لجلسائه يوما انى أرى جارنا هذا السهمى قد أثرى وانفسحت له نعمة وصار ذا جاه عند الأمراء ووافدا الى الخلفاء فم ذاك يعنى يحيى بن جامع فقال له جلساؤه انه يصير الى الخليفة فيتغنى له فقال سفيان يقول ماذا فقال أحد جلسائه يقول

أطوف نهارى مع الطائفين وأرفع من مئزرى المسبل

فقال سفيان ما أحسن ما قال فقال الرجل

وأسهر ليلى مع العاكفين وأتلو من المحكم المنزل

قال حسن والله جميل قال ان بعد هذا شيئا قال سفيان وما هو قال .

عسى فارج الكرب عن يوسف يسخر لى ربة المحمل

فزوى سفيان وجهه واومأ بيده ان كف وقال حلالا حلالا

١١ ولقى ابن أبجر عطاء بن ابى رباح وهو يطوف فقال اسمع صوتا للغريض فقال له عطاء ياخبيث أفى هذا الموضع فقال ابن أبجر ورب هذه البنية لتسمعنه

خفية أو لأشيدن به فوقف له فتغنى

عوجي علينا ربة الهودج انك الا تفعلى تحرجى
أنى أتيحت لى يمانيـة احدى بنى الحارث من مذحج
نلبث حولا كاملا كله لا نلتقى الا على منهج
فى الحج ان حجت وماذا منى وأهله انـ هى لم تحجج

فقال له عطاء الكثير الطيب يا خبيث

١٢ وسمع سليمان بن عبد الملك متغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاءوا به فقال أعد ما تغنيت فتغنى واحتفل وكان سليمان مفرط الغيرة فقال لأصحابه والله لكأنها جرجرة الفحل فى الشول وما أحسب أنثى تسمع هذا الا صبت ثم أمر به فخصى

١٣ وحدثت ان ابن أبى عتيق ذكر له ان المخنثين بالمدينـة خصوا وانه خصى الدلال فيهم فقال انا لله أما والله لئن فعل ذلك به لقد كان يحسن

لمن ربع بذات الجيـ ش أمسى دارسا خلقا

ثم استقبل القبلة يصلى فلما كبر سلم ثم التفت الى أصحابه فقال اللهم انه كان يحسن خفيفه فأما ثقيله فلا الله اكبر

١٤ وحدثت ان الفرزدق قدم المدينة فنزل على الأحوص بن محمـد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح فقال له الأحوص ألا أسمعك غناء من غناء القرى فأتاه بمغن فجعل يغنيه فكان مما غناه

أتنسى اذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقى البشام
ولو وجد الحمام كما وجدنا بسلمانين لا كتأب الحمام

فقال الفرزدق لمن هذا فقالوا لجرير ثم غناه

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى شيئا ألذ من الخيـال الطارق
انـ البلية من تمل حديثه فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال لمن هذا فقيل لجرير ثم غناه

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال لمن هذا الشعر فقيل لجرير فقال الفرزدق ما أحوجه مع عفافه الى خشونة شعري وأحوجني مع فسوقي الى رقة شعره

١٥ وقال الأحوص يوما لمعبد امض بنا الى عقيلة حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فمضيا فالفيا على بابها معاذا الانصارى ثم الزُّرقى وابن صائد النجارى فاستأذنوا عليها جميعا فأذنت لهم الا الأحوص فانها قالت نحن غضاب على الأحوص فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم فقال

ضنت عقيلة لما جئت بالزاد ... وآثرت حاجة الثاوى على الغادى
فقلت والله لولا ان تقول له ... قد باح بالسر أعدائى وحسادى
قلنا لمنزلها حييت من طلل ... وللعقيق ألا حييت من واد
انى جعلت نصيبى من مودتها ... لمعبد ومعاذ وابن صياد
لابن اللعين الذى يخبا الدخان له ... وللمغنى رسول الزور قوادى
أما معاذ فانى لست ذاكره ... كذاك أجداده كانوا لأجدادى

قال الزبيرى وكان معاذ جلدا فخاف الأحوص أن يضربه فحلف معبد الا يكلم الأحوص ولا يتغنى فى شعره فشق ذلك على الأحوص فلما طالت هجرته اياه رحل نجيبا له وجعل طلاء فى مِذْرَع (١) فى حقيبة رحله وأعد دنانير ومضى نحو معبد فأناخ ببابه ومعبد جالس بفنائه فنزل اليه الأحوص فكلمه فلم يكلمه معبد فقال يا أبا عباد أتهجرنى فخرجت اليه امرأته أم كُرْدَم فقالت أتهجر أبا محمد والله لتكلمنه قال فاحتمله الأحوص فادخله البيت وقال والله لا رمت هذا البيت حتى آكل الشواء وأشرب الطلاء واسمع الغناء فقال له معبد قد أخزى الله الأبعد هذا الشواء أكلته والغناء سمعته فانى لك بالطلاء قال قم الى ذلك المِذْرع ففيه طلاء ومعه دنانير فاصلح بها ما تريد من أمرنا ففعل كل ما قال فقالت أم كردم لمعبد أتهجر من ان زارنا أغدر فينا فضلا ونيلا وان فارقنا خلف فينا عقلا ونبلا فانصرف الأحوص مع العصر فمر بين الدارين وهو يميل بين شعبتى رحله وحدثت ان سعد بن مصعب بن الزبير اتهم بامرأة فى ليلة مناحة أو عرس

---

(١) والمذرع زق سلخ حين سلخ مما يلى الذراع

وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير فقال الأحوص وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار

ليس بسعد النار من تذكرونه ولكن سعد النار سعد بن مصعب
ألم تر ان القوم ليلة جمعهم بغوه فالفوه لدى شر مركب
فما يبتغى بالشر لادر دره وفى بيته مثل الغزال المربب

فأمر سعد بن مصعب بطعام فصنع ثم حمل الى قباب العرب وقال للأحوص وكان له صديقا تعال نمض فنصيب منه فلما خلا به أمر به فأوثق وأراد ضربه فقال له الأحوص دعنى فلا والله لا أهجو زبيريا أبدا فخله ثم قال انى والله مالمتك على مزحك ولكنى انكرت قولك . وفى بيته مثل الغزال المربب .

١٦ وحدثت ان مدنيا كان يصلى مذ طلعت الشمس الى ان قارب النهار ان ينتصف ومن ورائه رجل يتغنى وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من الشرط قد قبض على المغنى فقال أترفع عقيرتك بالغناء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه فانفتل المدنى من صلاته فلم يزل يطاب اليه فيه حتى استنقذه ثم أقبل عليه فقال أتدرى لم شفعت فيك قال لا ولكنى اخالك رحمتنى قال اذا فلا رحمنى الله قال فاحسبك عرفت قرابة بيننا قال اذا فقطعها الله قال فليد تقدمت منى اليك قال لا والله ولا عرفتك قبلها قال فخبرنى قال لأنى سمعتك غنيت آنفا فأقمت واوات معبد أما والله لو أسأت التأدية لكنت أحد الاعوان عليك « قال ابو العباس » والصوت الذى ينسب الى واوات معبد شعر الاعشى الذى يعاتب فيه يزيد بن مسهر الشيبانى وهو قوله

هريرة ودعها وان لام لائم غداة غد أم أنت للبين واجم
لقد كان فى حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسأم سائم

قوله هريرة ودعها وان لام لائم منصوب بفعل مضمر تفسيره ودعها كأنه قال ودع هريرة فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه وكان ذلك أجود من ألا يضمر لأن الامر لا يكون الا بفعل فاضمر الفعل اذ كان الامر أحق به وكذلك زيدا اضربه وزيدا فاكرمه وان لم تضمر ورفعت جاز وليس فى حسن الأول ترفعه على

الابتداء وتصير الأمر في موضع خبره فأما قول الله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) وكذلك (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) فليس على هذا والرفع الوجه لأن معناه الجزاء فقوله والسارق أي الذي يسرق كقوله الزانية أي التي تزني فانما وجب القطع للسرق والجلد للزنا فهذا مجازاة ومن ثم جاز الذي يأتيني فله درهم فدخلت الفاء لأنه استحق الدرهم بالاتيان فان لم ترد هذا المعنى قلت الذي يأتيني له درهم ولا يجوز زيد فله درهم على هـذا المعنى ولكن لو قلت زيد فله درهم على معنى هذا زيد فله درهم أو هذا زيد فحسن جميل جاز على أن زيدا خبر وليس بابتداء وللاشارة دخلت الفاء وفي القرآن (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) ودخلت الفاء لأن الثواب دخل للانفاق وقد قرأت القراء (الزانيةَ والزانيَ فاجلدوا. والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا) بالنصب على وجه الامر والوجه الرفع والنصب حسن في هاتين الآيتين وما لم يكن فيه معنى جزاء فالنصب الوجه

١٧ ويروى أن معبدا بلغه أن قتيبة بن مسلم فتح خمس مدائن فقال لقد غنيت خمسة أصوات هن أشد من فتح المدائن التي فتحها قتيبة بن مسلم. والاصوات هي

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقوله .

هريرة ودعها وان لام لائم غداة غد أم انت للبين واجم

وقوله .

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو الى الخيرات منقطع القرين

وقوله .

ودع لبابة قبل أن تترحلا واسأل فان قليلة أن تسألا

وقوله .

لعمري لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من خوف الفراق أليح

أما قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل. وقوله. هريرة ودعها وان لام لائم. فللأعشى يعاتب فيهما يزيد بن مسهر الشيباني يقول في الأولى

أبلغ يزيد بنى شيبان ألكة   أبا ثبيت أما تنفك تأتكل
ألست منتهياً عن نحت أثلتنا   ولست ضائرها ما أطت الابل
كناطح صخرة يوماً ليفلقها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ويقول فى الأخرى .

يزيد يغض الطرف دونى كأنما   زوى بين عينيه علىّ المحاجم
فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى   ولا تلقنى الا وأنفك راغم
فأقسم ان جد التقاطع بيننا   لتصطفقن يوما عليك المآتم
وتلقى حصان تنصف ابنة عمها   كما كان يلقى الناصفات الخوادم
اذا اتصلت قالت أبكر بن وائل   وبكر سبتها والأنوف رواغم

فاما الشعر الثالث فللشماخ بن ضرار بن مرة بن غطفان يقوله لعرابة بن أوس ابن قيظى الانصارى

رأيت عرابة الأوسى يسمو   الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين
اذا بلغتنى وحملت رحلى   عرابة فاشرقى بدم الوتين

والرابع لعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة يقوله فى بعض الروايات

ودع لبابة قبل أن تترحلا   واسأل فأن قليلة أن تسألا
أمكث لعمرك ساعة فتأنها   فعسى الذى بخلت به أن يبذلا
لسنا نبالى حين ندرك حاجة   ان بات أو ظل المطى معقلا

والشعر الخامس لا أعرف قائله (١)

ولم يتغن معبد فى مدح قط الا فى ثلاثة أشعار منها ماذكرنا فى عرابة ومنها قول عبد الله بن قيس الرقيات فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

تقدت بى الشهباء نحو ابن جعفر   سواء عليها ليلها ونهارها

---

(١) رأيته فى الاغانى لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه وبعد البيت السابق بيت آخر من الصوت وهو

أروح بهم ثم أغدو بمثله   ويحسب انى فى الثياب صحيح . السباعى

والثالث قول موسى شهوات فى حمزة بن عبد الله بن الزبير

حمزة المبتاع بالمال الثنا ويرى فى بيعه أن قد غبن
وهو ان أعطى عطاء كاملا ذا اخاء لم يكدره بمن

ونحن ذاكرو قصص هذه الاشعار التى جرت فى عقب ماوصفنا ان شاء الله تعالى

(قال أبو العباس) كان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعا الى مصعب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان يقاتل معه وفيه يقول .

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
يتقى الله فى الامور وقد أفلح من كان همه الاتقاء

قال أبو العباس وله فيه أشعار كثيرة فلما قتل مصعب كان عبد الملك على قتل عبد الله بن قيس فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر فشفع فيه الى عبد الملك فشفعه فى أن ترك دمه فقال ويدخل اليك يا أمير المؤمنين فتسمع منه فأبى فلم يزل به حتى أجابه ففى ذلك يقول لعبد الله بن جعفر

أتيناك نثنى بالذى أنت أهله عليك كما أثنى على الارض جارها
تقدت بى الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتى قد يعلم الناس أنه تجود له كف قليل غرارها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلا فى دمشق قرارها

والشعر الذى مدح به عبد الملك

عاد له من كثيرة الطرب فعينه بالدموع تنسكب
كوفية نازح محلتها لا أمم دارها ولا صقب
والله ما ان صبت الى ولا يعلم بينى وبينها نسب
الا الذى أورثت كثيرة فى القلب وللحب سورة عجب

وفيها يقول

ما نقموا من بنى أمية الا أنهم يحلمون ان غضبوا
وأنهم سادة الملوك فلا تصلح الا عليهم العرب

ان الفنيق الذى أبوه أبو الـ ... عاصى عليه الوقار والحجب
خليفة الله فى رعيته ... جفت بذاك الاقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك أتقول لمصعب

انما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

وتقول لى

يعتدل التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

واما الشعر فى حمزة بن عبد الله بن الزبير فأنه لموسى شهوات وكان موسى قال لمعبد أقول شعرا فى حمزة وتتغنى أنت به فما اعطاك من شئ فهو بيننا فقال هذا الشعر

حمزة المبتاع بالمال الثنا ... ويرى فى بيعه أن قد غبن
وهو ان أعطى عطاء كاملا ... ذا اخاء لم يكدره بمن
واذا ما سنة مجحفة ... برت المال كبرى بالسفن
حسرت عنه نقيا لونه ... طاهر الاخلاق ما فيه درن

فأعطاه مالا فقاسمه موسى
أما شعر الشماخ فى عرابة فقد ذكر فى موضعه بحديثه (١)

الفصل الخامس فى الاجواد

١ قال ابن عباس رضى الله عنهما لايزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادف موضعا

---

(١) اصبح الآن فى قسم الحكم الخاص بالمروءة والسؤدد وقد تقدم . السباعى

فهو الذى قصدت له والا كنت أحق به (١)

٢ وامتدح نصيب عبد الله بن جعفر فأمر له بخيل وابل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال له عبدالله بن جعفر ان كان أسود فان شعره لأبيض وان ثناءه لعربى ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى ومطايا تنضى وأعطانامدحا يروى وثناء يبقى .

٣ وقيل لعبد الله بن جعفر انك لتبذل الكثير اذا سئلت وتضيق فى القليل اذا توجرت فقال انى أبذل مالى وأضن بعقلى .

٤ وافتقد عبدالله بن جعفر صديقا له من مجلسه ثم جاءه فقال له أين كانت غيبتك فقال خرجت الى عرض من أعراض المدينة مع صديق لى فقال له ان لم تجد من صحبة الرجال بدا فعليك بصحبة من ان صحبته زانك وان خففت له صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خلة سدها أوحسنة عدها وان وعدك لم يحرضك وان كثرت عليه لم يرفضك وان سألته أعطاك وان أمسكت عنه ابتداك . وقيل لخالد بن صفوان اى اخوانك أحب اليك فقال الذى يسد خللى ويغفر زللى ويقبل عللى .

٥ وخبرت عن رجل من الانصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف ماترك لك أبوك قال ترك لى مالا كثيرا فقال ألا أعلمك شيئا هو خير لك مما ترك أبوك انه لامال لعاجز ولا ضياع على حازم والرقيق جمال وليس بمال فعليك من المال بما يعولك ولا تعوله .

٦ وقيل ليزيد بن معاوية ماالجود فقال اعطاء المال من لا تعرف فانه لا يصير اليه حتى يتخطى من تعرف .

---

(١) قال أبوالحسن الاخفش وحدثنا المبرد فى غير الكامل قال . قال الحسن والحسين رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت فى بذل المال قال بأبى أنتما وأمى ان الله عودنى ان يفضل على وعودته أن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى .

٧ ومر يزيد بن المهلب باعرابية فى خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقرته عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة فقال ثمانمائة دينار قال فادفعها اليها قال له ابنه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهى بعد لا تعرفك فقال ان كانت ترضى باليسير فأنا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى ادفعها اليها

٨ وقال المهلب بن أبى صفرة العجب لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه . وكان يقول لبنيه اذا غـدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا .

وقال خالد بن عبد الله القسرى محض الجود مالم تسبقه مسألة ومالم يتبعه من ولم يزر به قصر ووافق موضع الحاجة .

وقال بعض المحدثين وهو (١) الطائى .

أسائل نصر لا تسله فانه ... أحن الى الارفاد منك الى الرفد

وقال آخر وهو أبو العتاهية .

لا تسألن المرء ذات يديه ... فليحقرنك من رغبت اليه

المرء مالم ترزه لك مكرم ... فاذا رزأت المرء هنت عليه

وكما يكون لديك من عاشرته ... فكذاك فارض بأن تكون لديه

٩ ودخل النخار العذرى على معاوية فى عباءة فاحتقره فرأى ذلك النخار فى وجهه فقال يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فملأ سمعه ثم نهض ولم يسأله فقال معاوية ما رأيت رجـلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه .

١٠ ودخل محمد بن كعب القرظى على سليمان بن عبـد الملك فى ثياب رثة فقال له سليمان ما يحملك على لبس مثل هذه الثياب فقال أكره أن أقول الزهد فأطرى نفسى أو أقول الفقر فأشكو ربى .

١١ وحدثنى التوزى قال دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على

(١) حبيب

هشام بن عبد الملك فى ثياب وعليه عمامة تخالفها فقال له هشام كأن العمامة ليست من الثياب قال انها مستعارة فقال له كم سنك قال ستون سنة قال مارأيت ابن ستين أبقى كِدنة منك (١) ماطعامك قال الخبز والزيت قال أما تأجمهما قال اذا أجمتهما تركتهما حتى اشتهيهما ثم خرج من عنده وقد صدع فقال أترون الاحول لقعنى بعينه فمات من تلك العلة (٢) ونظر اعرابى الى رجل جيد الكدنة فقال ياهذا انى لارى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك .

١٢ ودخل أبو الاسود الدؤلى (٣) على عبيد الله بن زياد فى ثياب رثة فكساه ثيابا حسانا فخرج وهو يقول .

كساك وما استكسيته فشكرته أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وان أحق الناس ان كنت مادحا بمدحك من اعطاك والعرض وافر

١٣ وزعم الاصمعى ان حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا فى المسجد الجامع قال فبعثت وأنا غلام الى ضرار بن القعقاع من بنى دارم فاستأذنت عليه فاذن لى فدخلت فاذا به فى شملة يخلط بزرا لعنز له حلوب فخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصحفة وصاح ياجارية غدينا قال فأتته بزيت وتمر قال فدعانى فقذرته أن آكل معه حتى اذا قضى من اكله حاجة وثب الى طين ملقى فى الدار فغسل به يده ثم صاح ياجارية اسقينى ماء فأتته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى تؤدى شكر هذه النعم ثم قال يا جارية

---

(١) الكدنة قوة الجسم قال ابن القوطية فى الافعال كدن الشفة كدونا اسودت وأكدن البعير كثر لحمه وشحمه . (٢) قال ابن الاعرابى لقع فلان فلانا بعينه وزلقه وزلّقه وأزلقه وشقذه وشوّهه ويقول الرجل اذا أجاد فى عمله لا تشوه على أى لا تقل لى أجدت فتصيبنى بالعين ورجل معين اذا أصيب بالعين وشاهٍ وشائه وشقذ وشقذان (٣) اسم أبى الاسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل ابن عمرو بن جندل بن سفيان وأمه من بنى عبد الدار بصرى تابعى ثقة من أصحاب على من كتابه

علىّ بردائى فأتته برداء عدنى فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعى فتجافيت عنه استقباحا لزبه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حُلت اعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الاحياء فى ماله والطرف . (١)

١٤ وحدثنى أبو عثمان المازني قال حدثنى أبو زيد قال وقف علينا أعرابى فى حلقة يونس النحوى فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله ان أذكر به وانساه خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه لا يمرضون مريضهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه والله يا قوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمىّ بخص ولحم كثير أفلا رجل يرحم ابن سبيل وفلّ طريق ونضو سفر فانه لا قليل من الاجر ولا غنى عن ثواب الله عز وجل ولا عمل بعد الموت وهو الذى يقول جل ثناؤه (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) ملىّ وفىّ ماجد واجد جواد لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو الاخيار قال فبلغنى انه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا .

قوله بخص يريد اللحم الذى يركب القدم هذا قول الاصمعى وقال غيره هو لحم يخلطه بياض من فساد يحل فيه ويقال بخصت عينه بالصاد ولا يجوز الا ذلك ويقال بخسته حقه بالسين اذا ظلمته ونقصته كما قال الله عز وجل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) وفى المثل (تحسبها حمقاء وهى باخس) ويدل على انه اللحم الذى قد خالطه الفساد قول الراجز (٢)

يا قدمىّ لا أرى لى مخلصا　　مما اراه أو تعودا بخصا

وقوله فل فالفل فى أكثر كلامهم المنهزم الذاهب وفى خبر كعب بن معدان

---

(١) وقد قدمنا باخبار الخوارج فى حرب البادية التى وقعت بسبب ضعف ابن زياد أخذ الاحنف بن قيس من شيخ بدوى لا يعرفه الف بعير اعانة له على الديات وتركه الفا أخرى أراحها عليه . السباعى

(٢) قال أبو الحسن على بن سليمان الاخفش الراجز هو أبو شراعة

الاشقرى (١) «انا آثرنا الحد على الفل» يعنى مجاهدتهم عبد ربه الصغير لانه كان مقبلا على حربهم وتركهم قطريا لانه كان منهزما . وفى حديث الحجاج بن علاط السلمى وكان قد أسلم ولم تعلم قريش باسلامه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فى ان يصير الى مكة فيأخذ ما كان له من مال وكانت له هنالك أموال متفرقة وهو رجل غريب بينهم انما هو أحد بنى سليم بن منصور ثم أحد بنى بهز فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أحتاج ان أقول قال فقل قال أبو العباس وهذا كلام حسن ومعنى حسن يقول أقول على جهة الاحتيال غير الحق فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تقول كما قال الله عز وجل (أم يقولون تقوله) قال فصار الى مكة فقالت قريش هذا لعمر الله عنده الخبر قال فقولوا فقالوا بلغنا ان القاطع قد خرج الى أهل خيبر فقال الحجاج نعم فقتلوا أصحابه قتلا لم يسمع بمثله وأخذوه أسيرا وقالوا نرى ان نكارم به قريشا فندفعه اليهم فلا تزال لنا هذه اليد فى رقابهم وانما بادرت لجمع مالى لعلى أصيب به من فل محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى اليه التجار ويتصل بهم الحديث قال فاجتهدوا فى ان جمعوا الىّ مالى أسرع جمع وسروا اكثر السرور وقالوا بلا رغم . وأتانى العباس وهو كالمرأة الواله فقال ويحك يا حجاج ماتقول قال فقلت أكاتم أنت على خبرى فقال أى والله قال فقلت فالبث على شيئا حتى يخف موضعى قال فسرت اليه فقلت الخبر والله على خلاف ما قلت لهم خلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح خيبر وخلفته والله مُعْرسا بابنة ملكهم وما جئتك الا مسلما فاطو الخبر ثلاثا حتى أعجز القوم ثم أشعه فانه والله الحق فقال العباس ويحك أحق ما تقول قلت اى والله قال فلما كان بعد ثلاثة تخلق العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت قال فقالت قريش يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة فقال كلا ومن حلفتم به لقد فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرس بابنة ملكهم فقالوا من أتاك بهذا الحديث فقال الذى أتاكم بخلافه ولقد جاءنا

---

(١) الاشقرى بالقاف لاغير وقد تقدم باخبار الخوارج . السبالحى

مسلما ثم أتت الاخبار من النواحي بذلك فقالوا أفلتنا الخبيث أولى له . وأصل الفل مأخوذ من فللت الحديدة اذا كسرت حدها . والنضو البالى المجهود ويقال ناقة نضو اذا جهدها السير وجمعه انضاء وفلان نضو من المرض . وقوله لا يستقرض من عوز فالعوز تعذر المطلوب يقال أعوز فلان فهو معوز اذا لم يجد والمعاوز فى غير هذا الموضع الثياب التى تبتذل ليصان بها غيرها . وقوله ولكن ليبلو الأخيار . يقال الله يبلوهم ويبتليهم ويختبرهم فى معنى وتأويله يمتحنهم وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان قال الله جل ثناؤه (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) .

١٥ وحدثنى أبو عثمان المازنى أيضا قال رأيت أبا فرعون العدوى ومعه ابنتاه وهو فى سكة العطارين بالبصرة يقول

بنيتىّ صابرا ابا كما انكما بعين من يراكما
الله ربى سيدى مولاكما ولو يشاء عنهم أغناكما

وكان أبو فرعون وهو من بنى عدى الرباب بن عبدمناة بن أد وقال اليزيدى هو مولاهم كان فصيحا وقدم قوم من الأعراب البصرة من أهله فقيل له تعرض لمعروفهم فقال

ولست بسائل الاعراب شيئا حمدت الله اذ لم يأكلونى

١٦ وروى الاسدى انه افتقر رجل من الصيارفة بالحاح الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لديه وتعذر أمواله التى كانت له عند الناس فسأل جماعة من الجيران أن يسيروا معه الى رجل من قريش كان موسرا من أولاد أجوادهم ليسد من خلته فساروا اليه فجلسوا فى الصحن فخرج اليهم يخطر بقضيب فى يده حتى ثنى وسادة فجلس عليها فذكروا حاجتهم وخلة صاحبهم مع قديم نعمته وقريب جواره فخطر بالقضيب ثم قال متمثلا (١)

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة تقوى أو صديق توامقه
بخلت وبعض البخل حزم وقوة فلم يفتلذك المال الا حقائقه

---

(١) الشعر لنصيب وقيل لكثير والاول أثبت .

ثم أقبل على القوم فقال انا والله مانجمد عن الحق ولا نتدفق فى الباطل وان لنا لحقوقا تشغل فضول أموالنا وما كل من أفلس من الصيارفة احتلنا لجبره قوموا رحمكم الله قال فابتدر القوم الابواب . قوله فلم يفتلذك المال يقول لم يقتطع منك يقال فلذ له من العطاء اى قطع له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين قال الغلامان فى القوم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم ابن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها وقال أبو قحافة أعشى باهلة يعنى المنتشر ابن وهب الباهلى « فى قصيدة ستأتى »

تكفيه فلذة كبد ان ألم بها من الشواء ويكفى شربه الغمر

الفصل السادس فى الجازعين والمتجلدين

١ حدثنى العباس بن الفرج الرياشى فى اسناد ذكره آخره ابن عباس قال دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له ياعبد الله خذ ذلك الصندوق فقال لا حاجة لى فيه قال انه مملوء مالا قال لا حاجة لى به فقال عمرو ليته مملوء بعرا قال فقلت يا أبا عبد الله انك كنت تقول أشتهى أن أرى عاقلا يموت حتى اسأله كيف يجد فكيف تجدك قال أجد السماء كأنها مطبقة على الارض وأنا بينهما وأرانى كأنما أتنفس من خرت أبرة ثم قال اللهم خذ منى حتى ترضى ثم رفع يديه فقال اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلا برئ فأعتذر ولاقوى فأنتصر ولكن لا اله الا الله يقولها ثلاثا ثم فاظ وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشى بأتم من هذا ولكن اقتصرنا على هذا لثقة اسناده قوله من خرت ابرة يعنى من ثقب ابرة يقال للدليل خرّيت وزعم الاصمعى انه أريد به أن يهتدى لمثل خرت الابرة وقوله فاظ أى مات يقال فاظ وفاد وفطس وفاز وفوّز كل ذلك فى معنى الموت ولا يقال فاض بالضاد الا للاناء قال رؤبة . لايدفنون منهم من فاظا . وقال ابن جريج . أما رأيت الميت حين فوظه . ومن قال ذلك للنفس قال فاضت نفسه شبهها بالاناء وحدثنى أبو عثمان المازنى أحسبه

عن أبي زيد قال كل العرب يقولون فاضت نفسه الا بني ضبة فأنهم يقولون فاظت نفسه وانما الكلام الفصيح فاظ بالظاء اذا مات وفى الحديث ان امرأة سلام بن أبي الحقيق قالت فاظ واله يهود.

٢ ودخل عمر بن ذر على ابنه ذر وهو يجود بنفسه فقال يابنى انه ماعلينا من موتك غضاضة ولا بنا الى أحد سوى الله حاجة فلما قضى وصلى عليه وواراه وقف على قبره فقال ياذر انه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك لأنا لا ندرى ماقلت ولا ماقيل لك اللهم انى قد وهبت لك ماقصر فيه مما افترضت عليه من حقى فهب له ما قصر فيه من حقك واجعل ثوابى عليه له وزدنى من فضلك انى اليك من الراغبين وسئل عمر ما بلغ من بره بك فقال مامشى معى بنهار قط الا قدمنى ولا بليل قط الا تقدمنى ولا رقى سطحا وأنا تحته (١)

٣ ولما احتضر ابراهيم النخعى رحمه الله جزع جزعا شديدا فقيل له فى ذلك فقال وأى خطر أعظم من هذا انما أتوقع رسولا يرد على من ربى اما بالجنة واما بالنار ويروى انه قال فى هذا الحديث والله لوددت انها تلجلج فى حلقى الى يوم القيامة.

٤ ولما احتضر ابن سيرين جعل يقول نفسى والله أعز الانفس على

٥ ولما أحضر حجر بن عدى ليقتل سأل أن يمهل حتى يصلى ركعتين وظهر منه جزع شديد فقال له قائل أتجزع فقال وكيف لا أجزع سيف مشهور وكفن منشور وقبر محفور ولست أدرى أيؤدينى الى جنة أم الى نار (٢)

٦ وممن ظهرت منه عند الموت قسوة حلحلة الفزارى وسعيد بن أبان بن عيينة بن حصن الفزارى فأن عبد الملك لما أحضرهما ليقيد منهما قال لحلحلة صبرا حلحل فقال اى والله.

أصبر من ذى ضاغط عركرك ... ألقى بوانى زوره للمبرك

(١) سيأتى فى المتفرقات شىء عن بر الأولاد وعقوقها. السباعى

(٢) قال أبو الحسن مايقوم بقتل حجر بن عدى شىء وانى لأعجب من قوله. ولست ادرى أيؤدينى الى جنة او الى نار. وهو شهيد الشهداء رحمه الله.

ثم قال لابن الاسود الكلبى أجد الضربة فانى والله ضربت أباك ضربة أسلحته فعددت النجوم فى سلحته ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان صبرا سعيد فقال اى والله

أصبر من عود بجنبيه الجلب قد أثر البطان فيه والحقب

٧ ومنهم وكيع بن أبى سود أحد بنى غدانة بن يربوع فانه لما يئس منه خرج الطبيب من عنده فقال له محمد ابنه ما تقول قال لا يصلى الظهر وكان محمد ناسكا فدخل الى أبيه فقال له أبوه ما قال لك المعلوج قال وعد انك تبرأ قال اسألك بحقى عليك قال ذكر انك لا تصلى الظهر قال ويلى على ابن الخبيثة والله لو كانت فى شدقى للكتها الى العصر وفى وكيع بن سود يقول الفرزدق

لقد رزئت بأسا وحزما وسوددا تميم بن مر يوم مات وكيع
وما كان وقافا وكيع اذا دنت سحائب موت وبلهن نجيع
اذا التقت الابطال أبصرت لونه مضيئا واعناق الكماة خضوع
فصبرا تميم انما الموت منهل يصير اليه صابر وجزوع

وقال أيضا .

لتبك وكيعا خيل ليل مغيرة تساقى المنايا بالردينية السمر
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيعا والجياد بهم تجرى

٨ ومن الجفاة عند الموت هدبة بن خشرم العذرى وكان قتل زيادة بن زيد العذرى فلما حمل الى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادعى عليه فقال له معاوية ماتقول قال أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا قال بل شعرا فانه أمتع فقال هدبة

فلما رأيت انما هى ضربة من السيف أو اغضاء عين على وتر
عمدت لأمر لا يعير والدى خزايته ولا يسب به قبرى
رمينا فرامينا فصادفه سهمنا منية نفس فى كتاب وفى قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فان تك فى أموالنا لا نضق بها ذراعا وان صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية أراك قد أقررت يا هدبة قال هو ذاك فقال له عبد الرحمن

أقدنى فكره ذاك معاوية وضن بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيرا فقال له معاوية أوما عليك أن تشفى صدرك وتحرم غيرك ثم وجه بهدبة الى المدينة فقال يحبس الى ان يبلغ ابن زيادة فبلغ وكان والى المدينة سعيد بن العاصى

فمما وقف عليه من قسوته قوله

ولما دخلت السجن يا أم مالك ذكرتك والاطراف فى حلق سمر
وعند سعيد غير أن لم أبح به ذكرتك ان الامر يذكر بالأمر

فسئل عن هذا القول فقال لما رأيت ثغر سعيد وكان سعيد حسن الثغر جدا ذكرت به ثغرها ويقال انه عرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه ممن ذكر لنا الحسين بن على وعبد الله بن جعفر عليهما السلام وسعيد بن العاصى ومروان بن الحكم وسائر القوم من قريش والانصار فلما خرج به ليقاد بالحرة جعل ينشد الاشعار فقالت له حبى المدينية مارأيت أقسى قلبا منك أتنشد الاشعار وأنت يمضى بك لتقتل وهذه خلفك كأنها ظبى عطشان تولول تعنى امرأته فوقف هدبة ووقف الناس معه ثم أقبل على حبى فقال

ما وجدت وجدى بها أم واحد ولا وجد حبى بابن ام كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلا كما أنعتت من قوة وشباب

فأغلقت حبى الباب فى وجهه وسبته . وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدنى فقال له أعلى هذه الحال قال نعم فأنشده

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا ابتغى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب
وحربنى مولاى حتى غشيته متى ما يحربك ابن عمك تحرب

فلما قدم نظر الى امرأته فدخلته غيرة وقد كان جدع فى حربهم فقال

فأن يك أنفى بان منه جماله فما حسبى فى الصالحين بأجدعا
فلا تنكحى اذ فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت قفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلمت أنفها فقالت أهذا

فعل من له فى الرجال حاجة فقال الآن طاب الموت ثم أقبل على أبويه فقال

ابلیانی اليوم صبرا منكما ان حزنا منكما اليوم لشر
ما أظن الموت الا هينا ان بعد الموت دار المستقر

ثم قال .

أذا العرش انى عائذ بك مؤمن مقر بزلاتى اليك فقير
وانى وان قالوا أمير مسلط وحجاب أبواب لهن صرير
لأعلم ان الامر أمرك ان تدن فرب وان تغفر فانت غفور

ثم قال لابن زيادة أثبت قدميك وأجد الضربة فانى أيتمتك صغيرا وارملت أمك شابة . ويزعم بعض أصحاب الاخبار أنه قال ما أجزع من الموت وآية ذلك انى أضرب برجلى اليسرى بعد القتل ثلاثا وهو باطل موضوع ولكن سأل فك قيوده ففكت فذلك حيث يقول

فان تقتلونى فى الحديد فاننى قتلت أخا كم مطلقا لم يقيد

٩ وقف حبار بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل ولم يكن حضره فقال أنعم صباحا أبا على فوالله لقد كنت سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بايعادك ولقد كنت أهدى من النجم وأجرى من السيل ثم التفت اليهم فقال كان ينبغى ان تجعلوا قبر أبى على ميلا فى ميل

١٠ وذكر الحرمازى ان الأحنف بن قيس لما مات وكان موته بالكوفة مشى المصعب بن الزبير فى جنازته بغير رداء وقال اليوم مات سيد العرب فلما دفن قامت امرأة على قبره أحسبها من بنى منقر فقالت لله درك من مُجَن فى جَنَن ومدرج فى كفن فنسأل الذى فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك فى قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا وعلى الأرامل عطوفا ولقد كنت فى الحى مسوّدا والى الخليفة موفدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها

١١ وحدثنى رجل من أصحابنا قال شهدت رجلا فى طريق مكة معتكفا

على قبر وهو يردد شيئا ودموعه تكف من لحيته فدنوت اليه لأسمع ما يقول فجعلت العبرة تحول بينه وبين الابانة فقلت له يا هذا فرفع رأسه الى وكأنما هب من رقدة فقال ما تشاء فقلت أعلى ابنك تبكى قال لا قلت فعلى أبيك قال لا ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخص منهما قلت أو يكون أحد أخص ممن ذكرت قال نعم من أخبرك عنه ان هذا المدفون كان عدوا لى من كل باب يسعى على فى نفسى وفى مالى وفى ولدى فخرج الى الصيد أيأس ما كنت من عطبه وأكمل ما كان من صحته فرمى ظبيا فاقصده فذهب ليأخذه فاذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبى فعثر فتلقى بفؤاده ظُبَة السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبى ميتان فنمى الىّ خبره فاسرعت الى قبره مغتبطا بفقده فانى لضاحك السن اذ وقعت عينى على صخرة فرأيت عليها كتابا فهلم فاقرأه وأومأ الى الصخرة فاذا عليها

وما نحن الا مثلهم غير اننا   أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

قلت أشهد انك تبكى على من بكاؤك عليه أحق من النسيب

١٢ ووقف رجل على قبر النجاشى فترحم وقال لولا ان القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لأطنبت بل لأسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشى ناقتى   بابيض عضب أخلصته صياقله

على قبر من لو انني مت قبله   لهانت عليه عند قبرى رواحله

١٣ وروى ابن دَأب ان حسان بن ثابت الأنصارى اجتاز بقبر ربيعة بن مكَدم فانشد .

لا يبعدن ربيعة بن مكدم   وسقى الفؤادى قبره بذنوب

نفرت قلوصى من حجارة حرَّة   نصبت على طلق اليدين وهوب

لا تنفرى يا ناق منه فانه   شريب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وطول قفر مهمه   لتركتها تحبو على العرقوب

نعم الفتى أدى نُبيْشة رحله   يوم الكديد نبيشة بن حبيب

وربيعة بن مكدم رجل من بنى كنانة وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعى

وقيس تقول قتله نبيشة بن حبيب السلمى وكان أهبان أخا نبيشة لأمه وكان أتاه زائرا وأغار ربيعة بن مكدم على بنى سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان ففاته فلأنه فى بنى سليم قال حسان
نفرت قلوصى من حجارة حرة . لأن الحرة هناك لبنى سليم
وفى مصداق ماتدعيه خزاعة يقول اهبان

ولقد طعنت ربيعة بن مكدم   يوم الكديد فخر غير موسد
فى عارض شرق بنات فؤاده   منه باحمر كالنقيع المجسد
ولقد وهبت سلاحه وجواده   لأخى نبيشة قبل لوم الحمد

وقال اخو ربيعة يجيبه

فات ابن غادية المنية بعد ما   رفعت أسفل ذيله بالمطرد
قل لابن غادية المتاح لقتلنا   ما كان يقتلنا الوحيد المفردُ

يريد أن اهبان مفرد من قومه فى أخواله وقال أيضا

فان تذهب سليم بوتر قومى   فاسلم من منازلنا قريب

وقالت ليلى الأخيلية (١)

آليت أبكى بعد توبة هالكا   وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عار على الفتى   اذا لم تصبه فى الحياة المعاير
فلا يبعدنك الله يا توب انما   لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

ويروى .

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا   أخا الحرب ان دارت عليه الدوائر
فكل جديد أو شباب الى بلى   وكل امرىء يوما الى الله صائر

الفصل السابع فى القضاة

١ كان يقال ان أول من اظهر الجور من القضاة فى الحكم بلال بن أبى بردة وكان أمير البصرة وقاضيها وفى ذلك يقول رؤبة

---

(١) ذكر قول ليلى هنا لأنه ماثل قول أخى ربيعة الاول فى الاقواء . السباعى

وأنت يا ابن القاضيين قاضي . (١) وكان بلال يقول ان الرجلين ليتقدمان الى فأجد احدهما على قلبي أخف فأقضي له (٢)

٢ ويروى أن بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بخناصرة فسدك(٣) بسارية من المسجد فجعل يصلي اليها ويديم الصلاة فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البندار ان يكن سر هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع فقال العلاء أنا آتيك بخبره فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء فقال اشفع صلاتك فان لي اليك حاجة ففعل فقال له العلاء قد عرفت حالي من أمير المؤمنين فان أنا اشرت بك على ولاية العراق فما تجعل لي قال لك عمالتي سنة وكان مبلغها عشرين الف الف درهم (٤) قال فاكتب لي بذلك قال فارقدّ (٥) بلال الى منزله فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك فأتى العلاء عمر بالكتاب فلما رآه كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان والي الكوفة . أما بعد فان بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر فسبكناه فوجدناه خبثا كله والسلام . ويروى انه كتب الى عبد الحميد اذا ورد عليك كتابي هذا فلا تستعن على عملك بأحد من آل أبي موسى

٣ قال أبو العباس . وكان بلال داهية لقناً أديباً ويقال ان ذا الرمة لما أنشده

سمعت الناسُ ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا
تناخي عند خير فتى يمان اذا النكباء ناوحت الشمالا

فلما سمع قوله . فقلت لصيدح انتجعي بلالاً . قال ياغلام مر لها بقت ونوى أراد ان ذا الرمة لايحسن المدح قوله سمعت الناسُ ينتجعون غيثا حكاية والمعنى اذا حقق انما هو سمعت هذه اللفظة أي قائلا يقول الناس ينتجعون غيثاً ومثل هذا قوله

وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار

---

(١) معترم على الطريق ماضي (٢) ستأتي بالباب الثالث من الذيل حادثة تحامل فيها على رجل لتمثله ببيت شعر فيه اسمه على غير علم السباعي

(٣) ش معناه لصق (٤) العُمالة بضم العين أجرة العامل (٥) معناه اسرع

فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة فقوله أحق الخيل ابتداء والمعار خبره وكذلك الناس ابتداء وينتجعون خبره ومثل هذا فى الكلام قرأت الحمدُ لله رب العالمين انما حكيت ما قرأت وكذلك قرأت على خاتمه الله اكبر يافتى فهذا لايجوز سواه وقوله اذا النكباء ناوحت الشمالا فان الرياح أربع ونكباواتها أربع وهى الريح التى تأتى من بين ريحين فتكون بين الشمال والصبا أو الشمال والدبور أو الجنوب والدبور أو الجنوب والصبا فاذا كانت النكباء تناوح الشمال فهى آية الشتاء ومعنى تناوح تقابل يقال تناوح الشجر اذا قابل بعضه بعضا وزعم الاصمعى ان النائحة بهذا سميت لانها تقابل صاحبتها .

ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمة بلالا قوله

تقول عجوز مَدْرجى مترّوحا ... على بيتها من عنـد أهلى وغاديا
أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة ... أراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا ان أهلى لجيرة ... لأكثبة الدهنا جميعا وماليا (١)
وما كنت مذ أبصرتنى فى خصومة ... أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا
ولكننى أقبلت من جانبي قسا ... أزور فتى نجـدا كريما يمانيا
منَ ال أبى موسى ترى القوم حوله ... كأنهم الـكروان أبصرن بازيا
مُرِمّين من ليث عليه مهابة ... تفادى أسود الغاب منه تفاديا
وما الخرق منه يرهبون ولا الخنا ... عليهم ولكن هيبة هى ماهيا

قوله مدرجى يقول مرورى فاما قولهم فى المثل خير من دب ومن درج فمعناه من حي ومن مات يريدون من دب على وجه الارض ومن درج عنها فذهب وقوله أراك لها بالبصرة العام ثاويا . فانه يقال فى هذا المعنى ثوى الرجل فهو ثاو يافتى اذا أقام وهى اكثر ويقال أثوى فهو مثو يافتى وهى أقل من تلك قال الاعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا ... فمضى واخلف من قتيلة موعدا

وقوله قسا فهو موضع من بلاد بنى تميم وقوله لأكثبة الدهنا فأكثبة

---

(١) قوله .لا. لحن وهذا اللحن راجع على المرأة لان لا لاتقع الا فى جواب أو وانما سألته بأم وهى لم يستقر عندها علم

جمع كثيب وهو أقل العدد والكثير كثب وكثبان والدهنا من بلاد بني تميم ولم أسمع الا القصر من أهل العلم والعرب وسمعت بعد من يروى مدها ولا أعرفه قال ذو الرمة

حنت الى نعم الدهنا فقلت لها أمى هلالا على التوفيق والرشد

يعنى هلال بن أحوز المازني وقال جرير . باز يصعصع بالدهنا قطاجونا . وقوله كأنهم الكروان أبصرن بازيا فالكروان جماعة كروان وهو طائر معروف وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة فالتقدير كرا وكروان كما تقول أخ واخوان وورل وورلان وبرق وبرقان والبرق أعجمى ولكنه قد أعرب وجمع كما تجمع العربية واستعمل الكروان جمعا على حذف الزيادة واستعمل فى الواحد كذلك تقول العرب فى مثل من أمثالها

أطرق كرا أطرق كرا ان النعام فى القرى

يريدون الكروان وقوله من آل ابى موسى ترى القوم حوله فقال ترى ولم يقل ترين وكانت المخاطبة أولا لامرأة الا تراه يقول

وما كنت مذ أبصرتنى فى خصومة أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا

ثم حول المخاطبة الى رجل والعرب تفعل ذلك قال الله عز وجل (حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) فكأن التقدير والله اعلم كان للناس ثم حولت المخاطبة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عنترة بن شداد

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا على طلابك ابنة مخرم

وقال جرير .

ما للمنازل لا تجيب حزينا أصممن أم قدم المدى فبلينا

وترى العواذل يبتدرن ملامتى واذا أردن سوى هواك عصينا

قال اولا لرجل ثم قال سوى هواك وقال آخر

فدى لك والدى ومراة قومى ومالى انه منه أتانى

على تحويل المخاطبة وقوله مرمين يريد سكوتا مطرقين يقال أرم اذا أطرق ساكتا وقوله تفادى أسود الغاب معناه تفتدى منه بعضها ببعض وفى الخبر أن

سليمان بن عبد الملك أمر بدفع عيال الحجاج ولحمته الى يزيد بن المهلب فتفادى منهم تاويله فدى نفسه من ذلك المقام بغيره وقوله .

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنا   عليهم ولكن هيبة هى ماهيا

اذا رفعت هيبة فالمعنى ولكن امره هيبة كما قال الله عز وجل (لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ) اى ذلك بلاغ ومثله قوله عز وجل (طاعة وقول معروف) يكون رفعه على ضربين أحدهما أمرنا طاعة وقول معروف والوجه الآخر طاعة وقول معروف أمثل ومن نصب هيبة أراد المصدر اى ولكن يهاب هيبة وأحسن ماقيل فى هذا المعنى .

يغضى حياء ويغضى من مهابته   فما يكلم الا حين يبتسم

وقال الفرزدق يعنى يزيد بن المهلب

فاذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم   خضع الرقاب نواكس الابصار

وفى هذا البيت شيء يستطرفه النحويون وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتا على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث لا يقولون ضارب وضوارب وقاتل وقواتل لانهم يقولون فى جمع ضاربة ضوارب وقاتلة قواتل ولم يأت ذلك الا فى حرفين أحدهما فى جمع فارس فوارس لأن هذا مما لا يستعمل فى النساء فأمنوا الالتباس ويقولون فى المثل هو هالك فى الهوالك فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال لانه مثل فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال نواكس الابصار ولا يكون مثل هذا ابدا الا فى ضرورة .

٤ وقال يحيى بن نوفل الحميرى ويقال انه لم يمدح أحدا قط .

فلو كنت ممتدحا للنوال   فتى لا متدحت عليه بلالا
ولكننى لست ممن يريد   بمدح الرجال الكرام السؤالا
سيكفى الكريم اخاه الكريم   ويقنع بالود منه نوالا

٥ وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن ابى بردة يحدثه فيلحن فلما أكثر ذلك على بلال قال له أتحدثنى أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاءات قال التوزى فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتى المسجد ويتعلم الاعراب وكف بصره

فكان اذا مر به موكب بلال يقول ماهـذا فيقال له الامير فيقول سحابة صيف عن قليل تقشع فقيل ذلك لبلال فأجلس معه من يأتيه بخبره ثم مر به فقال خالد كما كان يقول فقيل ذلك لبلال فأقبل على خالد فقال لا تقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب برد فضربه مائتى سوط وقال بعضهـم بل أمر به فديس بطنـه . قوله بشؤبوب مهموز وهو الدفعة من المطر بشـدة وجمعه شآبيب قال النابغة يخاطب القبيلة

ولا تلاق كما لاقت بنو أسد فقد أصابتهم منهـا بشؤبوب

يريد ما نال بنى أسد من غارة النعمان عليهم وضرب الشؤبوب مثلا للغارة والغارة تضرب لذلك مثلا كما يقال شن عليهم الغارة أى صبها عليهم قال ابن هرمة .

كم بازل قد وجأت لبتها بمستهل الشؤبوب أوجل

يريد ما وجأها به من حـديدة يقول لما وجأتها دفعت بشؤبوب من الدم فكأنه قال بسنان مستهل الشؤبوب أو ما أشـبه ذلك . قال أبو العباس . وكان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة قال سحابة ثم تنقشع وكان يقال أربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة وكتمان الوجع . وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت وقال العتبي محمد بن عبيد الله يذكر ابنا له مات .

أضحت بخدى للدموع رسوم أسفا عليـك وفى الفؤاد كلوم

والصبر يحمد فى المصائب كلهـا الا عليـك فانه مـذموم

قال ابوا العباس وأحسب ان حبيبا الطائى سمع هذا فاسترقه فى بيتين أحدهما قوله فى ادريس بن بدر الشامى .

دموع أجابت داعى الحزن همع توصل منـا عن قلوب تقطع

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فأصبح يدعى حازما حين يجزع

والآخر قوله .

قالوا الرحيل فما شككت بأنهـا نفسى عن الدنيـا تريد رحيـلا

الصبر أجمـل غير ان تلددا فى الحب أحرى أن يكون جميلا

وقال سابق البربرى

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه   فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وقال آخر أيضاً

اصبر على القدر المجلوب وارض به   وان اتاك بما لا تشتهى القدر(١)

ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال ادن فكل ياابا صفوان فقال أصلح الله الامير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت قال أتيت ضيعتى لابان الغراس وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى اذا صخدت الشمس وأزمعت بالركود ملت الى غرفة لى هفافة فى حديقة قد فتحت ابوابها ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافح وسُمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرز كانه قطع العقيق وسمك بُنانى بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر غلاظ القصر ودُقة وخلول ومُرى وبقول ثم اتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الأيدى ولم يهشمه كيل المكاييل فأكلت هذا ثم هذا فقال يزيد يا ابن صفوان لألف جريب من كلامك مذروع خير من الف جريب مذروع .

٧ وكان خالد بن صفوان أحد من اذا عرض له القول قال فيقال ان سليمان بن على سأله عن ابنيه جعفر ومحمد فقال كيف احمادك جوارهما يا أبا صفوان فقال .

أبو مالك جار لها وابن برثن   فيالك جارى ذلة وصغار(٢)

فاعرض عنه سليمان وكان سليمان من أحلم الناس وأكرمهم وهو فى الوقت الذى أعرض فيه عنه والى البصرة وعم الخليفة المنصور وخالد لم يكن يقوله الشعر والشعر الذى تمثل به ليزيد بن مفرغ الحميرى قال .

سقى الله دارا لى وارضا تركتها   الى جنب دارى معقل بن يسار

---

(١) فما صفا لامرىء عيش يسر به   الا سيتبع يوما صفوه كدر

(٢) ش قوله ابو مالك صوابه أبو نافع وهو مولى لعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

أبو مالك جار لها وابن برثن فيالك جارىْ ذلة وصغار

وكان الحسن يقول لسان العاقل من وراء قلبه فان عرض له القول نظر فان كان له ان يقول قال وان كان عليه القول أمسك ولسان الأحمق أمام قلبه فاذا عرض له القول قال كان عليه أوله .

ويروى أن خالدا وعد الفرزدق شيئا فأخره عنه وكان أحد البخلاء فمر به الفرزدق فهدده فأمسك عنه حتى جاز الفرزدق ثم أقبل على أصحابه فقال ان هذا قد جعل احدى يديه سطحا وملأ الأخرى سلحا وقال ان عمرتم سطحى والا نضحتكم بسلحى

وقال اياس بن معاوية المزنى أبو واثلة وكان أحد العقلاء الدهاة الفضلاء لخالد لا ينبغى ان نجتمع فى مجلس فقال له خالد وكيف يا أبا واثلة فقال لأنك لا تحب ان تسكت وانا لا أحب ان أسمع

٨ وخاصم الى اياس رجل رجلا فى دين وهو قاضى البصرة فطلب منه البينة فلم يأته بمقنع فقيل للطالب استجر وكيع بن أبى سود حتى يشهد لك فان اياسا لا يجترىء على رد شهادته ففعل فقال وكيع والله لاشهدن لك فان رد شهادتى لأعممنه السيف فلما طلع وكيع فهم اياس عنه فاقعده الى جانبه ثم سأله عن حاجته فقال جئت شاهدا فقال له يا أبا المطرف أتشهد كما تفعل الموالى والعجم أنت تجل عن هذا فقال اذاً والله لا أشهد فقيل لوكيع بعد انما خدعك فقال أولى لابن اللخناء .

٩ وشهد رجل من جلساء الحسن بشهادة عند اياس فرده فشكا الرجل ذلك الى الحسن فأتاه الحسن فقال يا أبا واثلة لم رددت شهادة فلان فقال يا أبا سعيد ان الله تعالى يقول (ممن ترضون من الشهداء) وليس فلان ممن ارضى

١٠ واختلف نصرانى الى أبى دلامة مولى بنى أسد يتطبب لابن له فوعده ان برأ على يديه أن يعطيه الف درهم فبرأ ابنه فقال للمتطبب ان الدراهم ليست عندى ولكن والله لأوصلنها اليك ادّع على جارى فلان هذه الدراهم فانه موسر وأنا وابنى نشهد لك فليس دون أخذها شيء فصار النصرانى بالجار الى ابن

شبرمة فسأله البينة فطلع عليه أبو دلامة وابنه ففهم القاضى فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة .

ان الناسُ غطونى تغطيت عنهم   وان بحثونى كان فيهم مباحث(١)

فقال ابن شبرمة من ذا الذى يبحثك يا أبا دلامة ثم قال للمدعى قد عرفت شاهديك نخل عن خصمك ورح العشية الىّ فراح اليه فغرمها من ماله

١١ وشهد أبو عبيدة عند عبيد الله بن الحسن العنبرى ورجل عدل على شهادة فقال عبيد الله للمدعى أما أبو عبيدة فقد عرفته فزدنى شاهدا

١٢ وكان عبيد الله أحد الادباء الفقهاء الصلحاء زعم ابن عائشة قال عتبت عليه مرة فى شيء قال فلقينى يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم وأنا أخرج فقلت معرضا به (٢)

طمعت بليلى ان تريع وانما   تقطع أعناق الرجال المطامع

فانشدنى معرضا تاركا لما قصدت له

وبايعت ليلى فى خلاء ولم يكن   شهود على ليلى عدول مقانع

١٣ وكان ابن عائشة يتحدث عنه حديثا عجيبا ثم عرف مخرج ذلك الحديث ذكر ابن عائشة وحدثنى عنه جماعة لا أحصيهم كثرة أن عبيد الله بن الحسن شهد عنده رجل من بنى نهشل على أمر أحسبه دينا فقال له أتروى قول الأسود بن يعفر. نام الخلى فما أحس رقادى . فقال له الرجل لا فرد شهادته وقال لو كان فى هذا خير لروى شرف أهله فحدثنى شيخ من الأزد حديثا ظننت ان عبيد الله اياه قصد قال تقدم رجل الى سوار بن عبد الله «وسوار ابن عم عبيد الله بن الحسن» يدعى دارا وامرأة تدافعه وتقول لسوار انها والله خطة ما وقع فيها كتاب قط فأتى المدعى بشاهدين يعرفهما سوار فشهدا له بالدار وجعلت المرأة تنكر انكارا يعضده التصديق ثم قالت سل عن الشهود فان الناس يتغيرون فرد المسألة فحمد الشاهدان فلم يزل يريث أمورهم ويسأل الجيران فكل يصدق المرأة والشاهدان

---

(١) وان حفروا بئرى حفرت بئارهم   ليعلم قوم كيف تلك النبائث

(٢) الشعر للبعيث

قد ثبتا فشكا ذلك الى عبيد الله فقال له عبيد الله أنا أحضر مجلس الحكم معك فآتيك بالجلية ان شاء الله تعالى فقال للشاهدين ليس للقاضى ان يسألكما كيف شهدتما ولكن أنا أسألكما قال فقالا أراد هذا ان يحج فأدارنا على حدود الدار من خارج وقال هذه دارى فان حدث بى حادث فلتبع ولتقسم على سبيل كذا قال أفعندكما غير هذه الشهادة قالا لا فقال الله أكبر وكذا لو ادرتكما على دار سوار وقلت لكما مثل هذه المقالة أكنتما تشهدان بها لى ففهما أنهما قد اغترا . فكان سوار اذا سأل عن عدالة الشاهد يتبع المسألة ان يقول أالجائز العدالة هو قال فظننت ان عبيد الله رأى فى الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبه.

١٤ وحدثنى أحد أصحابنا ان رجلا من الأعراب تقدم الى سوار فى أمر فلم يصادف عنده ما يحب فاجتهد فلم يظفر بحاجته قال فقال الأعرابى وكانت فى يده عصا

رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارا
بأننى أخبط فى ليلتى كلبا فكان الكلب سوارا

ثم انحنى على سوار بالعصا فضربه حتى منع منه قال فما عاقبه سوار بشئ.

١٥ وحدثت ان اعرابياً من بنى العنبر سار الى سوار فقال ان أبى مات وتركنى وأخا لى وخط خطين فى الارض ثم قال وهجينا وخط خطا ناحية فكيف تقسم المال فقال أهاهنا وارث غيركم قال لا قال المال بينكم أثلاثا فقال لا أحسبك فهمت عنى انه تركنى وأخى وهجينا لنا فقال سوار المال بينكم أثلاثا قال فقال الاعرابى أيأخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخى قال أجل فغضب الاعرابى ثم أقبل على سوار فقال تعلم والله انك قليل الخالات بالدهنا فقال سوار اذاً لا يضيرنى ذلك عند الله شيئا (١)

وكان عقيل بن علفة من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد علمناه فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه وكانت لعقيل اليه حاجات فقال اما اذ كنت فاعلا فجنبنى هجناءك . وخطب اليه ابنته ابراهيم بن هشام بن اسماعيل

---

(١) قيل انه ليس بالدهنا أمة وانما كان فيها الحرائر

ابن هشام بن الوليد بن المغيرة وهو خال هشام بن عبـد الملك ووالى المدينة وكان أبيض شديد البياض فرده عقيل وقال

ردت صحيفة القرشى لما   أبت اعراقه الا احمرارا

وكانت حفصة بنت عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قدميت عنها فخطبها جماعة من قريش أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وأحدهم ابراهيم بن هشام فكان أخوها محمد بن عمران اذا دخل الى ابراهيم بن هشام أوسع له وانشده

وقالوا يا جميل اتى أخوها   فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

أحبك أن نزلت جبال حِسمى   وان ناسبت بثنة من قريب

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العذرى فأما جميل بن معمر الجمحى فلا نسب بينه وبين معمر أى ليس بينه وبينه أب آخر وكانت له صحبة وكان خاصا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ويروى عن عبد الرحمن بن عوف انه قال اتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله فسمعته ينشد بالركبانية

وكيف ثوائى بالمدينة بعد ما   قضى وطرا منها جميل بن معمر

فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ما قلت فقلت نعم فقال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم (١)

وكان جميل بن معمر الجمحى قتل أخا لأبى خراش الهذلى يوم فتح مكة أتاه من ورائه وهو موثق فضربه ففى ذلك يقول أبو خراش

فأقسم لو لاقيته غير موثق   لآبك بالعرج الضباع النواهل

لكان جميل اسوأ الناس صِرعة   ولكن أقران الظهور مقاتل

فليس كعهد الدار يا أم مالك   ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل   سوى الحق شيئا فاستراح العواذل

قوله اسوأ الناس صِرعة أى الهيئة التى يصرع عليها تقول جلست جَلسة

---

(١) قال .ش . وهم أبو العباس رحمه الله فى هذا وانما القصة ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف ينشد

وركبت ركبة وهو حسن الجلسة والركبة أى الهيئة التى يجلس عليها ويركب عليها وكذلك القِعدة والنيمة وقوله لآبك أى لعادك وأصل هذا من الاياب والرجوع قال الله تبارك وتعالى ان الينا ايابهم وقال عبيد بن الابرص

وكل ذى غيبة يؤوب (١) وقوله بالعرج فهو ناحية من مكة به وُلد عبدالله ابن عمرو بن عثمان بن عفان فسمي العرجى ويقال بل كان له مال بذلك الموضع فكان يقيم فيه (٢) وللنواهل فيه قولان أحدهما العطاش وليس بشىء والآخر الذى قد شرب شربة فلم يرو فاحتاج الى أن يعُل كما قال امرؤ القيس

اذ هن أقساط كرجل الدّبى أو كقطا كاظمة الناهل

وقوله أحاطت بالرقاب السلاسل يقول جاء الاسلام فمنع من الطلب بالاوتار الا على وجهها .

الفصل الثامن فى تكاذيب الاعراب

١ وهذا باب من تكاذيب الاعراب قال ابو العباس حدثنى النوزى قال سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الاخبار من أخبار العرب فقال لى ان العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه .

٢ وحدثنى سليمان بن عبد الله عن أبى العميثل مولى العباس بن محمد قال تكاذب أعرابيان فقال أحدهما خرجت مرة على فرس لى فاذا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلت اليها فاذا قطعة من الليل لم تنتبه فما زلت أحمل بفرسى عليها حتى أنبهتها فانجابت وقال الآخر لقد رميت ظبيا مرة بسهم فعدل الظبي يمنة فعدل السهم خلفه فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه ثم علا الظبى فعلى السهم خلفه فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه .

---

(١) وغائب الموت لا يؤوب (٢) قال ش . هذا وهم من أبى العباس رحمه الله وأما صوابه فعبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه

٣ وحدثنى أبو عمر الجرمى قال سألت أبا عبيدة عن قول الراجز

أهدموا بيتك لا ابالكا   وأنا أمشى الدألى حوالكا

فقلت لمن هذا الشعر فقال هذا يقوله الضب للحسل أيام كانت الاشياء تتكلم. (قال ابو العباس) الدألى مشى كمشى الذئب يقال هو يدأل فى مشيه اذا مشى كمشية الذئب من ذلك قول امرىء القيس . أقبَّ حثيث الركض والدألان . ومن قال فى بيت ابن عنمة الضبى (١) تعارضه مربية دءول . فانما أراد هذا ومن قال ذءول فأنما أراد السرعة يقال مر يذأل اذا مر يسرع وقوله حوالكا يقال هو يطوف حواله وحوله وحَواليه ومن قال حواليه بالكسر فقد أخطأ وفى القرآن نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وحواليه تثنية حوال كما تقول حنانيه الواحد حنان قال الشاعر

فقالت حنان ما أتى بك هاهنا   أذو نسب أم أنت بالحى عارف (٢)

والحنان الرحمة قال الله عز وجل وحنانا من لدنا وقال الشاعر (٣) لعمر بن الخطاب رحمه الله

تحنن علىَّ هداك المليك   فأن لكل مقام مقالا

وقال طرفة .

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر أهون من بعض

٤ وحدثنى غير واحد من أصحابنا قال قيل لرؤبة ماقولك

. لو اننى عمرت سن الحسل   او عمر نوح زمن الفطحل   والصخر مبتل كمثل الوحل .

مازمن الفطحل قال أيام كانت السلام رطابا (٤) قوله سن الحسل مثل تضربه العرب فى طول العمر (٥) وأنشدنى رجل من بنى العنبر أعرابى فصيح لعبيد ابن أيوب العنبرى

---

(١) . حقيبة رحلها بدذ وسرج . (٢) فاعل قالت هى وحنان خبر لمبتدا محذوف . السباعى (٣) وهو الحطيئة . (٤) عدت العرب ذلك اكذوبة على اعتقادها والواقع لايكذبه كما هو المعروف عن تكوين الارض . السباعى

(٥) ذكر ابن جنى ان الحسل يعيش ثلثمائة سنة .

كأنى وليلى لم يكن حل أهلنا بواد خصيب والسلام رطاب

٥ وتزعم الرواة ان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب قال لابنى الجون الكنديين يوم جبلة ان لى عليكما حقا لرحلتى ووفادتى فدعونى أنذر قومى من موضعى هذا فقالا شأنك فصرخ بقومه فاسمعهم على مسيرة ليلة .

٦ ويروى عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها أرأيت قول أبيك

بنى عامر هل تعرفون اذا غدا أبو مكنف قد شد عقد الدوابر
بجيش تضل البلق فى حجراته ترى الاكم منه سجدا للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البوادر
أبت عادة للورد أن يكره الوغى وحاجة رمحى فى نمير بن عامر

أحضرت هذه الوقعة فقال نعم قلت فكم كانت خيلكم قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه . قال فذكرت هذا لابن أبى بكر الهذلى قال وكان قد بلغ مائة سنة وكان قد أدرك أيام الحجاج قال فحدثنى عن أبيه قال حضرت يوم جبلة فكانت الخيل فى الفريقين مع ما كان مع ابنى الجون ثلاثين فرسا . قال فحدثت بهذا الحديث الخثعمى وكان راوية أهل الكوفة فحدثنى ان خثعم قتلت رجلا من بنى سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه

لعمرى وما عمرى علىّ بهين لنعم الفتى غادرتمُ آل خثعما
وكان اذا ما أورد الخيل بيشة الى جنب أشراج أناخ فألجما
فأرسلها رهوا رعالا كأنها جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك فقالت اللهم انى لا أعرف الا فرسه .

قوله قد شد عقد الدوابر يريد عقد دوابر الدرع فان الفارس اذا حمى فعل ذلك وقوله تضل البلق فى حجراته يقول لكثرته لايرى فيه الابلق والابلق مشهور المنظر لاختلاف لونيه من ذلك قوله

فلئن وقفت لتخطفنك رماحنا ولئن هربت ليعرفن الابلق

وحجراته نواحيه وقوله . ترى الأكم منه سجدا للحوافر . يقول لكثرة

الجيش تطحن الا كم حتى تلصقها بالارض وقوله كمثل الليل يقول كثرة فيكاد يسد سواده الأفق ولذلك يقال كتيبة خضراء أى سوداء وكانت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هو فيها والمهاجرون والانصار يقال لها الخضراء والمرتجس الذى يسمع صوته ولا يبين كلامه يقال ارتجس الرعد من هذا والوغى الاصوات والتوالى اللواحق يقال تلاه يتلوه اذا اتبعه وتلوت القرآن اى أتبعت بعضه بعضا والمتلية التي معها أولادها . وقوله فأرسلها رهوا يقول ساكنة قال الله جل وعز واترك البحر رهوا ويقال عيش راه يا فتى أى ساكن ورعال جمع رعيل وهو ماتقدم من الخيل يقال جاء فى الرعيل الاول قال عنترة

اذلا أبادر فى المضيق فوارسى ولا أوكل بالرعيل الأول

وقوله زهته ريح نجد فانهما يقول رفعته واستخفته قال ابن أبى ربيعة

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

ومعنى أتهم أتى تهامة

٧ وتحدث الرواة بان الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى وكان ينسب بزينب بنت يوسف فارتاع من نظر الحجاج فدعا به فلما عرفه قال مبتدئا

هاك يدى ضاقت بى الارض رحبُها وان كنت قد طوفت كل مكان
ولو كنت بالعنقاء أو بأسومها لخلتك الا ان تصد ترانى (١)

ثم قال والله ان قلت الا خيرا انما قلت

يخبئن اطراف البنان من التقى ويخرجن جنح الليل معتجرات(٢)

قال أجل ولكن أخبرنى عن قولك

ولما رأت ركب النميرى اعرضت وكن من ان يلقينه حذرات

فى كم كنت قال والله ان كنت الا على حمار هزيل ومعى رفيق على أتان مثله

٨ وزعم أبو عبيدة عمن حدثه ان بكر بن وائل أرادت الغارة على قبائل

---

(١) قال الاخفش من رفع رحبها فعلى البدل ومن نصب فعلى الظرف وأسومها بفتح الهمزة وبالضم والفتح أحسن (٢) هذا البيت من قطعة حسنة ستأتى فى باب الغزل بالجزء الثانى السباعى

بنى تميم فقالوا ان علم بنــا السُّلَيك أنذرهم فبعثوا فارسين على جوادين يريغان السليك فبصرا به فقصداه وخرج يمحص كأنه ظبى فطارداه سحابة يومهما ثم قالا هذا النهارُ ولوجن عليه الليـل لقد فتر فجدا فى طلبه فاذا به قـد بال فرغا فى الأرض وخدها فقالا قاتله الله ما أشد متنيه ولعل هذا كان من أول الليل فلما امتد به الليـل فتر فاتبعاه فاذا به قد عثر بأصل شـجرة فندرمنها كمكان تلك وانـكسرت قوســه فارتزت قصدة منها فى الارض فنشبت فقالا قاتله الله والله لا نتبعه بعد هذا فرجعا عنه وأتم الى قومه فأنذرهم (١) فلم يصدقوه لبعد الغاية ففى ذلك يقول .

يكذبنى العمران عمرو بن جندب ... وعمرو بن كعب والمكذب اكـذب
ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها ... كراديس يهديها الى الحى موكب
كراديس فيهـا الحوفزان وحوله ... فوارس هام متى يدع يركبوا
فصدقه قوم فنجوا وكذبه قوم فورد عليهم الجيش فاكتسحهم

٩ ومن ذلك قول مهلهل بن ربيعة

فلو نشر المقــابر عن كليب ... فتخبر بالذنائب أى زير (٢)
بيوم الشعثمين لقـر عينا ... وكيف لقاء من تحت القبور
كأنا غـدوة وبنى أبينـا ... بجنب عنـيزة رحيـا مدير
كأن رماحهم أشطانُ بئر ... بعيـدٍ بينُ جاليهـا جرور
فلولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

١٠ وحـدثنى عمـرو بن بحر قال أتيت أبا الربيع الغنوى وكان من أفصح الناس وأبلغهم ومعى رجل من بنى هاشم فقلت أأبو الربيع هاهنا فخرج الىّ

---

(١) «ش» يروى اتم بالف وتم بغير الف ونم بالنون ومعنى تم الى قومـه نفذ (٢) قال أبو الحسن يقال فلان زير نساء وطلب نساء وتبع نساء وخلب نساء اذا كان صاحب نساء وذلك ان مهلهلا كان صاحب نساء فكان كليب يقول ان مهلهلا زير نساء ولا يدرك بثأر فلما أدرك مهلهل بثأر كليب قال أى زير فرفع أيا بالابتداء والخبر محذوف فكأنه قال أىّ زير أنا فى هذا اليوم

وهو يقول خرج اليك رجل كريم فلما رأى الهاشمى استحيا من نخره بحضرته فقال أكرم الناس رديفا وأشرفهم حليفا فتحدثنا مليا ثم نهض الهاشمى فقلت لا بى الربيع يا أبا الربيع من خير الخلق فقال الناس والله فقلت من خير الناس قال العرب والله قلت فمن خير العرب قال مضر والله قلت فمن خير مضر قال قيس والله قلت فمن خير قيس قال يعصر والله قلت فمن خير يعصر قال غنى والله قلت فمن خير غنى قال المخاطب لك والله قلت أفأنت خير الناس قال نعم اى والله قلت أيسرك ان تحتك بنت يزيد بن المهلب قال لا والله قلت ولك الف دينار قال لا والله قلت فالفا دينار قال لا والله قلت ولك الجنة فاطرق ثم قال على ألا تلدمنى وأنشد

تأبى لاعصر أعراق مهذبة ... من أن تناسب قوما غير أكفاء
فان يكن ذاك حتما لا مرد له ... فاذكر حذيف فانى غير أباء

قوله أكرم الناس رديفا فان أبا مرثد الغنوى كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأشرفهم حليفا كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وقوله فاذكر حذيف أراد حذيفة بن بدر الفزارى وانما ذكره من بين الاشراف لأنه أقربهم اليه نسبا وذاك ان يعصر بن سعد بن قيس وهؤلاء بنو ريث بن غطفان بن سعد بن قيس .

وقد قال عيينة بن حصن يهجو ولد يعصر وهم غنى وباهلة والطفاوة

أباهل ما أدرى أمن لؤم منصبى ... أحبكم أم بى جنون وأولق
أسيد أخوالى ويعصر أخوتى ... فمن ذا الذى منى مع اللؤم احمق

فقال الباهلى يجيبه

وكيف تحب الدهر قوما هم الألى ... نواصيكم فى سالف الدهر حلقوا
ألست فزاريا عليك غضاضة ... وان كنت كنديا فانك ملصق

١١ ومن ذلك ما يحكون فى خبر لقمان بن عاد فانهم يصفون ان جارية له سئلت عما بقى من بصره لدخوله فى السن فقالت والله لقد ضعف بصره ولقد بقيت منه بقية يفصل بها بين أثر الأنثى والذكر من الذر اذا دب على الصفا فى أشياء تشاكل هذا من الكذب

١٢ وحدثت ان امرأة عمران بن حطان السدوسى قالت له أما حلفت أنك لا تكذب فى شعر فقال لها أوكان ذلك قالت نعم قلت

فكذاك مجزأة بن ثو ر كان اشجع من أسامه

أيكون رجل أشجع من أسد فقال لها ما رأيت أسدا فتح مدينة قط ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة (١)

١٣ ومر عمران بن حطان بالفرزدق وهو ينشد فوقف عليه فقال

أيها المادح العباد ليعطى ان لله ما بأيدى العباد

فاسأل الله ما طلبت اليهم وارج فضل المقسم العواد

لا تقل للجواد ماليس فيه وتسم البخيل باسم الجواد

وأنشدنى الحسن بن رجاء لرجل من المحدثين لم يسمه (٢)

أبا دلف يا اكذب الناس كلهم سواى فانى فى مديحك أكذب

وأنشدنى آخر لرجل من المحدثين (٣)

انى امتدحتك كاذبا فأثبتنى لما امتدحتك ما يثاب الكاذب

١٤ وخبرت ان قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان (٤) فاتفق هرم معه فى مسجد وهو يقول حدثنا هرم بن حيان مرة بعد مرة بأشياء لا يعرفها هرم فقال له ياهذا أتعرفنى أنا هرم بن حيان ماحدثتك من هذا بشىء قط فقال له القاص وهذا أيضا من عجائبك انه ليصلى معنا فى مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان كيف توهمت أنه ليس فى الدنيا هرم بن حيان غيرك.

---

(١) مجزأة بن ثور جعل له عمر رحمه الله رياسة بكر فلما أسن فعل عثمان بن عفان رضى الله عنه ذلك مع ابنه شقيق بن مجزأة وقتل رحمه الله على تستر هو والبراء بن مالك وكانا من أبطال المسلمين (٢) هو بكر بن النطاح فى أبى دلف (٣) أيضا قال أبو الحسن هو بكر بن النطاح

(٤) الهرم الضب يقال انه فى الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج قال الشاعر . كما أكب على ذى بطنه الهرم * وقيل ان هرم بن حيان حملته أمه اربع سنين ولذلك سمي هرما

١٥ وكان بالرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر التحدث عن بنى اسرائيل فيظن به الكذب فقال له يوما الحجاج بن حنتمة ما كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنتمة فقال له رجل من ولد أبي موسى الاشعرى فى أى الكتب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن العاص .

١٦ ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتهن وكان واجداعليه فقال معاوية هات فأنشده .

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته   على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه   اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ثم لم ينشب معاوية أن دخل عليه معن بن أوس المزنى فقال له معاوية أقلت بعد ناشيئا قال نعم يا أمير المؤمنين فأنشده .

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل   على أينا تغدو المنية أول

حتى صار الى الابيات التى أنشدها ابن الزبير فقال له معاوية يا أبا بكر أما ذكرت آنفا أن هذا الشعر لك قال أنا أصلحت معانيه وهو ألف الشعر وهو بعد ظئرى فما قال من شيء فهو لى (قال أبو العباس) وكان عبد الله بن الزبير مسترضعا فى مزينة . وشهد اعرابى عند معاوية بشهادة فقال له معاوية كذبت فقال له الاعرابي الكاذب متزمل فى ثيابك فقال معاوية هذا جزاء من عجل . وقال معاوية يوما للاحنف وحدثه حديثا أتكذب فقال والله ما كذبت مذ علمت ان الكذب يشين أهله .

١٧ وقال الاصمعى قلت لاعرابى كنت أعرفه بالكذب أصدقت قط قال لولا انى أخاف أن أصدق فى هذا لقلت لك .

١٨ وقال القينى أنا اصدق فى صغير مايضرنى ليجوز كذبى فى كبير ماينفعنى وأنشد المازنى للأعشى وليس مما روت الرواة متصلا بقصيدة .

فصدقتهم وكذبتهم   والمرء ينفعه كذابه

١٩ وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معد يكرب كان معروفا بالكذب وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان عمرو بن معد يكرب يكذب

فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال وذكروا من غير وجه ان أهل الكوفة من الاشراف كانوا يظهرون بالكناسة فيتحدثون على دوابهم الى أن يطردهم حر الشمس فوقف عمرو بن معد يكرب وخالد بن الصقعب النهدى فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال له خالد حلاً أبا ثور ان قتيلك هو المحدث فقال ياهذا اذا حدثت فاستمع فانما نتحدث بمثل ماتسمع لترهب به هذه المعدية قوله حلا أبا ثور يقول استثن يقال حلف ولم يتحال أى لم يستثن وقوله مسترعفين يقول مقدمين له يقال جاء فلان يرعُف الجيش ويؤم الجيش اذا جاء متقدماً لهم ويقال فى الرعاف رعَف يرعُف لا يقال غير رعَف ويجوز يرعَف من أجل العين وليس من الوجه وسنذكر هذا الباب .

اعلم أن كل فعل على فعُل فهو غير متعد الى مفعول لانه فعل الفاعل فى نفسه وتأويله الانتقال وذلك قولك كرم عبد الله وظرف عبد الله وتأويل قولى الانتقال انما هو انتقال من حال الى حال تقول ما كان كريما ولقد كرم وما كان شريفاً ولقد شرف فهذا تأويله فأما قولهم كدت أكاد فانما كدت معترضة على أكاد . وما كان من فعِل الصحيح فانه يفعَل نحو شرب يشرب وعلم يعلم وفرق يفرق ويكون متعديا وغير متعد تقول حذِرت زيدا وعلمت عبد الله ويكون فيه مثل سمنت وبخلت غير متعد وكله على يفعَل نحو يسمن ويبخل ويعلم ويحذر فأما قولهم فى الاربعة من الافعال يحسِب وييئس وينعِم وييبِس فهى معترضة على يفعِل تقول فى جميعها يحسَب وينعَم وييأس وييبَس . وما كان على فعَل فبابه يفعُل ويفعِل نحو قتل يقتل وضرب يضرب وقعد يقعد وجلس يجلس فقد انبأتك انه يكون متعديا وغير متعد فأما يأبى ويقلى فلهما علة تبين عند ما اذكره لك ان شاء الله ولا يكون فعَل يفعَل الا أن يكون يعرض له حرف من حروف الحلق الستة فى موضع العين أو موضع اللام فان كان ذلك الحرف عيناً فتح نفسه وان كان لاماً فتح العين وحروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك قولهم قرأ يقرأ قرءا يافتى وقراءة وسأل يسأل وجبه يجبه وذهب يذهب وتقول صنع يصنع

وظعن يظعن وضبح يضبح وكذلك فرغ يفرغ وسلخ يسلخ وقد يجوز أن يجئ الحرف على أصله وفيه أحد الستة يجوز زأر يزئر وفرغ يفرُغ وصبغ يصبُغ الا أن الفتح لا يكون فيما ماضيه فَعل الا وأحد هذه الحروف فيه وأما يأبى فله علة وأما يقلى فليس يثبت وسيبويه يذهب فى يأبى الى انه انما انفتح من أجل ان الهمزة فى موضع فائه والقول عندى على ماشرحت لك من انه اذا فتح حدث فيه حرف من حروف الحلق فانما انفتح لانه يصير الى الالِف وهى من حروف الحلق ولكن لم تذكر هنا لانها لاتكون أصلا انما تكون زائدة أو بدلا ولا تكون متحركة فانما هى حرف ساكن ولا يعتمد اللسان به على موضع فهذا الذى ذكرت لك من أن يسع ويطأ أحدهما فعِل يفعِل فى المعتل كحسب يحسب من الصحيح ولكن فتحتهما العين والهمزة كما تقول ولغ الكلب يلَغ والاصل يلِغ لحرف الحلق فتحه

٢٠ ويروى ان أخا اياس بن معاوية المزنى صار الى ابن هبيرة فقال طرقنى اللصوص فحاربتهم فهزمتهم وظفرت منهم بهذا المغول (١) فجعله ابن هبيرة تحت مصلاه ثم بعث الى الصياقلة فأحضرهم فقال أيعرف منكم الرجل عمله قالوا نعم فأخرج المغول فقال مِن عمل أيكم هذا فقال قائل منهم أنا عملت هذا واشتراه منى هذا أمس .

٢١ وحدثت أن عمر بن عبد العزيز كتب فى اشخاص اياس بن معاوية المزنى وعدى بن أرطأة الفزارى أمير البصرة وقاضيها يومئذ فصار اليه عدى فقرب ان يمزنه عند الخليفة فقال يا أبا واثلة ان لنا حقا ورحما فقال اياس أعلى الكذب تريدنى والله مايسرنى انى كذبت كذبة يغفرها الله لى ولا يطلع عليها الا هذا «وأومأ الى أبيه» ولى ماطلعت عليه الشمس (٢)

---

(١) المغول سيف صغير . (٢) قال أبو الحسن التمزين المدح ولم أسمع هذه اللفظة الا من ابى العباس وهى عندى مشتقة من المازن وهو النمل وبهذا سميت مازن كأنه أراد منه أن يكبره ويروى يكثره قال العتبي المازن بيض النمل وقال الشيخ قوله أن يمزنه عند الخليفة اى كأنه يجعله سيد مزينة لانه كان

٢٢ ويروى ان رجلا وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فكذبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك فتكذبنى لولا سخاء فيك ومقك الله عليه لشردت بك من وافد قوم . معنى ومقك أحبك يقال ومقته أمقه وهو على فعلت أفعل ونظيره من هذا المعتل ورم يرم وولى يلى وكذلك وسع يسع كانت السين مكسورة وانما فتحت للعين ولو كان أصلها الفتح لظهرت الواو نحو وجل يوجل ووحل يوحل والمصدر مقة كقولك وعد يعد عدة ووجد يجد جدة .

٢٣ ويروى ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم قال يارسول الله انما أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا أستتر بخلال أربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركت لك سرا فقال رسول الله دع الكذب فلما ولى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هم بالزنا فقال يسألنى رسول الله فان جحدت نقضت ماجعلت له وان أقررت حددت فلم يزن ثم هم بالسرق ثم هم بشرب الخمر ففكر فى مثل ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قد تركتهن جمع

الفصل التاسع فى المتفرقات

١ ذكر الأذواء من اليمن فى الاسلام

فأما فى الجاهلية فيكثرون نحو ذى يزن وذى كلاع وذى نواس وذى رعين وذى أصبح وذى المنار وذى القرنين . وأما فى الاسلام فنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنصارى . ومنهم قتادة ابن النعمان الانصارى ذو العين كانت عينه أصيبت فردها رسول الله صلى الله عليه

مزنيا والصواب يعزره قال الموصلى . وانى مع ذا الشيب حلو مزير . ولم يكن فى القضاة وانما كان أميرا على البصرة الى أن مات عمر وكان كتب عمر الى عدى اجمع ناسا ممن قبلك وشاورهم فى أياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة واستقض أحدهما فولى عدى اياسا .

وسلم فكانت أحسن عينيه وكانت تعتل عينه الصحيحة فلا تعتل المردودة معها. ومنهم أبو الهيثم بن التيهان الانصارى ذو السيفين كان يتقلد سيفين فى الحرب. ومنهم حباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأى وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ برأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له آراء فى الجاهلية مشهورة . ومنهم سعد بن صفيح ذو السبال . ومنهم ذو المشهرة وهو أبو دجانة سماك بن خرشة وكانت له مشهرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر وكل هؤلاء من الانصار . ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطفيل الأزدى ثم الدوسى ذو النور أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا فى جبينه ليدعو به قومه فقال يارسول الله هذه مثلة فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوطه فلما ورد على قومه بانسراة جعلوا يقولون ان الجبل ليلتهب وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة. ومنهم ثم من خزاعة ذو اليدين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين وكان قبل يدعى ذا الشمالين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فسلم فى الركعة الثانية فقال ذو اليدين يارسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ما كان ذاك فقال بلى يارسول الله فالتفت الى أصحابه فقال مايقول ذو اليدين فقالوا صدق يارسول الله فنهض فأتم ثم قال انى لأنسى او أنسّى لأستن.

٢ تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية

منهم سعد بن معاذ الانصارى وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجليه فى المشى لئلا يطأ على جناح ملك واهتز لموته عرش الله جل وعز وفى ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به الا لسعد أبى عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب وشُم من تراب قبره رائحة المسك . ومنهم حسان بن ثابت الانصارى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك وقال فى حديث آخر ان الله مؤيد حسانا بروح القدس مانافح عن نبيه وقالت عائشة كان يوضع لحسان منبر فى مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم حنظلة

ابن أبي عامر الانصاري غسلته الملائكة وذاك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبكم هذا قد غسلته الملائكة فسئل عن ذلك فقالت امرأته كان معي على مايكون الرجل مع امرأته فاعجلته حطمة بلغته في المسلمين فخرج فاصيب ففي ذلك يقول الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح حمى الدبر وكان خال أبيه

غسلت خالي الملائكة الابـ رار ميتاً أكرم به من صريع

وأنا ابن الذي حمت ظهره الدبـ ر قتيل اللحيان يوم الرجيع

ومنهم حارثة بن النعمان رأى جبريل صلى الله عليه وسلم مرتين وأقرأه جبريل السلام ومنهم ثم من خزاعة عمران بن حصين كانت تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن منهم وجوها ولا أطيب أرواحا ثم قد انقطعوا عني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابك جرح فكنت تكتمه فقال أجل قال ثم أظهرته قال قد كان ذلك قال أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت . ومنهم جرير بن عبد الله البجلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن عليه مسحة ملك ومنهم دحية بن خليفة الكلبي كان جبريل صلى الله عليه وسلم يهبط في صورته فمن ذلك يوم بني قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يامحمد أقد وضعتم سلاحكم ماوضعت الملائكة أسلحتها بعدُ ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة وهأنذا سائر اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا يصلوا العصر الا في بني قريظة فجعل يمر بالناس فيقول أمر بكم أحد فيقولون مر بنا دحية بن خليفة على بغلة عليها قطيفة خز نحو بني قريظة فيقول ذاك جبريل ثم مر دحية بعد ذلك وكان لايزال عليه السلام في غير هذا اليوم ينزل في صورته كما ظهر ابليس في صورة الشيخ النجدي .

٣ بر الاولاد وعقوقها

قيل لعمر بن ذر حيث نظر الى تعزيه عن ابنه كيف كان بره بك فقال

مامشيت بنهار معه قط الا مشى خلفى ولا بليل الا مشى أمامى ولا رقى سطحا وأنا تحته .

وقيل لعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم انك من أبر الناس بأمك ولسنا نراك تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى الى ماقد سبقت عينها اليه فأكون قد عققتها .

وقال أبو المخش كانت لى ابنة تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة فى ذراع كأنها جمارة فلا تقع عينها على أكلة نفيسة الاخصتنى بها فزوجتها وصار يجلس معى على المائدة ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة فى ذراع كأنها كربة فوالله ان سبقت عينى الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها .

وقال الاصمعى قيل لابى المخش أما كان لك ابن فقال المخش وما كان المخش كان والله أشدق خرطمانيا اذا تكلم سال لعابه كأنما ينظر من قلتين وكأن ترقوته بوان أو خالفة وكأن مشاش منكبيه كركرة جمل فقأ الله عينى هاتين ان كنت رأيت بهما أحسن منه قبله ولا بعده . قوله بوان أو خالفة فهما عمودان من عمد البيت البوان فى مقدمه والخالفة فى مؤخره والكرنافة طرف الكربة العريض الذى يتصل بالنخلة كأنه كتف حدثنى بهذا الحديث العباس ابن الفرج الرياشى عن الاصمعى وحدثنى عمن حدثه قال مر بنا اعرابى ينشد ابنا له فقلنا صفه فقال دنينير قلنا لم نره فلم نلبث أن جاء بجعل على عنقه فقلنا لو سألت عن هذا لارشدناك مازال منذ اليوم بين أيدينا . وأنشدنى منشد وأنشدنى الرياشى أحد البيتين

نعم ضجيع الفتى اذا برد الليـــ ـل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله فى الفؤاد كما زين فى عين والد ولد

وقالت أم ثواب الهزانية من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار تعنى ابنها

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه أم الطعام ترى فى ريشه زغبا
حتى اذا آض كالفحال شذبه أباره ونفى عن متنه الكربا
أنشا يخرق أثوابى ويضربنى أبعد ستين عندى تبتغى الأدبا

انى لأبصر فى ترجيل لمتـه ... وخط لحيته فى وجهـه عجبا
قالت له عرسـه يوما لتسمعنى ... رفقاً فان لنـا فى أمنا أربا
ولو رأتنى فى نار مسعرة ... من الجحيم لزادت فوقها حطبا

قوله أباره فهو الذى يصلحه يقال أبرت النخل وأبرته خفيفة اذا لقحته ويروى أن مالك بن العجلان أو غيره من الانصار كان يتحف أبا جبيلة الملك حيث نزل بتمر من نخلة لهم شريفة فغاب يوماً فقال أبو جبيلة ان مالـكا كان يقوت علينا جنى هـذه النخلة فجدوها فجاء مالك وقد جدت فقال من سعى على عذق الملك فجده فأعلموه أن الملك أمر بذلك فجاء حتى وقف عليه فقال

جددت جنى نخلتى ظالما ... وكان الثمار لمن قد أبر

فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة أطرفوه بهذا الحديث فقال صلى الله عليه وسلم الثمر لمن أبر الا أن يشترطه المشترى والفحال فحل النخل ولا يقال لشىء من الفحول فحال غيره وأنشدنى المازنى .

يطفن بفحال كأن ضبابه ... بطون الموالى يوم عيد تغدت

وضبابه طلعه وآض عاد ورجع وقولها شذ به تقول قطع عنـه الـكرب والعثاكيل وكل مشذب مقطوع ويقال للرجل الطويل النحيف مشذب يشبه بالجذع المحذوف عنه الـكرب وأصل التشذيب القطع قال الفرزدق

عضت سيوف تميم حين أغضبها ... رأس ابن عجلى فأضحى رأسه شذبا

أراد عضت سيوف تميم رأس ابن عجلى حين أغضبها وابن عجلى عبد الله ابن خازم السلمى وأمه عجلى وكانت سوداء وهو أحد غربان العرب فى الاسلام وسئل المهلب مَن أشجع الناس فقال عباد بن حصين وعمر بن عبيد الله بن معمر والمغيرة ابن المهلب فقيل له فأين ابن الزبير وابن خازم وعمير بن الحباب فقال انما سئلت عن الأنس ولم أسأل عن الجن

٤ اكرام رسول الله لعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب

قال أبو العباس حدثنى مسعود بن بشر قال حدثنى محمـد بن حرب قال أتى عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليـه وسلم فـكساه حلة

وأقعده الى جانبه ثم قال انه ابن أخي وكان أبوه يرحمني (١)

وأنشدني مسعود قال أنشدني طاهر بن علي بن سليمان قال أنشدني منصور ابن المهدي لرجل من بني ضبة بن أد يقوله لبني تميم بن مر بن أد .

أبني تميم انني أنا عمكم لا تحرمُن نصيحة الاعمام
اني أرى سبب الفناء وانما سبب الفناء قطيعة الارحام
فتداركوا بأبي وأمي أنتم ارحامكم برواجح الاحلام (٢)

زهد عمر بن الخطاب وتفقده لعماله

قال الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لأبي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعاً قال فلما قدمنا أتيت يرفأ فقلت يا يرفأ مسترشد وابن سبيل أيّ الهيئات أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ اليّ بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتي على رأسي فدخلنا على عمر فصفنا بين يديه فصعد فينا وصوّب فلم تأخذه عينه أحدا غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترتزق قلت الفاً قال كثير فما تصنع به قلت أتقوّت منه شيئا وأعود به على أقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا عليّ فدعاني فقال كم سنك قلت خمس واربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعت له فأتي بخبز وأكسار بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت أنظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى ألين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت فقلت أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك

---

(١) الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقه (٢) كذا أنشد ارحامكم ويروى أحسابكم

اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليناً واللحم غريضاً فسكن من غربه وقال أهاهنا غرت قلت نعم فقال ياربيع انا لو نشاء ملأ نا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكني رأيت الله عزوجل نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ثم أمر أبا موسى باقراري وان يستبدل بأصحابي قوله فاشتها على رأسي يقول أدرت بعضها على بعض على غير استواء يقال رجل ألوث اذا كان شديدا وذلك من اللوث ورجل الوث اذا كان أهوج وهو مأخوذ من اللوثة . وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سئل الاصمعي عن المجنون المسمى قيس بن معاذ فثبته وقال لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبي حية الشاعر . وقيل للأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى بم كنتم تعرفون السودد فى الصبى منكم قال اذا كان ملوث الأزرة طويل الغرلة سائل الغرة كان به لوثة فلسنا نشك فى سودده وقوله تؤتى باللحم غريضا يقول طريا يقال لحم غريض وشواء غريض يراد به الطراء قال الغسانى (١)

اذا ما فاتنى لحم غريض ضربت ذراع بكرى فاشتويت

وقوله صلائق فمعناه ما عمل بالنار طبخاً وشيا يقال صلقت الجنب اذا شويته وصلقت اللحم اذا طبخته على وجهه وقوله سبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحوارى وكانت العرب تسمى الرقاق السبائك وأصله ماذكرنا والصناب يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابي اذا كان فى ذلك اللون وكان جرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ففركت جريرا وجعلت تحن الى زيد فقال جرير

تكلفنى معيشة آل زيد ومن لى بالمرقق والصناب

وقالت لا تضم كضم زيد وما ضمى وليس معى شبابى

فقال الفرزدق يجيبه .

فان تفركك علجة آل زيد ويعوزك المرقق والصناب

فقد ماكان عيش أبيك مرا يعيش بما تعيش به الكلاب

(١) هو السموأل .

وأما قوله اكسار بعير فان الكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليه من اللحم وأما قوله نعى على قوم شهواتهم فمعناه أنه عابهم بها ووبخهم قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على ان فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحارث بن شهاب أحد بنى ثعلبة بن يربوع بن حنظلة صياد الفوارس وسم الفرسان وفارس قيس عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وفارس ربيعة بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد أحد بنى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على بن بكر بن وائل قال ثم اختلفوا بينهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم وأما قوله أهينا غرت يقول ذهبت يقال غار الرجل اذا أتى الغور وناحيته مما انخفض من الأرض وأنجد اذا أتى نجدا وناحيته مما ارتفع فى الارض ولا يقال أغار انما يقال غار وانجد وبيت الاعشى ينشد على هذا

نبي يرى ما لا ترون وذكره لعمرى غار فى البلاد وانجدا

وقوله سكن من غربه يقول من حده وكذلك يقال فى كل شىء فى السيف والسهم والرجل وغير ذلك وقوله خفين مطارقين تأويله مطبقين يقال طارقت نعلى اذا أطبقتها ومن قال طرقت وأطرقت فقد أخطأ ويقال لكل ما ضوعف قد طورق قال ذو الرمة (١)

طراق الخوافى واقع فوق ريعة ندى ليله فى ريشه يترقرق

قوله ريعة موضع ارتفاع قال الله عز وجل (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) وهو جمع ريعة وقال الشماخ

تعن له بمذنب كل واد اذا ما الغيث أخضل كل ريع

٦ هيبة المرزبان من تقواه (٢)

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يلتف فى كسائه وينام فى ناحية المسجد فلما ورد بالمرزبان عليه جعلوا يسألون عنه فيقال مر ههنا آنفا فيصغر فى قلب المرزبان اذ رآه كبعض السوق حتى انتهى اليه وهو نائم فى ناحية المسجد فقال

(١) يصف صقرا (٢) كذا وقعت الرواية المرزبان والصواب الهرمزان وكان صاحب تسترا

المرزبان هذا والله الملك الهنيء يقول لا يحتاج الى أحراس ولا عدد فلما جلس عمر امتلأ قلب العلج منه هيبة لما رأى عنده من الجد والاجتهاد وألبس من هيبة التقوى وقال الكلبي قال لى خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز القسرى ما تعدون السؤدد فقلت اما فى الجاهلية فالرياسة وأما فى الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لى صدقت كان أبى يقول لم يدرك الأول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدرك به الأول قال فقلت صدق أبوك ساد الأحنف بحلمه وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له وساد قتيبة بدهائه وساد المهلب بجميع هذه الخلال فقال لى صدقت كان أبى يقول خير الناس للناس خيرهم لنفسه وذلك انه اذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع ومن القتل لئلا يقاد ومن الزنا لئلا يحد فسلم الناس منه باتقائه على نفسه قال أبو العباس وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال قال له عبد الملك يوما ما مالك فقال شيئان لا عيلة على معهما الرضا عن الله والغنى عن الناس فلما نهض من بين يديه قيل له هلا خبرته بمقدار مالك فقال لم يعد ان يكون قليلا فيحقرنى أو كثيرا فيحسدنى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون أعز الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله

وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه من سره الغنى بلا مال والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته فانه واجد ذلك كله .

٧ وقف على لضيعتى ابى نَيْزَر والبُغيبغة

رووا ان عليا رضى الله عنه لما أوصى الى الحسن فى وقف أمواله وان يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين ابى نيزر والبغيبغة وهذا غلط لأن وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته حدثنا أبو محلم محمد بن هشام فى اسناد ذكره آخره أبو نيزر وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الاعاجم قال وصح عندى

بعد أنه من ولد النجاشي فرغب فى الاسلام صغيرا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وكان معه فى بيوته فلما توفى رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام قال أبو نيزر جاءنى على بن أبى طالب وأنا اقوم بالضيعتين عين ابى نيزر والبغيبغة فقال لى هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعته باهالة سنخة فقال علىّ به فقام الى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئا ثم رجع الى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى انقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما الى أختها وشرب بهما حسا من ماء الربيع ثم قال يا أبانيزر ان الأكف أنظف الآنية ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه وقال من أدخله بطنه النارَ فأبعده الله ثم اخذ المعول وانحدر فى العين فجعل يضرب وابطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا فقال أشهد الله أنها صدقة علىّ بدواة وصحيفة . قال فعجلت بهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماتصدق به عبد الله علىّ أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبى نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقى الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين الا أن يحتاج اليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما

قال محمد بن هشام فركب الحسينَ رضى الله عنه دين فحمل اليه معاوية بعين أبى نيزر مائتى الف دينار فأبى أن يبيع وقال انما تصدق بها أبى ليقى الله بها وجهه حر النار ولست بائعها بشىء . وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والى المدينة أما بعد فان أمير المؤمنين أحب ان يرد الألفة ويسل السخيمة ويصل الرحم فاذا وصل اليك كتابى فاخطب الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له فى الصداق فوجه مروان الى عبد الله ابن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية واعلمه بما فى رد الألفة من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة فقال عبد الله ان خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر

فأنظرنى الى أن يقدم وكانت أمها زينب بنت على بن أبى طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر فقام من عنده فدخل الى الجارية فقال يا بنية ان ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ولعلك ترغبين فى كثرة الصداق وقد نحلتك البُغيبغات فلما حضر القوم للأملاك تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة فتكلم الحسين فزوجها من القاسم فقال له مروان أغدرا ياحسين فقال انت بدأت خطب أبو محمد الحسن بن على عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا لذلك فتكلمت انت فزوجتها من عبد الله بن الزبير فقال مروان ما كان ذلك فالتفت الحسين الى محمد بن حاطب فقال أنشدك الله أكان ذاك قال اللهم نعم . فلم تزل هذه الضيعة فى يدى بنى عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك له فقال كلا هذا وقف على بن أبى طالب صلوات الله عليه فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردها الى ما كانت عليه

٨ — تواضع عمر بن عبد العزيز وزهده

يروى ان عمر بن عبد العزيز كان يدخل اليه سالم مولى بنى مخزوم وقالوا بل زياد وكان عمر أراد شراءه وعتقه فاعتقه مواليه وكان عمر يسميه أخى فى الله فكان اذا دخل وعمر فى صدر مجلسه تنحى عن الصدر فيقال له فى ذلك فيقول اذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس . وهم السراج ليلة بأن يخمد فوثب اليه رجاء بن حَيوة ليصلحه فأقسم عليه عمر فجلس ثم قام فأصلحه فقال له رجاء أتقوم يا أمير المؤمنين قال قمت وأنا عمر ابن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا ترفعونى فوق قدرى فتقولوا فىّ ما قالت النصارى فى المسيح فان الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا .

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مرضته التى مات فيها فقال الا توصى ياأمير المؤمنين قال فيم اوصى فوالله ان لى من مال فقال هذه مائة ألف فمر فيها بما أحببت فقال أوتقبل قال نعم قال ترد على من أخذت منه

ظلما فبكى مسلمة ثم قال يرحمك الله لقد ألنت منا قلوبا قاسية وأبقيت لنا فى الصالحين ذكرا .

٩ — رسولاه الى أليون النصرانى بطلب هدايته

وحدثت أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وجه عبد الله بن عبد الأعلى ومعه رجل من عنس الى أليون قال العنسى فخلا بى عمر دونه وقال لى احفظ كل ما يكون منه فلما صرنا اليه صرنا الى رجل عربى اللسان انما نشأ بمرعش فذهب عبد الله ليتكلم فقلت على رسلك فحمدت الله وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قلت انى وجهت بالذى وجه به هذا وان أمير المؤمنين يدعوك الى الاسلام فان تقبله تصب رشدك وانى لأحسب ان الكتاب قد سبق عليك بالشقاء الا أن يشاء الله غير ذلك فان قبلت والا فاكتب جواب كتابنا قال ثم تكلم عبد الله فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب فى القول وكان مفوّها فقال له أليون ياعبد الله ماتقول فى المسيح فقال روح الله وكلمته فقال أيكون ولد من غير فحل فقال عبد الله فى هذا نظر فقال أى نظرفى هذا اما نعم واما لا فقال عبد الله آدم خلقه الله من تراب فقال انهذا أخرج من رحم قال فى هذا نظر قال له اليون بالرومية انى أعلم انك لست على دينى ولاعلى دين الذى أرسلك « قال وأنا أفهم بالرومية » ثم قال أتعظمون يوما غير يوم الجمعة فقال نعم فقال وما ذلك اليوم أمن أعيادكم هوفقال لاقال فلم تعظمونه قال عيد لقوم كانوا صالحين قبل أن يصير اليكم قال فقال له اليون بالرومية قد علمت انك لست على دينى ولا على دين الذى أرسلك فقال له عبدالله أتدرى ما يقوله أهل السفه قال وما يقولون قال يقولون قال ابليس أمرت ألا أسجد الا لله ثم قيل لى اسجد لآدم قال فقال له بالرومية الأمر فيك أبين من ذلك . قال ثم كتب جواب كتابنا قال فرجعنا الى عمر بها قال فخبرناه بما أردنا ثم نهضنا فردنى اليه من باب الدار فخلا بى فأخبرته فقال لعنه الله لقد كانت نفسى تأباه ولم أحسبه يجترىء على مثل هذا قال فلما خرجت قال لى عبد الله ما الذى قال لك قال قلت قال لى أتطمع فيه قلت لا .

علي بن عبد الله بن العباس وتوقعه الخلافة في بنيه

يروى عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه أنه افتقد عبدالله بن العباس رحمه الله فقال مابال أبي العباس لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي رحمه الله قال امضوا بنا اليه فأتاه فهنأه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ماسميته قال أويجوز لي أن أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه وحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذه اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن فلما قام معاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته قد كنيته أبا محمد فجرت عليه .

وكان علي سيدا شريفا بليغا وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلي في كل يوم الى كل أصل ركعتين فكان يدعى ذا الثفنات . وضرب بالسوط مرتين كلتاهما ضربه الوليد احداهما في تزوجه لبابة بنت عبد الله بن جعفر وكانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمى بها اليها وكان أبخر فدعت بسكين فقال ماتصنعين به قالت أميط عنها الاذى فطلقها فتزوجها علي بن عبد الله فضربه الوليد وقال انما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منها لأن مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه فقال علي بن عبد الله انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها لاكون لها مخرجا . وأما ضربه اياه في المرة الثانية فانا نرويه من غيروجه ومن أتم ذلك ماحدثنيه أبو عبد الله محمد بن شجاع البلخي(١) في اسناد له متصل لست أحفظه يقول في آخر ذلك الاسناد رأيت عليا مضروبا بالسوط يدار به على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح هذا علي بن عبد الله الكذاب قال فأتيته فقلت ماهذا الذي نسبوك فيه الى الكذب قال بلغهم قولي ان هذا الامر سيكون في ولدي والله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كأن وجوههم المجان المطرقة ومع هذا الحديث آخر في شبيه باسناده أن علي بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخليفتان أبو العباس وأبو جعفر قال أبو العباس وهذا غلط لما أذكره لك انما

---

(١) محمد بن شجاع الثلجي كذا صوابه

ينبغى أن يكون دخل على هشام فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم على دين فأمر بقضائها قال له وتستوصى بابنى هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصلتك رحم فلما ولى على قال الخليفة لأصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمع ذلك على فالتفت اليه فقال والله ليكونن ذاك وليملكن هذان . قال أبو العباس أما قولى ان الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمان فلأن محمد بن على بن عبد الله كان يمنع من تزوج الحارثية للحديث المروى فلما قام عمر بن عبد العزيز جاء محمد فقال له انى أردت أن أتزوج بنت خالى من بنى الحارث بن كعب أفتأذن لى فقال عمر تزوج رحمك الله من أحببت فتزوجها فأولدها أبا العباس أمير المؤمنين وعمر بعد سليمان فلا ينبغى أن يكون تهيأ له أن يدخل على خليفة حتى يترعرع (١) فلا يتم مثل هذا الا فى أيام هشام

وكان عبد الملك يكرم عليا ويقدمه فحدثنى التوزى قال قال على بن عبد الله سايرت يوما عبد الملك فما حاورنا الا يسيرا حتى لقيه الحجاج قادما عليه فلما رآه ترجل ومشى بين يديه فخب عبد الملك فأسرع الحجاج فزاد عبد الملك فهرول الحجاج فقلت لعبد الملك أبك موجدة على هذا فقال لا ولكنه رفع من نفسه فأحببت أن أغض منه . وحدثنى جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمى قال حضر علىّ عبد الملك وقد أهدى له من خراسان جارية وفص وسيف فقال يا أبا محمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدى وهي من سبى الصغد من رهط عجيف بن عنبسة فأولدها سليمان وصالحا ابنى على وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه فرض سليمان من جدرى خرج عليه فانصرف علىّ من مصلاه فاذا بها على فراشه فقال مرحبا بك يا أم سليمان فوقع بها فأولدها صالحا فاجتنبت بعد فسألها عن ذلك فقالت خفت أن يموت سليمان فينقطع النسب بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن اذ ولدت صالحا فبالحرى ان ذهب أحدهما أن يبقى الآخر وليس مثلى اليوم من وطئه

---

(١) ش كذا وقع فى الام والرواية والصحيح لهما أن يدخلا على خليفة حتى يترعرعا

الرجال . وزعم جعفر أنه كانت فيها رتة فالرتة تعذر الكلام اذا أراده الرجل فهى الآن معروفة فى ولد سليمان وولد صالح . وكان على يقول أكره أن أوصى الى محمد «وكان سيد ولده» خوفا من أن أشينه بالوصية فأوصى الى سليمان فلما دفن على جاء محمد الى سعدى فقال أخرجى الى وصية أبى فقالت ان أباك أجل من أن تخرج وصيته ليلا ولكنها تأتيك غدا فلما أصبح غدا بها عليه سليمان فقال يا أبى ويا أخى هذه وصية أبيك فقال محمد جزاك الله من ابن وأخ خيرا ما كنت لا ثرب على أبى بعد موته كما لم أثرب عليه فى حياته

قال أبو العباس التمتمة التردد فى التاء والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة التواء اللسان عند ارادة التكلم والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والرتة كالرتج تمنع أول الكلام فاذا جاء منه شئ اتصل والغمغمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف والطمطمة أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم واللكنة أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية واللثغة أن يعدل بحرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرب صوت الخيشوم والخنة أشد منها والترخيم حذف الكلام . وسنفسر هذا بحججه حرفا حرفا وما قيل فيه ان شاء الله

يقال رجل فأفاء يافتى تقديره فاعال (١) ونظيره من الكلام ساباط وخاتام (٢) قال الراجز

يا مىّ ذات الجورب المنشق　　　أخذت خاتامى بغير حق

وقال ربيعة الرَّقى فى مدحه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وذمه يزيد بن أسيد السلمى وربيعة احتج به الاصمعى

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى　　　يزيد سليم والأغر بن حاتم

---

(١) كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الاولى والصحيح انه بالهمز على فعلال مثل خضخاض وقمقام فالذى حكى أبو العباس غلط لان سيبويه رحمه الله قال ليس فى الصفات فاعال . (٢) قال أبو الحسن يقال خاتم على وزن دانق وخاتم على وزن ضارب وخيتام على وزن ديان وخاتام على وزن ساباط

فهم الفتى الأزدى اتلاف ماله ... وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام انى هجوته ... ولكننى فضلت أهل المكارم

وقال آخر أيضا

ليس بفأفاء ولا تمتام ... ولا مُحِثّ سقط الكلام

وقال الشاعر

وقد تعتريه عقلة فى لسانه ... اذا هز نصل السيف غير قريب

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال أقبلت على الفكر فى أيام محاربة الزط فاعترتنى حبسة فى لسانى وهذا يكون لان اللسان يحتاج الى التمرين على القول حتى يخف له كما تحتاج اليد الى التمرين على العمل والرجل الى التمرين على المشى وكما يعانيه مُوَتّر القوس ورافع الحجر ليصلب ويشتد قال الراجز

كأن فيه لففا اذا نطق ... من طول تحبيس وهم وأرق

وقال ابن المقفع اذا كثر تقليب اللسان رقت جوانبه ولانت عذَبته وقال العتابى اذا حبسُ اللسان عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف . وأما الرتة فانها تكون غريزة قال الراجز . يا أيها المخلط الأرت . ويقال انها تكثر فى الاشراف ولم توجد تختص واحداً دون واحد . وأما الغمغمة فقد تكون من الكلام وغيره لانه صوت لا يفهم تقطيع حروفه وحدثنى من لا أحصى من أصحابنا عن الاصمعى عن شُعبة عن قتادة قال قال معاوية يوماً من أفصح الناس فقام رجل من السماط فقال قوم تباعدوا عن فُراتية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طُمْطُمانية حمير فقال له معاوية من أولئك فقال قومى يا أمير المؤمنين فقال له معاوية من أنت قال أنا رجل من جرم قال الاصمعي وجرم من فصحاء الناس

قوله تيامنوا عن كشكشة تميم فان بنى عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف فى المخرج وانها مهموسة مثلها فأرادوا البيان فى الوقف لان فى الشين تفشياً فيقولون للمرأة جعل الله لك البركة فى دارش ويحك مالش فالتى يدرجونها يدعونها كافا والتى يقفون عليها

يبدلونها شيئا . وأما بكر فتختلف فى الكسكسة فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما يفعل التميميون فى الشين وهم أقلهم وقوم يبينون حركة كاف المؤنث فى الوقف بالسين فيزيدونها بعدها فيقولون أعطيتكس . وأما الغمغمة فاذكرت لك وقال الهارب لامرأته يوم الخندمة وذاك انها نظرت اليه يحد حربة فى يوم فتح مكة فقالت ماتصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت والله ان أراه يقوم لمحمد وأصحابه شئ فقال لها انى لأرجو أن أخدمك بعضهم وانشأ يقول (١)

ان تقبلوا اليوم فمابى عله * هذا سلاح كامل وأله * وذو غرارين سريع السله .

الألة الحربة والغرار ها هنا الحد يعنى بذى غرارين السيف فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل فلامته امرأته فقال

انك لو شهدت يوم الخندمه　　اذ فر صفوان وفر عكرمه
ولحقتنا بالسيوف المسلمه　　يفلقن كل ساعد وجمجمه
ضربا ولا تسمع الا غمغمه　　لهم نهيت حولنا وحمحمه
لم تنطق فى اللوم أدنى كلمه

وأما الطمطمانية ففيها يقول عنترة

تبرى له حول النعام كأنها　　حزق يمانية لأعجم طمطم

وكان صهيب أبو يحيي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتضخ لكنة رومية ويذكرون أن نسبه فى النمر بن قاسط صحيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة وقال عمر لصهيب فى قوله انه من النمر بن قاسط قد سمعت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انتمى الى غير نسبه فقال صهيب أنا من القوم ولكن وقع على سباء. وكان عبد بنى الحسحاس يرتضخ لكنة حبشية فلما أنشد عمر بن الخطاب .

---

(١) الهارب هو أبو عثمان الهذلى ويقال له الرعاش ويقال ان الرجز المذكور بعد هذا لحماس بن قيس أخى بنى بكر بن عبد مناة أنشده لنا أبو اسحاق والخندمة جبل دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وقيل الخندمة مشى فيه اسراع فأضيف الى اليوم لما كثر فيه

عميرة ودع ان تجهزت غاديا   كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال عمر لو كنت قدمت الاسلام على الشيب لأجزتك فقال ماسعرت يريد ماشعرت . وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية وانما أتته من قبل زوج أمه شيرويه الاسوارى ويقال ان علياً عليه السلام عاد زيادا فى منزل شيرويه فقال عبيد الله يوماً لرجل كلمه فظن به رأى الخوارج (١) أهرورى منذ اليوم يريد أحرورى وهذه الهاء تشترك فى قلبها من الحاء أصناف من العجم . وكان زياد الأعجم وهو رجل من عبد القيس يرتضخ لكنة أعجمية يذهب فيها الى مذهب قوم بأعيانهم من العجم وأنشد المهلب بن أبى صفرة فى مدحه اياه .

فتى زاده السلتان فى المدح رغبة   اذا غير السلتان كل خليل

يريد السلطان وذلك أن بين التاء والطاء نسبا فلذلك قلبها تاء لان التاء من مخرج الطاء فقال السلتان . وأما الغنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن لانها مالم تفرط تميل الى ضرب من النغمة قال ابن الرقاع العاملى يصف الظبية وولدها

تزجى أغن كان ابرة روقه   قلم أصاب من الدواة مدادها

١١ قول عمرو بن العاص وقد رئى على بغلة شمطاء .

حدثنى العباس بن الفرج فى اسناد ذكره قال نظر الى عمرو بن العاص على بغلة قد شمط وجهها هرما فقيل له أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر فقال لا ملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى ولا لصديقى ماحفظ سرى ان الملل من كواذب الاخلاق . قوله على اكرم ناخرة يريد الخيل يقال للواحد ناخر وقيل ناخرة يراد جماعة كما تقول رجل بغال وحمار والجماعة البغالة والحمارة وكذلك تقول أتتنى عصبة نبيلة وقبيلة شريفة والواحد نبيل وشريف

١٢ وده لعائشة القتل يوم الجمل وقوله لها ذلك

وقال عمرو لعائشة رضى الله عنها لوددت انك كنت قتلت يوم الجمل فقالت ولم لا أبالك فقال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك اكبر التشنيع على على

(١) الرجل الذى كلمه عبيد الله بن زياد وظن انه من الخوارج هانئ بن قبيصة

١٣ بينه وبين معاوية فى عبد الله بن هاشم

وشاور معاوية عمرا فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك بن أبى وقاص وكان هاشم بن عتبة أحد فرسان على رضى الله عنه(١) فأتى بابنه معاوية فشاور عمرا فيه فقال أرى أن تقتله فقال له معاوية انى لم أر فى العفو الا خيرا فمضى عمرو مغضبا وكتب اليه

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى … وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذى … أعان علينا يوم حز الغلاصم
فقتلنا حتى جرى من دمائنا … بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه عيصه … ويوشك أن تلقى به جد نادم

فبعث معاوية بأبياته الى عبد الله بن هاشم فكتب اليه عبد الله بن هاشم

معاوى ان المرء عمرا أبت له … ضغينة خب غشها غير نائم
يرى لك قتلى يا ابن هند وانما … ترى ما يرى عمرو وملوك الاعاجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم … اذا كان منه بيعة للمسالم
فان تعف عنى تعف عن ذى قرابة … وان تر قتلى تستحل محارمى

فصفح عنه

١٤ بين معاوية والاحنف وبين الاحنف وآخر فى العهد الى يزيد

ويروى ان معاوية بن أبى سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف جالس فقال له معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه الرجل بالباب فقال يا أبا بحر انى لأعلم ان شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى استخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان

---

(١) وهو المرقال

ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها .

١٥ بين معاوية وابنه يزيد فى الخديعة يوم بويع له على عهده

وروى ان يزيد بن معاوية قال لمعاوية فى يوم بويع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه(١) يا أمير المؤمنين والله ما ندرى أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال له معاوية كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته

١٦ بين معاوية ومن كان يكيد للاسلام من البطارقة

وحدث ان معاوية كان اذا أتاه عن بطريق من بطارقة الروم كيد للأسلام احتال له فاهدى اليه وكاتبه حتى يغرى به ملك الروم فكانت رسله تأتيه فتخبره بأن هناك بطريقا يؤذى الرسل ويطعن عليهم ويسىء عشرتهم فقال معاوية أىّ ما فى عمل الاسلام أحب اليه فقيل له الخفاف الحمر ودهن البان فألطفه بهما حتى عرفت رسله باعتياده ثم كتب كتابا اليه كأنه جواب كتاب منه يعلمه فيه انه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم وأمر الرسول بان يتعرض لان يظهر على الكتاب فلما ذهبت رسله فى أوقاتها ثم رجعت اليه قال ما حدث هناك قالوا فلان البطريق رأيناه مقتولا مصلوبا فقال وأنا أبو عبد الرحمن

١٧ بين معاوية وملك الروم فى الالغاز بقارورة

وحدثنى أحد الهاشميين ان ملك الروم وجه الى معاوية بقارورة فقال ابعث الى فيها من كل شىء فبعث الى ابن عباس فقال لتملأ له ماء فلما ورد بها على ملك الروم قال لله أبوه ما أدهاه فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك فقال لقول الله عز وجل (وجعلنا من الماء كل شىء حى) وقيل لرجل من بنى هاشم وهو جعفر ابن محمد بن على بن الحسين وكان يقدم فى معرفته ما طعم الماء فقال طعم الحياة

١٨ بين معاوية وملك الروم فى الاغراب بالطول والايد

وحدث ان ملك الروم فى ذلك الأوان وجه الى معاوية ان الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ويجهد بعضهم فى ان يغرب على بعض أفتأذن فى ذلك

---

(١) تقدم فى خطبة لمعاوية مدح شاعر ليزيد اذ سلم عليه بالخلافة . السباعى

فأذن له فوجه اليه برجلين أحدهما طويل جسيم والآخر أيد فقال معاوية لعمرو أما الطويل فقد اصبنا كفأه وهو قيس بن سعد بن عبادة وأما الآخر الأيد فقد أحتجنا الى رأيك فيه فقال هاهنا رجلان كلاهما اليك بغيض محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير فقال معاوية من هو أقرب الينا على حال فلما دخل الرجلان وجه الى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه فدخل قيس فلما مثل بين يدى معاوية نزع سراويله فرمى بها الى العلج فلبسها فنالت ثندوته (١) فاطرق مغلوبا فحدثت ان قيسا ليم فى ذلك فقيل له لم تبذلت هذا التبذل بحضرة معاوية هلا وجهت الى غيرها فقال

اردت لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس والوفود شهود
والا يقولوا غاب قيس هذه سراويل عادى نمته ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد وما الناس الا سيد ومسود
وبذجميع الخلق أصلى ومنصبى وجسم به أعلو الرجال مديد

وكان قيس سناطا (٢) فكانت الانصار تقول لوددنا انا اشترينا له لحية بأنصاف أموالنا وسنذكر خبره بعد انقضاء هذا الخبر ان شاء الله « أما عبد الله ابن الزبير فيذكر أهله انه قال عالجت لحيتى لتتصل لى الى ان بلغت ستين سنة فلما أكملتها يئست منها » ثم وجه الى محمد بن الحنفية فدخل فخبر بما دعى له فقال قولوا له ان شاء فليجلس وليعطنى يده حتى أقيمه أو يقعدنى وان شاء فليكن القائم وأنا القاعد فاختار الرومى الجلوس فأقامه محمد وعجز هو عن اقعاده ثم اختار ان يكون محمد هو القاعد فجذبه فأقعده وعجز الرومى عن اقامته فانصرفا مغلوبين.

وكان قيس بن سعد شجاعا جوادا سيدا وجاءته عجوز قد كانت تألفه فقال لها كيف حالك فقالت ما فى بيتى جرذ فقال ما أحسن ما سألت اما والله لا كثرن جرذان بيتك. وكان سعد بن عبادة حيث توجه الى حوران قسم ماله بين ولده

---

(١) الثندوة ما اسود حول الحلمة (٢) السناط والسنوط ان يكون فى الذقن شىء من الشعر ولا يكون فى العارضين شىء فان لم يكن فيهما جميعا شىء فهو الثط.

وكان له حمل لم يشعر به فلما ولد له قال عمر بن الخطاب لا تقضن ما فعل سعد فجاءه قيس فقال يا أمير المؤمنين نصيبي لهذا المولود ولا تنقض ما فعل سعد قال أبو العباس حدثت بهذا الحديث من حيث أثق به ان أبا بكر وعمر رحمهما الله مشيا الى قيس بن سعد يسألانه فى أمر هذا المولود فقال نصيبي له ولا أغير ما فعل سعد .

وكان معاوية كتب الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلى بن أبي طالب رحمه الله . أما بعد فانك يهودي ابن يهودي ان غلب أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان غلب أبغضهما اليك قتلك ومثل بك وقد كان أبوك فوق سهمه ورمى غرضه فاكثر الحز وأخطأ المفصل حتى خذله قومه وادركه يومه فمات غريبا بحوران والسلام . فكتب اليه قيس . أما بعد فانك وثن ابن وثن لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك دخلت فى الدين كرها وخرجت منه طوعا وقد كان أبي فوق سهمه ورمى غرضه فسعيت عليه أنت وأبوك ونظراؤك فلم تشقوا غباره ولم تدركوا شأوه ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى خرجت اليه والسلام .

وكان قيس موصوفا مع جماعة قد بذوا الناس طولا وجمالا منهم العباس ابن عبد المطلب رحمه الله وولده وجرير بن عبد الله البجلي والأشعث بن قيس الكندى وعدى بن حاتم الطائي وابن جذل الطعان الكناني وأبو زبيد الطائى وزيد الخيل بن مهلهل الطائى وكان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل منهم مقبل الظعن وكان طلحة بن عبيد الله موصوفا بالتمام

١٩ محاورة بين عتبة بن أبي سفيان وبين أعرابي

قال عبد الملك بن عمير استعمل عتبة بن أبي سفيان رجلا من آله على الطائف فظلم رجلا من أزد شنوأة فأتى الازدى عتبة فمثل بين يديه فقال

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم فقد أتاكم غريب الدار مظلوم

ثم ذكر ظلامته فقال له عتبة انى أراك أعرابيا جافيا والله ما أحسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم وليلة فقال أرأيت ان أنبأتك ذلك أتجعل لى عليك مسألة فقال

نعم فقال الاعرابى .

ان الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع ثم صلاة الفجر لاتضيع

فقال صدقت فاسأل فقال كم فقار ظهرك فقال لاأدرى فقال أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك قال ردوا عليه غنيمته . قوله فقار انما هو جمع فقارة ويقال فقرة فمن قال فى الواحد فقرة قال فى الجميع فقر كقولك كسرة وكسر ومن قال للواحدة فقارة قال للجميع فقار كقولك دجاجة ودجاج وحمامة وحمام.

٢٠ منافرة بين عبد الملك بن مروان وخالد بن يزيد

روى ان عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدا فقال ياأخى لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس والله ماهممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال ان خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى فقال له خالد أنا أكفيك فدخل خالد على عبدالملك والوليد عنده فقال ياأمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون فقال خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك أفى عبد الله تكلمنى والله لقد دخل على فما أقام لسانه لحنا فقال له خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد أسكت ياخالد فوالله ماتعد فى العير ولا فى النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه وقال ويحك فمن العير والنفير غيرى جدى أبو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت .

أما قوله فى العير فهى عير قريش التى أقبل بها أبو سفيان من الشام فنهد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وندب اليها المسلمين وقال لعل الله ينفلكموها فكانت وقعة بدر وساحل أبو سفيان بالعير فكانت الغنيمة ببدر كما قال الله

عزوجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم أى غير الحرب فلما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل بدر قال المسلمون انهد بنا يارسول الله الى العير فقال العباس رحمه الله انما وعدكم الله احدى الطائفتين وأما النفير فمن نفر من قريش ليدفع عن العير فجاءوا فكانت وقعة بدر وكان شيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو جد خالد من قبل جدته هند ام معاوية بنت عتبة ومن أمثال العرب

لست فى العير يوم يحدون بالعيـــر ولا فى النفـير يوم النفـير

ثم اتسع هـذا المثل حتى صار يقال لمن لا يصلح لخير ولا اشر ولا يحفل به لا فى العير ولا فى النفير . وقوله غنيمات وحبيلات يعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسـلم لما أطرد الحكم بن أبى العاصى بن أميـة وهو جد عبد الملك بن مروان لجأ الى الطائف فكان يرعى غنيمات ويأوى الى حبيلة وهى الكرمة وقوله رحم الله عثمان أى لرده اياه وقولنا أطرده أى جعله طريدا وطرده نحاه كما تقول حمدته أى شكرته وأحمدته أى صادفته محمودا وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده متى أفضى الأمر اليه روى ذلك الفقهاء

٢١ فطنة عبد الملك الى ما أراده صاحب الروم بالشعبي

لما وجه عبد الملك الشعبي الى صاحب الروم فـكلمه قال له صاحب الروم بعد انقضاء ما بينهما أمن أهل بيت المملكة أنت قال قلت لا ولـكنى رجل من العرب قال فكتب معى رقعة وقال لى اذا أديت جواب ماجئت له فأد هذه الرقعة الى صاحبك قال فلما رجعت الى عبد الملك فأعطيته جواب كتابه وخبرته بمادار بيننا نهضت ثم ذكرت الرقعة فرجعت فدفعتها اليه فلما وليت دعانى فقال لى أتدرى مافى هذه الرقعة قلت لا قال فيها « العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف ولوا أمورهم غـيره » قال فلما وليت دعانى فقال لى أفتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك قال فقلت انمـا كثرت عنده يا أمير المؤمنين لأنه لم يرك قال فرجع الـكلام الى ملك الروم فقال لله أبوه ماعدا مافى نفسى .

٢٢ أدب عبد الملك ومساجلاته

قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الادباء أى المناديل أفضل فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقىء البيض (١) وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبد الملك ماصنعتما شيئا أفضل المناديل ماقال أخو تميم يعنى عبدة بن الطبيب (٢)

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل
ورد وأشقر مايؤنيه طابخه ماغير الغلى منه فهو مأكول
ثمت قمنا الى جرد مسومة أعرافهن لأيدينامناديل

قوله غرقىء البيض يعنى القشرة الرقيقة التى تركب البيضة دون قشرها الاعلى وقشرها الاعلى يقال له القيض وقوله المراجيل انما حده المراجل ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها للضرورة كما قال .

. نفى الدراهيم تنقاد الصياريف . (٣) وقد فسرنا هذا وقوله ورد وأشقر مايؤنيه طابخه يقول ماتغير من اللحم قبل نضجه فقوله مايؤنيه طابخه يقول مايؤخره لانه لو آناه لأنضجه لان معنى آناه بلغ به اناه اى ادراكه قال الله عز وجل الى طعام غير ناظرين اناه وتقول أنى يأنى انى اذا أدرك وآن يئين مثله وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن أى قد بلغ اناه وقوله ماغير الغلى منه فهو مأكول يقول نحن أصحاب صيد وهذا من فعلهم (٤) وقوله مسومة تكون على ضربين أحدهما أن تكون معلمة والثانى أن تكون قد أسيمت فى المرعى وهى هاهنا معلمة وقد ذكرنا هذا التفسير * وانما أخذ مافى هذه الابيات من بيت امرىء القيس فانه جمع مافى هذه الأبيات فى بيت واحد مع فضل التقدم

نمش باعراف الجياد أكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

---

(١) الغرقىء يهمز ولايهمز وكذلك فعله (٢) عبدة باسكان الباء (٣) الحجة فى الصياريف (٤) العرب لاتنضج اللحم اما لاستعجالها للضيف واما لأن ذلك مستحب عندها فلذلك قال لايؤنيه وقيل لتعجيل القرى (٥) فى خطبة على بن أبى طالب وقد قتلت خيل معاوية عامله على الانبار . السباعى

وهو الذى لم يدرك ونمش نمسح ويقال للمنديل المشوش وكانت العرب تألف الطيب وتطرح ذلك فى حالتين فى الحرب والصيد قال النابغة

سهكين من صدا ِ الحديد كأنهم تحت السنوّر جنة البقـار

وقال آخر

وأسيافكم مسك محل أ كفكم على انها ريح الدماء تضوع (١)

معنى تضوع تفوح وروى عن ابنة هانئ بن قبيصة (٢) انه لما قتل عنها لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة فتزوجها رجل من أهلها فكان لايزال يراها تذكر لقيطا فقال لها ذات مرة مااستحسنت من لقيط فقالت كل أموره كانت حسنة ولكنى أحدثك أنه خرج مرة الى الصيد وقد انتشى فرجع وبقميصه نضح من دم صيده والمسك يضوع من أعطافه ورائحة الشراب من فيه فضمنى ضمه وشمنى شمه فليتنى كنت مت ثمه قال ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها اليه وقال أين أنا من لقيط فقالت ماء ولا كصدآء مثل حمراء ووزنها فعلاء وموضع اللام همزة وهى بئر مقدمة واسمها ماذكرنا عن الاصمعى وأبى عبيدة وكذلك سمعنا العرب تقوله ومن ثقل فقد أخطأ ومثل ذلك رجل ولا كمالك (٣) «يعنون مالك بن نويرة» ومرعى ولا كالسعدان

٢٣ بنات ذى الاصبع وحديثهن فى الزواج

وحدثنى على بن عبد الله عن ابن عائشة قال كان ذو الاصبع العدوانى رجلا غيورا وكانت له بنات أربع وكان لايزوجهن غيرة فاستمع عليهن يوما وقدخلون يتحدثن فقالت قائلة منهن لتقل كل واحدة منكن مافى نفسها ولنصدق جميعا قال فقالت كبراهن

ألاليت زوجى من أناس ذوى غنى حديث الشباب طيب النشر والذكر

لصوق بأ كبـاد النساء كأنه خليفة جان لايقيم على هجر

قال وقالت الثانية

---

(١) تضوع رواية (٢) ذكر يعقوب أنها ابنة قيس بن خالد الشيبانى ش

(٣) ما يقال فتى ولا كمالك. وقد تقدم لأبى العباس فتى وهو الصواب

الا ليتـه يعطى الجمـال بديئـة له جفنة تشقى بهـا النيب والجزر
له حكمـات الدهر من غير كبرة تشين فلا فان ولا ضرع غمر (١)

فقلن لها أنت تريدين سيدا فقالت الثالثة .

الا هل تراها مرة وحليلهـا أشم كنصل السيف عين المهند (٢)
عليا بأدواء النساء ورهـطه اذاماانتمى من أهل بيتى ومحتـدى

فقلن لها أنت تريدين ابن عم لك فقد عرفته وقلن للصغرى ماتقولين فقالت لا أقول شيئا فقلن لا ندعك وذاك انك اطلعت على أسرارنا وتكتمـين سرك فقالت زوج من عود خير من قعود قال فخطبن فزوجهن جمع ثم أمهلهن حولا ثم زار الكبرى فقال لها كيف رأيت زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال لها فا مالكم قالت الابل قال وما هى قالت نأكل لحمانها مُزعا ونشرب ألبانها جُرعا وتحملنا وضعفتنا معا فقال زوج كريم ومال عميم ثم زار الثانية فقال لها كيف رأيت زوجك قالت يكرم الحليلة ويقرب الوسيلة قال فما مالكم قالت البقر قال وما هى قالت تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء قال لها رضيت وحظيت ثم زار الثالثة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت لاسمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وماهى قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال لها جذو مغنية ثم زار الرابعة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال لها فما مالكم قالت شر مال الضأن قال لها وما هن قالت جوف لايشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أشبه امرؤ بعض بزه (٣) فأرسلها مثلا .

قال على بن عبد الله قلت لابن عائشة ماقولها وأمر مغويتهن يتبعن فقال أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه . قول الثانيـة له جفنة تشقى بهـا النيب والجزر فالنيب جمع ناب وهى المسنـة وانما قيل لها ناب لطول نابها قال اوس بن حجر تشبه نابا وهى فى السن بكرة .

---

(١) أخذ التجارب وهو مأخوذ من حكمة اللجام . ش (٢) حليلها بفتح اللام وبالغم وأشم مثله . (٣) أشبه امرأ بعض بزه رواية

وتقدير نيب من الفعل فُعل ولكن ما كان من ذوات الياء كسر له موضع الفاء من الفعل لتصح الياء لان الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها كانت واوا فى الاصل نحو موقن وموسر وان فارقتها الضمة عادت الى أصلها نحو قولك مياسير ومثل ذلك أبيض وبيض وانما بيض فعل كأحمر وحمر واصفر وصفر . ولكن كسرت النون لتصح الياء ولو كانت واوا فى الأصل لم تغير نحو أسود وسود وقوله ناب تقديرها فعل متحركة العين ولا تنقلب الياء ولا الواو الفا الا وهما فى موضع حركة وما قبلهما مفتوح نحو باع وقال ورمى وغزا لأن التقدير فَعل ولو كان على فعْل لصحت الياء والواو كما تقول بيع وقول وفعَل قد يجمعون على فعْل كقولهم أسد وأسد ووثن ووثْن وقولها تشقى بها النيب والجزر فانما عطفت أحدهما على الآخر لان من الابل ما يكون جزورا للنحر لا غير وأما قولها ولا ضَرع غمر فالضرع الضعيف والغمر الذى لم يجرب الأمور ويروى أن الحجاج لما ورد عليه ظفر المهلب بن أبى صفرة وقتله عبد ربه الصغير وهرب قطرى عنه تمثل فقال لله در المهلب والله لكانه ما وصف لقيط الايادى حيث يقول

وقلدوا امركم لله دركم   رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده   ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب هذا الدهر اشطره   يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته   مرّ العزيمة لا رثا ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أيها الأمير والله لكأنى اسمع هذا التمثيل من قطرى فى المهلب فسر الحجاج بذلك سرورا تبين فى وجهه . وقولها كنصل السيف [illegible] المهند فالمهند المنسوب الى الهند وقولها من أهل بيتى ومحتدى فالمحتد الاصل قال الشاعر . [illegible]

وفى السر من قحطان اولاد حرة   عظام اللها بيض [illegible]

وقوله مال عميم يقول جامع أخذه من عم يعم [illegible] وقولها [illegible] الجذو جمع جذوة وهى القطعة وأصل ذلك فى الخشب ما كان منه فيه نار قال الله عز وجل [illegible] أو جذوة من النار وتجمع أيضا جذا قال ابن مقبل [illegible]

بانت حواطب سلمى يلتمسن لها   جزل الجذا غير خوار ولا دعر

الخوار الضعيف والدعر الكثير الثقب يقال عود دعر . وقولها جوف لا يشبعن تقول عظام الأجواف وهيم لا ينقعن الهيم العطاش يكون الواحد من هيم أهيم ويقال فى هذا المعنى هيمان وقال بعض المفسرين فى قول الله عز وجل (فشاربون شرب الهيم) قال هى الابل العطاش وقال ذو الرمة (١)

فراحت الحقب لم تقصع صرائرها   وقد نشحن فلارى ولا هيم(٢)

ويقال قصع صارته اذا روى والصارة شدة العطش والنشوح ان تشرب دون الرى يقال نشح ينشح ومثله تغمر اذا لم يرو ويقال للقدح الصغير الغمر من هذا وقال بعض المفسرين الهيم رمال بعينها واحدتها هيماء يا فتى وقولها لا ينقعن أى لا يروين يقال نقعت ماشية بنى فلان برى اذا لم تبلغ من الماء حقها ويقال للماء النقع ويقال النقع فى غير هذا الموضع للغبار يقال أثاروا النقع بينهم والنقع اسم موضع بعينه قال الشاعر

لقد حببت نعم الينا بوجهها   مساكن ما بين الوتائر والنقع (٣)

والنقع الصراخ قال لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق   يحلبوه ذات جرس وزجل

وقولها وصم لا يسمعن طريف من كلام العرب وذلك انه يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره أعمى وانما يراد به أنه قد حل محل من لا يبصر ألبتة اذا لم يعمل بصره وكذلك يقال للسميع الذى لا يقبل أصم قال الله جل ذكره (صم بكم عمى) كما قال جل ثناؤه (أم على قلوب أقفالها) وكذلك انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله عز وجل (كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) وتقول العرب أبلد ما يرعى الضأن ويقال أحمق من راعى ضأن ثمانين (٤) وتحدث عمرو بن بحر قال كان يقال لا ينبغى لعاقل ان يشاور واحدا

---

(١) يصف حميرا (٢) الحقب البيض الأعجاز من الحمير (٣) الوتائر بالتاء منقوطة باثنتين من فوق (٤) قوله أحمق من راعى ضأن ثمانين المثل لكسرى فى أعرابى خيره فاختار ذلك ذكره أبو عبيد وهذا غير ما أشار اليه أبو العباس

من خمسة القطان والغزال والمعلم وراعي الضأن والرجل الكثير المحادثة للنساء وقيل في مثل هذا لا تدع أم صبيك تضرب به فانه أعقل منها وان كان طفلا وقال الأحنف بن قيس انى لأجالس الاحمق الساعة فأتبين ذلك في عقلي وقال جل ثناؤه في صفة النساء (أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين)

٢٤ مناكح خالد بن يزيد وتحريض عبد الملك عليه من أجلها

قال أبو العباس تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءهن شرف من هن منه منهن أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وآمنة بنت سعيد بن العاصي ابن أمية ورملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ففي ذلك يقول بعض الشعراء يحرض عليه عبد الملك

عليك أمير المؤمنين بخالد ففي خالد عما تحب صدود

اذا ما نظرنا في مناكح خالد عرفنا الذي ينوي واين يريد

فطلق آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك ففي ذلك يقول خالد

فتاة أبوها ذو العصابة وابنه وعثمان ما اكفاؤها بكثير

فان تفتلتها والخلافة تنقلب باكرم علقى منبر وسرير

قوله أبوها ذو العصابة يعني سعيد بن العاصي بن أمية وذلك ان قومه يذكرون انه كان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له وينشدون

أبو أحيحة من يعتم عمته يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

ويزعم الزبيريون ان هذا البيت باطل موضوع وقوله فان تفتلتها يقول تأخذها فجاءة ومن ذلك قول الشاعر

من يأمن الايام بعـ ـد صبيرة القرشي ماتا(١)

سبقت منيته المشيـ ـب وكان ميتته افتلاتا

وفي الحديث أن رجلا قال يارسول الله ان أمي افتلتت أي ماتت فجاءة . ويروى ان آمنة لبثت عند الوليد فلما هلك عبد الملك سعى بها ساع الى الوليد قال

---

(١) صبيرة بالصاد مهملة في الرواية المشهورة و بالضاد معجمة . رواية عاصم على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين ورواية ابن سراج برفع يأمن على الاستفهام

أبو العباس و بلغني انها سمعت بها احدى ضراتها الى الوليد بأنها لم تبك على عبد الملك كما بكى نظائرها فقال لها الوليد فى ذلك فقالت صدق القائل أ كنت قائلة ماذا أقول ياليته كان بقى حتى يقتل أخا لى كعمرو بن سعيد . وفى رملة بنت الزبير يقول خالد .

تجول خلاخيل النساء ولا أرى   لرملة خلخالا يجول ولا قلبا
فلا تكثروا فيها الملام فانني   تخيرتها منهم زبيرية قلبا
أحب بنى العوام طرا لحبها   ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وزيد فيها .

فان تسلمى أسلم وان تتنصرى   يعلق رجال بين أعينهم صلبا

فيروى أن عبد الملك ذكر له هذا البيت فقال له ياخالد أتروى هـذا البيت فقال يا أمير المؤمنين على قائله لعنة الله

٢٥ عزم عبد الملك على الحجاج أن يطلق بنت عبد الله بن جعفر قبل الدخول بمشورة خالد

وذكر العتبى أن الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى لما أكره عبد الله بن جعفر على أن زوجه ابنته استأجله فى نقلها سنة ففكر عبـد الله بن جعفر فى الانفكاك منه فألقى فى روعه خالد بن يزيد فكتب اليه يعلمه ذلك وكان الحجاج تزوجها بأذن عبد الملك فورد على خالد كتابه ليلا فاستأذن من ساعته على عبد الملك فقيل له أفى هذا الوقت فقال انه أمر لا يؤخر فأعلم عبد الملك بذلك فأذن له فلما دخل عليه قال له عبد الملك فيم السرى يا أبا هاشم قال أمر جليل لم آمن أن أؤخره فتحدث على حادثة فلا أكون قضيت حق بيعتـك قال وما هو قال أتعلم انه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سفيان قال لا قال فان تزويجى الى آل الزبير حلل ما كان لهم فى قلبى فما أهل بيت أحب الى منهم قال فان ذلك ليكون قال فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم وأنت تعلم مايقولون ويقال فيهم والحجاج من سلطانك بحيث علمت قال فجزاه خيرا وكتب الى الحجاج بعزمة أن يطلقها فطلقها فغدا الناس عليه يعزونه

عنها فكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان فأوقع الحجاج بخالد فقال كان الامر لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه فقال له عمرو بن عتبة لاتقل ذا أيها الامير فان لخالد قديما سبق اليه وحديثاً لم يغلب عليه ولو طلب الامر لطلبه بجد وجد ولكنه علم علما فسلم العلم الى أهله فقال الحجاج يا آل أبي سفيان أنتم تحبون أن تحلموا ولا يكون الحلم الا عن غضب فنحن نغضبكم فى العاجل ابتغاء مرضاتكم فى الآجل ثم قال الحجاج والله لأتزوجن من هو أمس به رحما ثم لا يمكنه فيه شئ فتزوج أم الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد

أما قوله ألقى فى روعه فان العرب تقول ألقى فى روعى وفى قلبي وفى جخيفى وفى تاموري كذا وكذا ومعناه كله واحد الا أن لهذه الاشياء مواضع مختصة وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى فالروع والجخيف غير مختلفين والعرب تقول اذهب الله قلبه ولا قلب له ولا تقول لا روع له فكان الروع هو متصل بالقلب وعنه يكون الفهم خاصة ويقال رأيت قلب الطائر ولا يقال رأيت روع الطائر والتامور عند العرب بقية النفس عند الموت وبعضهم يفصح عنه فيجعله دم القلب خاصة الذى يبقى للانسان مابقى يقال ضعه فى تامورك وفى قلبك وفى روعك وفى جخيفك والذماء ممدود مثل التامور سواء تقول العرب ليس فى الحيوان أطول ذماء من الضب وذلك انه يذبح ثم يطرح فى النار بعد أن ظن انه قد برد فربما سعى من النار

٢٦ بعض سمات الحجاج بن يوسف الثقفى

يقال كان الحجاج اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار. وكان اذا صعد المنبر تلفع بمطرفه ثم تكلم رويداً فلا يكاد يسمع ثم يتزيد فى الكلام حتى يخرج يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من فى المسجد. وكان يطعم فى كل يوم على الف مائدة على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية ويطاف به فى محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس وعلى كل مائدة عشرة ثم يقول يا أهل الشأم اكسروا الخبز لئلا يعاد عليكم وكان له ساقيان أحدهما يسقى الماء والعسل والآخر يسقى اللبن

٢٧ ـ عصبيته لمحمد بن عمير بن عطارد على حجار بن أبجر

جلس الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة وحجار بن أبجر بن بجير العجلى فأقبل فى وسط من الطعام على محمد بن عمير بن عطارد فقال يا محمد أيدعوك قتيبة بن مسلم الى نصرتى يوم «رُستقباذ» فتقول هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل لاجعل الله لك فيه ناقة ولا جملا يا حرسى خذ بيده وجرد سيفك فاضرب عنقه فنظر الى حجار بن أبجر وهو يتبسم فدخلته العصبية وكان مكان حجار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مضر وأتى الخباز بفرنية فقال اجعلها مما يلى محمدا فان اللبن يعجبه يا حرسى شم سيفك وانصرف . وكان محمد شريفاً وله يقول الشاعر

علم القبائل من معد وغيرها ان الجواد محمد بن عطارد

وذكرت بنو دارم يوماً بحضرة عبد الملك فقالوا قوم لهم حظ فقال عبد الملك أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولا عقب له ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له ومضى محمد بن عمير بن عطارد ولا عقب له والله لاتنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا

قوله شم سيفك يقول اغمده ويقال شمت السيف اذا سللته وهو من الاضداد ويقال شمت البرق اذا نظرت من أى ناحية يأتى قال الأعشى

فقلت للشرب فى دُرنى وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

وقال الفرزدق .

بايدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى وتأويله لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى أى لم يغمدوا سيوفهم الا وقد كثرت القتلى حين سلت

وحدثنى الحسن بن رجاء قال قدم علينا على بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك بانيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران فقال الحسن ونحن اذ ذاك نجرى على نيف وسبعين ألف ملاح وكان الحسن بن سهل يسهر مع المأمون وكان المأمون يتصبح فيجلس الحسن للناس الى وقت انتباهه قال فلما ورد علىّ

قلت قد ترى شغل الامـير قال اذا لا أضيع معك قلت أجل فدخلت على الحسن ابن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال ألا ترى ما نحن فيه قلت لست بمشغول عن الأمر له فقال يعطى عشرة آلاف درهم الى أن نتفرغ له فأعلمت ذلك على بن جبلة فقال فى كلمة له

أعطيتنى ياولى الحق مبتدئا عطية كافأت مدحى ولم ترنى
ماشمت برقك حتى نلت ريقه كانما كنت بالجدوى تبادرنى

٢٨ استطلاعه آراء السلف فى الفريضة المخمسة .

ويروى عن بعض الفقهاء (١) قال دعانى الحجاج فسألنى عن الفريضة المخمسة وهى أم وجد وأخت فقال لى ماقال فيها الصديق رحمه الله قلت أعطى الأم الثلث والجد مابقى لأنه كان يراه أبا قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعنى عثمان رحمه الله قلت جعل المـال بينهم أثلاثا قال فما قال فيها ابن مسعود قال قلت اعطي الاخت النصف والأم ثلث ما بقى والجد ثلثيه لانه كان لا يفضل أما على جد قال فما قال فيها زيد بن ثابت قال قلت أعطى الأم الثلث وجعل مابقى بين الأخت والجد للذكر مثل حظ الانثيين لانه كان يجعل الجد كاحد الاخوة الى الثلاثة قال فزم بأنفه ثم قال فمـا قال فيها أبو تراب قال قلت أعطى الام الثلث والاخت النصف والجد السدس فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال فانه المرء يرغب عن قوله

٢٩ . مدح ليلى الاخيلية له .

ويروى ان ليلى الاخيلية قدمت عليه فأنشدته

اذا ورد الحجاج أرضا مريضـة تتبـع أقصى دائهـا فشفاهـا
شفاها من الداء العقام الذى بهـا غـلام اذا هز القناة ثناها (٢)

فقال لها لاتقولى غلام قولى همام ثم قال لها أى نسائى أحب اليك ان أنزلك عندها الليلة قالت ومن نساؤك أيها الامير قال أم الجلاس بنت سعيد بن العاصى الاموية وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية وهند بنت المهلب بن أبى صفرة العتـكية فقالت القيسية أحب الىَّ فلما كان الغد دخلت عليه فقال ياغلام أعطهـا

(١) هو الشعبي (٢) العقام بالفتح والضم والضم أفصح .

خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها أدما فقال قائل انما أمر لك بشاء قالت الامير أكرم من ذلك فجعلهـا ابلا اناثا استحياء وانما كان أمر لها بشاء أولا . والأدم البيض من الابل وهي أكرمها .

٣٠ رؤيته اقتلاع عينيه وتأويل ذلك

وكان الحجاج رأى فى منامه أن عينيه قلعتا فطلق الهندين هندا بنت المهلب وهندا بنت أسماء بن خارجة فلم يلبث أن جاءه نعى أخيه من اليمن فى اليوم الذى مات فيه ابنه محمد فقال هذا والله تأويل رؤياى ثم قال انا لله وانا اليه راجعون محمد ومحمد فى يوم واحد

حسبى بقاء الله من كل ميت وحسبى رجاء الله من كل هالك
اذا كان رب العرش عنى راضيا فان شفاء النفس فيما هنالكِ (١)

وقال من يقول شعرا يسلينى به فقال الفرزدق

ان الرزية لا رزية مثلهـا فقدان مثل محمـد ومحمـد
ملكان قد خلت المنابر منهما أخذ الحمـام عليهما بالمرصد

فقال لو زدتنى فقال الفرزدق

انى لباك على ابنى يوسف جزعا ومثل فقدهمـا للدين يبكينى
ماسد حىٌّ ولا ميت مسدهمـا الا الخلائف من بعد النبيئينِ

فقال له ماصنعت شيئا انما زدت فى حزنى فقال الفرزدق

لئن جزع الحجاج مامن مصيبـة تكون لمحزون أجل وأوجعـا
من المصطفى والمصطفى من خيارهم جناحيـه لمـا فارقاه فودعا
أخ كان أغنى أيمنَ الارض كلـه وأغنى ابنه أهل العراقين أجمعـا
جناحا عقاب فارقاه كلاهمـا ولو نزعا من غـيره لتضعضعا

فقال الآن .

أما قوله الا الخلائف من بعد النبيئين فخفض هذه النون وهى نون الجمع وانما فعل ذلك لانه جعل الاعراب فيها لافيما قبلها وجعل هذا الجمع كسائر الجمع نحو

(١) ويروى فان سرور النفس

أفلس ومساجد وكلاب فان اعراب هذا كاعراب الواحد وانما جاز ذلك لان الجمع يكون على أبنية شتى وانما يلحق منه بمنهاج التثنية ما كان على حد التثنية لا يكسر الواحد عن بنائه والا فلا فان الجمع كالواحد لاختلاف معانيه كما تختلف معانى الواحد والتثنية ليست كذلك لانها ضرب واحد ولا يكون اثنان أكثر من اثنين عددا كما يكون الجمع أكثر من الجمع فمما جاء على هذا المذهب قولهم هذه سنين فاعلم وهذه عشرين فاعلم قال العَدوانى

انى أبىّ أبىّ ذو محافظة　　وابن أبىّ أبىّ من أبيين

وانتم معشر زيد على مائة　　فأجمعوا كيدكم طرا فكيدونى

وقال سحيم بن وثيل

وماذا يدرى الشعراء منى　　وقد جاوزت حد الأربعين

أخو خمسين مجتمع أشدى　　ونجذنى مداورة الشؤون

وفى كتاب الله عز وجل ولا طعام الامن غسلين فان قال قائل فان غسلينا واحد فانه كل ما كان على بناء الجمع من الواحد فاعرابه كاعراب الجمع الا ترى ان عشرين ليس لها واحد من لفظها واعرابها كاعراب مسلمين واحدهم مسلم وكذلك جميع الاعراب وتقول هذه فلسطون يا فتى ورأيت فلسطين يا فتى هذا القول الاجود وكذلك يبرين وفى الرفع يبرون يافتى وكل ما أشبه هذا فهو بمنزلته تقول قنسرون ورأيت قنسرين والأجود فى هذا البيت (١)

وشاهدنا الجل والياسمو　　ن والمسمعات بقصابها (٢)

وفى القرآن مايصدق ذلك قول الله عز وجل كلا ان كتاب الأبرار لفى عليين وما أدراك ما عليون فمن قال هذه قنسرون ويبرون فنسب الى واحدة منهما رجلا أو شيئاً قال هذا رجل قنسرى ويبرى بحذف النون والواو لمجىء حرفى النسب ولو أثبتهما لكان فى الاسم رفعان ونصبان وجران لأن الياء مرفوعة والواو علامة الرفع ومن قال هذه قنسرينُ كما ترى قال فى النسب قنسرينى لان الاعراب فى حرف النسب وانكسرت النون كما ينكسر كل ما لحقه النسب . واما قوله

(١) هو للأعشى (٢) الجل الورد والقصاب الاوتار وقيل الزمار

ويجذنى مداورة الشؤون فمعناه فهمنى وعرفنى كما يقال حنكته التجارب والناجذ آخر الاضراس من ذلك قولهم ضحك حتى بدت نواجذه والشؤون جمع شأن مهموز وهو الأمر وقال المفسرون من أهل الفقه وأهل اللغة فى قول الله تبارك وتعالى ولا طعام الا من غسلين هو غسالة أهل النار وقال النحويون هو فعلين من الغسالة .

٣١ مخادعة الحجاج للوليد وملقه لعبد الملك

وكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك بعد وفاة محمد بن يوسف . أخبر أمير المؤمنين اكرمه الله انه أصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة الف دينار فان يكن اصابها من حلها فرحمه الله وان تكن من خيانة فلا رحمه الله فكتب اليه الوليد أما بعد فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلف محمد بن يوسف وانما أصاب ذلك المال من تجارة أحللنا هاله فترحم عليه رحمه الله . ويروى ان يزيد ابن معاوية قال لمعاوية فى يوم بويع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه يا أمير المؤمنين ما ندرى أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال له معاوية كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته ،

ويروى ان الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان وبلغنى ان أمير المؤمنين عطس عطسة فشمته قوم فقال يغفر الله لنا ولكم فياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما .

٣٢ تفجع الوليد على وفاة الحجاج وقرة بن شريك

وأنين عمر بن عبد العزيز من جور الولاة

وزعم الأصمعى قال خرج الوليد يوماً على الناس وهو مشعانّ الرأس فقال مات الحجاج بن يوسف وقرة بن شريك وجعل يتفجع عليهما .

قوله مشعان الرأس يعنى منتفخ الشعر متفرقه (١) ومثل هذا الا يكون فى شعر لان فى هذا التقاء ساكنين ولا يقع مثل هذا فى وزن الشعر الا فيما تقدم ذكره فى المتقارب وليس ذا على ذلك الوزن .

---

(١) الرواية منتفخ والصحيح منتفش قاله ابن سراج .

ويروى ان عمر بن عبد العزيز خرج يوما فقال الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز ومحمد بن يوسف باليمن امتلأت الأرض والله جورا .

٣٣ رأى سليمان بن عبد الملك فى الحجاج ورد يزيد بن أبى مسلم عليه

دخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميا فلما رآه قال قبح الله رجلا أجرك رسنه وأشركك فى أمانته فقال له يزيد يا أمير المؤمنين رأيتنى والأمر لك وهو عنى مدبر ولو رأيتنى والأمر على مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت واستعظمت منى ما استحقرت فقال أترى الحجاج استقر فى قعر الجحيم بعد فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذاك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابر وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان .

٣٤ عفو الحجاج عن اثنين من أصحاب ابن الأشعث وقد جلس لقتلهم

روى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقام رجل منهم فقال أصلح الله الامير ان لى عليك حقاً قال وما حقك قال سبك عبد الرحمن يوماً فرددت عليه قال من يعلم ذاك قال أنشد الله رجلا سمع ذاك الا شهد به فقام رجل من الاسراء فقال قد كان ذاك أيها الامير قال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك أن تنكر كما أنكر قال لقديم بغضى اياك قال ويخلى عنه لصدقه . وقال عمر بن الخطاب لرجل وهو أبو مريم السلولى (١) والله لا أحبك حتى تحب الارض الدم قال أفتمنعنى حقاً قال لا قال فلا بأس انما يأسف على الحب النساء وقال الحجاج لرجل من الخوارج والله انى لأبغضكم فقال له الخارجى أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة

---

(١) وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله أبو مريم السلولى انما هو أبو مريم الحنفى وكان سبب بغضه اياه انه قتل أخاه زيد بن الخطاب وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب واسم أبى مريم الحنفى اياس بن صبيح ثقة كوفى واسم أبى مريم السلولى مالك بن ربيعة من الصحابة روى عنه ابنه يزيد وغيره .

٣٥ اعتذاره لاهل مكة عن قلة صلته لهم

ولما دخل الحجاج مكة اعتذر الى أهلها لقلة ما وصلهم به فقال قائل منهم اذاً والله لا نعذرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وذلك أن عروة بن مسعود ولده من قبل أمه وتأويل قول الله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم مجازه فى العربية على رجل من رجلين من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف والرجلان عروة بن مسعود والآخر الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويروى ان أبا بكر الصديق رحمه الله مر بقبره ومعه خالد ابنه فقال أصبح جمرة فى النار فأجابه خالد فى ذلك بجواب غير مرضى وأما عروة بن مسعود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فرَقىَ سطحه فرماه رجل بسهم فقتله فلما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رحمه الله الى أهل مكة ابطأ عليه فقال ردوا علىّ أبى أما لئن فعلت به قريش ما فعلت ثقيف بعروة ابن مسعود لأضرمنها عليهم ناراً .

يقال رقيت السطح وما كان مثله ارقاه مثل خشيته أخشاه كما قال الله تبارك وتعالى أو ترقى فى السماء ويقال رقيت اللديغ ارقيه مثل رميته أرميه ويقال ما رقأت عينه من الدمع مهموز ترقأ يا فتى مثل قرأت تقرأ يا فتى .

« تم الجزء الأول فى المنثور ويليه الثانى فى المنظوم »

السباعى بيومى


Bibliotheca Alexandrina
04037758